الموسوعة الكبرى

للمذاهب والفرق والأديان

العهد الجديد
(دراسة شاملة)
٢

د. سليم الياس



مركز الشرق الأوسط الثقافي

الموسوعة الكبرى

للمذاهب والفرق والأديان

الموسوعة الكبرى

للمذاهب والفرق والأديان

العهد الجديد
(دراسة شاملة)

٢

د. سليم الياس

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2008 م

مركز الشرق الأوسط الثقافي
للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

الإدارة العامة:
بيروت ـ الحدث، هاتف: ٤٦١٨٨٨ ـ ٥ ـ ٩٦١
فاكس: ٤٦١٧٧٧ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ خليوي: ٦٤٠٤٩٠ ـ ٣ ـ ٩٦١
Web site: www.lccpublishers.tk

The Middle East Cultural Center
For Printing, Publishing, Translation & Distribution

General Management:
Beirut - Hadath, Tel: 961 -5 -461888
Fax: 961 - 5 - 461777, Mobile: 961 - 3 - 640490
E-mail: lcc_pub@Yahoo.com

الفصـل الأول

ـ مواضيع الفصل:

* المقدمة

* إنجيل يوحنا

ـ الإنجيل بحسب يوحنا

ـ التاريخ والرمز في إنجيل يوحنا

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من دراسة الكتاب المقدس مما يخص العهد الجديد. سنبدأ فيه مع إنجيل يوحنا فنطلع على ما سمّي بالإنجيل الروحاني، وسنتوقف عند التاريخ والرمز في كتاب سيظنه النقاد بعيداً عن الواقع. ومن خلاله سننتقل إلى أعمال الرسل الذي يحدثنا عن مسيرة الكلمة من أورشليم إلى روما، إلى أقاصي الأرض. وفي نهاية الكتاب سنمر بلمحة سريعة إلى سفر الرؤيا الذي هو نهاية الوحي.

وقبل أن نبدأ توسيعنا نقدم الملاحظات التالية:

ـ إيراد النصوص الكتابية:

ترد النصوص الكتابية بحسب النسخة العبرانية في ما يتعلق بالأسفار القانونية الأولى أي تلك المدونة أصلاً في اللغة العبرانية (أو الآرامية). أما نصوص الأسفار القانونية الثانية أي تلك التي نقلتها إلينا الكنيسة في اللغة اليونانية، فهي ترد بحسب الترجمة السبعينية.

عملياً نتبع الترتيب المعمول به في الترجمة الكتابية المسكونية في اللغة الفرنسية. ينتج من ذلك أن أرقام المزامير تختلف عما نجده في ترجمة الآباء اليسوعيين القديمة والدومينيكان[1]، وإن أرقام الآيات في المزامير تختلف عما نجده في ترجمة جمعية الكتاب المقدس، التي لا تعطي رقماً لمقدمة المزمور[2].

(1) في العموم، هناك فرق في رقم واحد. مز 11 في النسخة اليسوعية هو مز 12 في النسخة العبرانية.

(2) مرات عديدة هناك فرق في رقم واحد. مثلاً مز 83: 4 في العبرانية هو 3: 83 في نسخة جمعية الكتاب المقدس.

ـ تسمية الأسفار المقدسة:

هناك أسماء اتفق عليها المترجمون العرب (سفر التكوين مثلاً) وأسماء اختلفوا عليها. فسفر الجامعة الذي يسميه الشراح الغربيون «قوهلت» (كما في العبرانية) سماه الشدياق «الواعظ». وسفر اللاويين الذي هو السفر الثالث من أسفار موسى قد سمته الترجمة السريانية البسيطة سفر الكهنة (كهني) والترجمة اليسوعية سفر الأحبار مقتفية بذلك ترجمة الشدياق. ثم إن الترجمة اليسوعية ذكرت أسفار الملوك الأول والثاني والثالث والرابع على خطى اليونانية واللاتينية، أما نحن فسنذكر سفر صموئيل الأول وسفر صموئيل الثاني، ثم سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثاني. ونسمي السفر الرابع من أسفار موسى سفر العدد (عِوَض سفر الأعداد كما في الشدياق)، والسفر الخامس سفر التثنية عِوَض تثنية الاشتراع كما في الشدياق واليسوعية.

إنجيل يوحنا

اعتاد الشراح من زمان بعيد أن يفصلوا إنجيل يوحنا عن الأناجيل الثلاثة الباقية والمسماة الأناجيل الإزائية. وها نحن نفرد لهذا الموضوع عنوانين: الإنجيل بحسب يوحنا، والتاريخ والرمز في إنجيل يوحنا.

ـ الإنجيل بحسب يوحنا:

تعوَّد التقليد المسيحي أن يشبِّه يوحنا بالنسر الذي يحدق ببهاء الشمس بعينيه الثاقبتين. إن يوحنا ينقلنا منذ الصفحة الأولى من إنجيله إلى التأمل في الله وسره الأزلي. ولكنه في الوقت ذاته يشير إلى البحث الصوفي كما يدل على ذلك استعمال فعل طلب في إنجيله. فأول كلمة قالها يسوع لتلميذيه العتيدين: «ماذا تطلبان»[1]؟ والسؤال الذي وجهه إلى مريم المجدلية في صباح الفصح كان: «من تطلبين»[2]؟ وكما دعا المسيح تلميذيه لأن يأتيا وينظرا، هكذا يدعو يوحنا قراءه إلى أن يقتربوا بإيمان متجدد من ذلك الذي سمى نفسه «الطريق والحق والحياة»[3]. هذا هو الشرط لنحمل ثمراً يثبت في الحياة الأبدية.

إلى هذا الإنجيل سنتعرف فندرس الوجه الأدبي للإنجيل الرابع وتكوينه وخلفيته الدينية. وبعد أن نتوقف عند لاهوت إنجيل يوحنا نعالج العلاقة بين الحقيقة التاريخية والتفسير الرمزي.

---

(1) 1: 38.

(2) 20: 15.

(3) 14: 6.

أ ـ الوجه الأدبي للإنجيل الرابع:

عندما نقرأ الإنجيل الرابع قراءة إجمالية نشعر أولاً أنه يختلف عن الأناجيل الإزائية حيث تبرز المعجزات والمجادلات والأمثال وتبدو وكأنها وضعت من دون ترتيب: أما إنجيل يوحنا فيتضمن مجموعات مبنية بناءً محكماً. هناك المقدمة[1]، حوار يسوع مع السامرية[2]، خطبة خبز الحياة، وحدث شفاء الأعمى، وقيامة لعازر، وخبر الآلام[3].

1 ـ تصاميم ممكنة:

قدم الشراح تصاميم عديدة، فشكل كل تصميم لقطة عن مجمل الإنجيل. لكل تصميم حقيقته النسبية، ولكن كل هذه التصاميم لا تقود بالقدر عينه إلى فهم النص فهماً وافياً. واهتم المفسرون الأقدمون بكتابة حياة يسوع فتوقفوا عند إشارات الزمان والمكان فأبرزوا إحدى ميزات يوحنا: إنه الإنجيل الوحيد الذي يساعدنا على تحديد زمن رسالة يسوع العلنية. وبيَّن أحد الشراح أهمية الأعياد التي تتوزع مسيرة الإنجيل: أول عيد للفصح في أورشليم[4]، عيد آخر في أورشليم[5]، الفصح في الجليل، عيد المظال الذي صعد فيه يسوع إلى أورشليم صعوداً مستتراً، عيد التجديد، فصح الصلب والقيامة. وهكذا نستطيع أن نقدم تصميماً على أساس سباعية الأعياد أو الأسابيع.

انطلق يوحنا من رمز العدد 7 فدل على أن الملء المسيحاني قد تم في حياة يسوع ونشاطه الرسولي. واقترح شارح آخر أن يقسم إنجيل يوحنا قسمين، على أن يقسم كل قسم جزئين. القسم الأول: يوم يسوع، حياته العلنية، كشف خفي لمجده[6]. ويتضمن هذا القسم كتاب الآيات وكتاب الأعمال. القسم الثاني: ساعة يسوع، كشف مجده. ويتضمن هذا القسم كتاب الوداع وكتاب الآلام يتبعه ملحق. يشدد هذا العرض على

---

(1) 1: 1 ـ 18.

(2) 4: 1 ـ 42.

(3) ف 18 ـ 19.

(4) 2: 13.

(5) 5: 1.

(6) 1: 19 ـ 12: 50.

موضوع الكشف والوحي وعلى كلمات يوحناوية هامة: المجد، الآية، العمل، والساعة. ولكننا نتساءل عن الفرق بين العمل والآية. ونقول إن كلمة «الآلام» لا توافق الطريقة التي بها يعرض يوحنا دراما الجلجلة.

وأبرز شارح ثالث أهمية 13: 1 ـ 2: «وكان يسوع يعرف، قبل عيد الفصح، أن ساعته جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، وهو الذي أحب أخصاءه الذين هم في العالم، أحبهم منتهى الحب». فبعد نهاية فصل 12 التي تشكل 12: 37 ـ 50 يبدأ فصل 13 في صيغة متوازية لبداية الإنجيل (في البدء كان الكلمة). وهكذا يُقْسَمُ الكتاب قسمين: كتاب الآيات وكتاب الآلام. ويتميز كتاب الآيات بسبع حلقات. نلاحظ أن خبر عدد من الآيات ينتهي بخطبة طويلة وهكذا يتوحد العمل والكلمة في القسم الأول. أما القسم الثاني فمن المفضل أن نسميه كتاب الساعة أو كتاب المجد.

إن كلمة «الحياة» تسود في فصل 1 ـ 6 (42 مرة من أصل 56). وينتهي فصل 6 بشكل دراماتيكي حين يبتعد التلاميذ ويعلن بطرس إيمانه وينبئ يسوع بخيانة يهوذا. إذاً لا بد من إبراز هذا الفاصل الهام. ونبدأ مع فصل 7 بمجموعة تسود فيها كلمة موت (24 مرة من أصل 35): «ما شاء يسوع أن يسير في اليهودية لأن اليهود كانوا يريدون أن يقتلوه»[1]. مجادلات عن أصل يسوع، إعلانات تتبعها تهديدات بالموت خلال عيد الفصح وعيد التجديد حتى قيامة لعازر. أما مفردات الحب فلا تسيطر إلا بعد فصل 13 وحتى فصل 21 ضمناً (32 مرة من أصل 40). وهناك ملاحظات أخرى تجدر الإشارة إليها. لا يظهر موضوع النور إلا في فصل 1 ـ 12. إذ يبدو اليهود عادةً خصوم يسوع، فخطبة الوداع تبين لنا، أن العالم هو خصم يسوع وأخصائِهِ. على أساس هذه الملاحظات نقدم الأقسام التالية:

ـ مطلع الإنجيل.

ـ كتاب الآيات.

ـ إعلان الحياة.

ـ رفض الحياة وتهديد بالموت.

ـ كتاب الساعة.

---

(1) 7: 1.

ـ وصية يسوع، العشاء الأخير وخطبة الوداع.

ـ ساعة التمجيد على الصليب.

ـ يوم الرب.

ـ خاتمة: تعليمات القائم من الموت لكنيسته.

قبل أن نقدم إيضاحات عن دينامية البناء اليوحناوي يجدر بنا أن نتعرف إلى عناصر عديدة تبلبل التنسيق العام. مثلاً: لماذا يُذكر يوحنا المعمدان مرتين في قلب المطلع[1]. ثم إن شهادة المعمدان الأخيرة تنتهي بقطعة عقائدية من الصعب أن يكون قد تفوه بها[2]. ونقابل هذا الملخص للاهوت اليوحناوي مع قطعة أخرى ليست في محلها[3]. وهناك صعوبة كلاسيكية في ترتيب فصل 4، 5، 6. فنهاية فصل 4 تتم في الجليل (آية قانا الثانية). وهكذا نقول عن نهاية فصل 6. أما آية الخلع فتتم في أورشليم. ولكن يوحنا لم يشر إلى تنقل يسوع من الجليل إلى أورشليم، ومن أورشليم إلى الجليل، كما اعتاد أن يفعل. أما نكون أكثر منطقيين إن عدنا إلى الترتيب المنطقي: فصل 4، 6 (السامرة، الجليل)، فصل 5 (أورشليم). وهكذا يكون التلميح إلى الخلع (7: 15 ـ 24) في محله. ولكن ماذا نفعل ببداية فصل 7 التي تتكلم عن صعود سري ليسوع إلى أورشليم في عيد المظال؟ نرى أننا إذا أردنا أن نجيب على صعوبة تطل صعوبات أخرى. وهذا ما نراه أيضاً في فصل 10. إن أردنا أن نقوم بالتنقيلات المقترحة نشير إلى هذه الصعوبات (وهناك غيرها) لنلفت الانتباه إلى الطابع التدريجي في تأليف الإنجيل الرابع. فعمل المراجعة النهائية لم يتم، وهذا ظاهر من التنافر في موضوع المعمودية التي يمنحها يسوع أو تلاميذه.

2 ـ تحليل المضمون:

أولاً: المطلع (1: 1 ـ 18):

قلنا إن هذا المقطع يَذْكُرُ يوحنا المعمدان مرتين. ونزيد فنقول إنه يبدو متعدد العناصر. فالبداية تبدو كنشيد إلى اللوغوس (الكلمة)، والنهاية كاعتراف إيمان.

---

(1) 1: 6 ـ 8، 15.

(2) 3: 31 ـ 36.

(3) 12: 44 ـ 50.

الأسلوب إيقاعي في البداية، ولكننا نجد في آية 12 ـ 13 زيادات وإضافات. إذاً هناك محاولات عديدة لإعادة النظر في النص الأول. ومع هذا يبدو الترتيب الحالي بشكل نوع من البديع يقوم بقلب العبارة وهو أسلوب عرفته الآداب اليهودية. فكيف نستطيع أن نبرر هذه البنية؟ آية 1 ـ 2: اللوغوس متجه نحو الله. آية 18: الابن يوحي لأنه في حضن الآب. آية 3 اللوغوس وسيط بالنسبة إلى الكون. آية 17: وسيط بالنسبة إلى الخلاص.

آ 4 ـ 5: الخيرات التي منحها اللوغوس. آية 16: ملء النعمة. آية 6 ـ 8: شهادة المعمدان. آية 15: شهادة المعمدان. آية 9: حضور اللوغوس في العالم. آية 14: سكن اللوغوس المتجسد.

آ 10 ـ 11: عدم إيمان العالم وإسرائيل. آية 12 ـ 13: قبول بالإيمان يتيح لنا أن نصير أبناء الله. وسندرس فيما بعد أصل ومضمون لقب اللوغوس المعطى للمسيح الموجود قبل الزمن.

ثانياً: كتاب الآيات (1: 19 ــ 12: 50)، إعلان الحياة (1: 19 ــ 6: 71).

هناك طرق عديدة تفسر ترتيب البداية. يحاول البعض أن يجد رسمة أسبوع في اللقاءات الأولى مع يسوع وأول آية في قانا الجليل[1]. أما الصعوبة الكبرى فتأتي من إعلان يسوع في 1: 51: «سترون السماء مفتوحةً وملائكةَ الله صاعدين ونازلين فوق ابن الإنسان» الذي يشكل قمة سلسلة من الإعلانات عرفتنا تدريجياً إلى ذلك الذي شهد له المعمدان.

هناك رباطات عديدة تجمع بين آية قانا وطرد الباعة من الهيكل. فاليوم الثالث في 2: 1 يشير إلى الفصح، ويقابل الكلام عن عيد الفصح في آية 13. ونجد مقابلات عديدة تقرب هذين الحدثين من خبر الجلجلة: لا تُذكر أم يسوع إلا في قانا وعند صليب يسوع الذي من جنبه خرج دم وماء الأسرار[2]. والكلمة السرية عن الهيكل الذي سيُرفع في ثلاثة أيام ستجد كامل معناها في خبر الآلام. أجل، لقد ألف يوحنا بفن بداية إنجيله ونهايته.

---

(1) 2: 1 ـ 11.

(2) 19: 34.

وبعد العملين (اللذين يشكلان برنامجاً) في فصل 2، نقرأ حوارين، يدل الواحد على مسيرة الإيمان المتردد والناقص (نيقوديمس) والثاني على ارتداد امرأة ستصبح مرسلة السامرة. أما آية قانا الثانية فتبرز إيمان الضابط الملكي[1] وتشكل نهاية هذه المجموعة. يبدأ كل من فصل 5 و6 بخبر آية، ثم يتضمن خطبة طويلة ليسوع. فشفاء المخلع قرب البركة ذات الخمسة أروقة يدل على أن يسوع نال من الآب السلطان ليحييَ من يشاء. بعد هذا نقرأ خطبة تبرر الشهادات من أجل الابن[2]. وآية تكثير الخبز التي يتبعها السير على المياه، تؤدي إلى خطبة طويلة عن هُوِية خبز السماء الحقيقي. وينتهي الفصل بشكل دراماتيكي: ترك يسوع كثيرٌ من التلاميذ. إن الدراما التي تصل إلى الصليب تقوم على تعلق بكلام يسوع لا تحفظ فيه.

ـ رفض الحياة وتهديد بالموت (7: 1 ـ 12: 50).

تتكون فصل 7 ـ 12 من سلسلة مجادلات في الهيكل تتوزعها محاولات رجم ينجو منها يسوع، لأن ساعته لم تأت بعد[3]. دُعي يسوع بطريقة هازئة لأن يكشف عن نفسه في عيد المظال، فأجاب أولاً بالرفض. ثم صعد إلى أورشليم صعوداً خفياً. وأكد أمام اليهود المترددين أو المعادين له أنه وحده يعرف من أين جاء وإلى أين يذهب[4]. ويقدم نفسه على أنه يَنبوع الماء الحي ونور العالم. ثم أعلن أمام اليهود المفتخرين بأنهم من نسل إبراهيم، أنه وحده يقدر أن يخلصهم من موت الخطيئة، وأوضح أنه أسمى من إبراهيم: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»[5]. وتبين علامة المولود أعمى كيف تنقلب الأدوار: استعاد المولود أعمى النظر، أما الفريسيون فانهمكوا في خطيئتهم[6]. ويرتبط مثل الراعي الصالح (ف 10) بالموضوع عينه: يسوع هو غير الرعاة الأردياء الذين يسببون دمار القطيع. إنه وحده يعطي الحياة بوفرة، بذبيحة حياته الإرادية[7]. أما الحديث عن عيد التجديد فلا يقطع التوسيع، بل يدعونا لنفهم أن

(1) 4: 43 ـ 54.
(2) 5: 31 ـ 47.
(3) 7: 30، 8: 20.
(4) 7: 27 ـ 29.
(5) 8: 38.
(6) 9: 41.
(7) 10: 15 ـ 18.

تجديد العهد لا يأتي إلا مع يسوع الذي هو واحد مع أبيه[1].

يسود فصل 11 ـ 12 موضوع الموت وموضوع القيامة، فيُعِدانِ الطريق لكتاب الساعة. فقيامة لعازر تشكل «مثلاً تاريخياً» فيه يواجه يسوع الموت ويكشف عن نفسه أنه «القيامة والحياة»[2] للذين يؤمنون به. ودلت المشاورة عند قيافا أن كل شيء قد تم مسبقاً. لقد تنبأ رئيس الكهنة من غير أن يدري أن يسوع سيموت من أجل خلاص الشعب اليهودي وجماعة البشر[3]. ثم وضع يوحنا سكب الطيب قبل دخول يسوع إلى أورشليم، فدل على أن هذا العمل هو مدخل إلى الدفن، بينما أبرز الدخول الاحتفالي إلى المدينة المقدسة كرامة يسوع المسيحانية، وطلب اليونانيين الذين يريدون أن يروا يسوع أدى إلى إعلان أخير للساعة التي فيها يجتذب يسوع إليه كل البشر من على صليبه[4].

وينتهي كتاب الآيات بخاتمتين اثنتين: اعتبار على عدم إيمان اليهود حسب نبوءة أشعيا 6: 9 ي، ملخص لكرازة يسوع: «ما جئت لأدين العالم، بل لأخلص العالم»[5].

ثالثاً: كتاب الساعة (13: 1 ـ 20: 31).

ـ وصية يسوع (ف 13 ـ 17):

وينفتح الكتاب الثاني بآية جليلة تعطيه طابعاً خاصاً: إنه كتاب الساعة التي فيها يقوم يسوع بعمل حب سام فينتقل من هذا العالم إلى أبيه. لم يكن حاضراً هنا إلا التلاميذ. سيختفي الخائن بعد قليل في الليل، ويُذكر للمرة الأولى «التلميذ الذي كان يسوع يحبه»[6].

يبدو غسل الأرجل[7] علامة نبوية يدل بها يسوع على معنى موته القريب ويبرز بُعدَه من أجل حياة تلاميذه الملموسة.

---

(1) 10: 30.
(2) 11: 20.
(3) 11: 50.
(4) 12: 32.
(5) 12: 47.
(6) 13: 23 ـ 26.
(7) 13: 1 ـ 20.

بعد التشهير بالخائن[1] تبدأ سلسلة أحاديث اعتاد الشراح أن يسموها «خطبة بعد العشاء الأخير». ولكن يسوع لا يتحدث هنا عن تأسيس الإفخارستيا. لهذا يُفضل أن تسمى «خطبة الوداع» المؤلفة حسب فن أدبي معروف في اليهودية، هو فن الوصية التي يتلوها الإنسان قبل موته.

ينتهي حديث أول في 14: 31: قوموا نذهب من هنا. ويبدأ حديث ثان بمثَل الكرمة الحقيقية[2]. وتختتم هذه المجموعة الصلاة الكهنوتية فتحدد نية يسوع الذاهب إلى ساعته: ليكون التلاميذ واحداً كما أنه والآب واحد. وتتميز فصل 14 ـ 16 بإعلان مجيء الروح المؤيد.

ـ **ساعة التمجيد على الصليب (ف 18 ـ 19):**

يتبع خبر الآلام في خطوطه الكبرى الترتيب الذي نجده عند الإزائيين. ولكن يوحنا يطبعه بطابعه الشخصي بواسطة قوة التأليف الدراماتيكية وغنى الرموز.

نجد هنا ثلاثة أقسام تكاد تكون متوازية. يروي القسم الأول[3] كيف سلم يسوع نفسه لجلاديه وكيف استجوب في دار حنان خلال الليل. ويخصص القسم الثاني[4] لمحاكمة روما ليسوع عبر شخص بيلاطس. هناك حركة دخول وخروج تساعدنا على تحليل النص إلى سبعة مشاهد، يمثل فيها المشهد الأوسط إكليل الشوك.

في الخارج: طلب اليهود موت يسوع في الخارج: إذا أطلقته فأنت عدو قيصر. حينئذ أسلم بيلاطس إليهم يسوع.

في الداخل: حوار أول: هل أنت في الداخل: حوار ثان، من أين أنت؟ أملكٌ أنت؟ لم يكن لك سلطان علي لو لم يعْط لك من فوق. جئت لأشهد للحق.

في الخارج: لا أجد سبباً للحكم. برأبا أو يسوع؟ ها هو الرجل! إصلبه!

في الداخل: جلد الجنود يسوع وكللوه بالشوك. ونستطيع أن نحلل القسم الثالث

---

(1) 13: 21 ـ 30.

(2) 15: 1.

(3) 18: 1 ـ 27.

(4) 18: 18 ـ 19: 16.

إلى سبعة أحداث، وكل حدث يحمل معنىً عميقاً: كتابة الصليب التي تبين للجميع أن يسوع هو ملك اليهود. الثوب غير المخيط الذي لم يمزقه الجنود. تسمية مريم أم التلميذ. لقد تم كل شيء. الدم والماء يجريان من القلب المطعون. دفنة ملوكية تمنح ليسوع.

ـ يوم الرب (ف 20):

أراد يوحنا أن يبين انتصار يسوع على الموت فأورد أربعة أحداث جرت في أورشليم في اليوم الأول من الأسبوع[1]. دفع مجيء مريم المجدلية إلى القبر بطرس والتلميذ المحبوب أن يركضا، ولكن التلميذ المحبوب وحده آمن[2]. ثم تلا ذلك ظهورٌ تعرفت فيه مريم المجدلية إلى يسوع[3]. في العلية نال التلاميذ عطية الروح وأرسلوا إلى العالم[4]. ظل توما غير مؤمن فحظي بظهور يشهد أن منْ قام اليوم هو من صلب بالأمس. وجاءت خاتمة أولى تبين لماذا اختار الإنجيلي هذه الآيات ورواها.

خاتمة: تعليمات القائم من الموت لكنيسته (ف 21):

زيد ف21 فيما بعد وسطر في إنشاء يختلف عن إنشاء سائر الإنجيل ولكن هذا لا يعني أننا نستطيع أن نستغني عنه. فكما أن المطلع جعلنا نستشف سر شخص يسوع، فإن فصل 21 يدخلنا في زمن الجماعة ويسمعنا توجيهات المعلم للذين يتابعون عمله. إن خبر الصيد العجيب (21: 1 ـ 11) يجد ما يوازيه في لو 5: 1 ـ 11 في إطار دعوة الرسل. أما هنا فيشدد الإنجيلي على أن الشبكة لم تتمزق رغم وجود 153 سمكة كبيرة. وتأتي نظرة إلى المستقبل[5]: تعرف التلاميذ إلى يسوع خلال غداء يذكرنا بغداء عماوس. بعد هذا حدد يسوع وظيفة بطرس (إرع خرافي) وأشار إلى موته العتيد وإلى مصير التلميذ الذي يحبه. وتبين الخاتمة الثانية[6] نشاط الجماعة اليوحناوية في تأليف الإنجيل الرابع.

---

(1) 20: 1، 9، 26.
(2) 20: 1 ـ 10.
(3) 20: 11 ـ 18.
(4) 20: 19 ـ 23.
(5) 21: 12 ـ 23.
(6) 21: 24 ـ 25.

ب ـ تكوين الإنجيل الرابع:

1 ـ لماذا كتب الإنجيل الرابع ولمن كتب؟

يدلنا إهداء إنجيل لوقا إلى أن كاتبه توجه إلى جمهور متعلم من أصل يوناني، أما الإنجيل الرابع فلا يحدد جمهوره: هل يتألف من يهود ووثنيين يريد الإنجيلي أن يجتذبهم إلى الإيمان، أو من مسيحيين يريد أن يثبتهم في الإيمان؟ من الضروري أن نجيب على هذا السؤال لنفهم النص فهماً وافياً. هنا نعود إلى الخاتمتين[1] فنجد فيهما اقتراحات عديدة.

نتوقف أولاً على الافتراضات ثم نستخلص بعْد هذين المقطعين قبل أن نتعرف إلى الخصوم الذين يهاجمهم الكاتب أو إلى الضلال الذي يفنده.

أولاً: الافتراضات.

إفتراض أول قدمه دود: أراد يوحنا أن يجتذب إلى المسيحية يونانيين «متصوفين، يبحثون عن الحقيقة والنور في حياتهم». قال: «يتوجه الإنجيلي إلى جمهور غير مثقف... ويستطيع أن يقرأ الإنجيل شخص يهتم بالديانة ويتحلى ببعض المعرفة للديانات السرية».

افتراض ثان (جاء بعد نشر نصوص قمران) قدمه فان أونيك: «هدف الإنجيل الرابع إلى أن يقود اليهود وخائفي الله إلى الاعتقاد بأن يسوع هو المسيح».

افتراض ثالث: ميز روبنسون بين الإنجيل الرابع (وهو ذو بعد إرسالي) ورسالة يوحنا الأولى التي تهدف إلى تثبيت المسيحيين في إيمانهم وإلى تحذيرهم من الهراطقة.

افتراض رابع. قال مارتين: اهتم يوحنا بمثال الجماعة اليوحناوية التي تواجه معارضة واضطهادات من السلطات اليهودية، فأراد أن يثبت المسيحيين الذين هم من أصل يهودي.

افتراض خامس قدمه فوغا: هناك هدفان للإنجيل الرابع: الرد على البلبلة التي تلت فصل المسيحية عن اليهودية، تشجيع الذين يخافون اضطهاد دوميسيان الإمبراطور.

---

(1) 20: 30 ي؛ 21: 24 ي.

«كانت الكنيسة مصدومة ومترددة ويائسة فانبرى يوحنا اللاهوتي يحدث المؤمنين ويطلب منهم أن يلتزموا بالتاريخ الذي يصنعه الله معهم. ويشجعهم لكي يواجهوا حالة الألم والفشل».

ثانياً: الخاتمة الأولى (20: 30 ـ 31).

«وصنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى غير مدونة في هذا الكتاب. أما الآيات المدونة هنا فهي لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح، ابن الله. فإذا آمنتم نلتم باسمه الحياة».

حدد يوحنا أسلوب عمله وهدفه. كان لوقا المؤرخ قد أكد أنه جمع الوثائق الضرورية ورتب خبره باعتناء. أما يوحنا فأعلن أنه قام بعملية اختيار في التقليد الإنجيلي الواسع من أجل هدف معين: تثبيت الإيمان.

كلمة آية مهمة جداً في الإنجيل الرابع حيث نجد سبع آيات. والعلاقة بين الآية والإيمان ظاهر بمناسبة آية قانا الأولى وفشل عمل يسوع مع اليهود. فيوحنا لا ينظر إلى المعجزة في وجهتها المادية فحسب، بل مع تفسيرها. إن الخطبة ترتبط بخبر الآية ارتباطاً وثيقاً. أما الآية العظمى فهي الصليب. وإن التي تبدو وكأنها لا تدل إلا على كتاب الآيات تدل أيضاً على كتاب الساعة[1].

وتدخلنا 20: 31 في قلب إنجيل يوحنا. ففعل آمن مهم جداً ويستعمله يوحنا 98 مرة. يستعمله يوحنا بمعنى التعلق الشخصي، هل تؤمن بابن الإنسان؟، أو يجعله يدل على غرض اعتراف الإيمان. حين أعلنت مرتا إيمانها قالت: «أؤمن أنك المسيح، ابن الله، الآتي إلى العالم»[2]. «فإذا آمنتم». هل نفهم: لكي تقتنوا الإيمان، وهذا ما يدل على هدف إرسالي. أو: لكي تنموا في الإيمان، وهذا يشير إلى جمهور مسيحي. إذا قرأنا النص نستطيع أن نأخذ بالاحتمالين. ولكن الفحوى الإجمالي يقودنا إلى الاحتمال الثاني: ماذا يستطيع القارئ أن يفهم من هذا الإنجيل إن لم يكن تدرج حقاً في الإيمان المسيحي؟ إذاً يريد يوحنا أن يقوي إيمان المسيحيين الخاضعين للمحنة. هنا نشير إلى فعل «ثبت». يجب أن تثبت كلمات يسوع في المؤمنين[3]

---

(1) ف 13 ـ 20.

(2) 11: 35.

(3) 8: 31؛ 15: 7.

ليشاركوا في حرية الابن ويحملوا ثماراً وافرة. ويدعونا مثل الكرمة لنثبت في المسيح كما يثبت هو في المؤمنين[1]. ونحافظ في 20: 31 على قيمة كل كلمة: المسيح وابن الله. اهتم يوحنا بأن يدخل وحي يسوع في تاريخ الخلاص، فبين أنه مسيح إسرائيل المنتظر مع ما في هذا القول من مفارقة.

في فصل 1 يعدد يوحنا الألقاب المسيحانية: حمل الله،ابن (أو مختار) الله، المسيح، ملك إسرائيل، ابن الإنسان[2]. وتظهر طبيعة ملكوت المسيح في وجهها الظاهري التناقض في الآلام[3]. والكتابة فوق الصليب أعلنت للكون أن يسوع هو ملك[4]. وهكذا يتم يسوع انتظار إسرائيل الطويل في شكل شامل وسام.

لو لم يقل يوحنا «ابن الله» لظل التعبير الإيماني ناقصاً. لقد اهتم يوحنا أكثر من أي كان في إظهار العلاقة الوثيقة بين الابن والآب. وخبر الظهورات الفصحية له معناه وهو الذي ينتهي بأوسع اعتراف إيمان: «ربي وإلهي»[5].

ليس الإيمان في نظر يوحنا شيئاً مجرداً. إنه انفتاح على الحياة. إنه الحياة بالذات. كلمة حياة مهمة جداً (36 مرة) وهي ترتبط بمعرفة الإيمان: «من يؤمن كان له فيه (في المسيح) الحياة الأبدية»[6]. «الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك والذي أرسلته، يسوع المسيح»[7]. فكل الرموز التي بها كشف يسوع عن نفسه ارتبطت بالحياة (الخبز في فصل 6، النور في 8: 12، الراعي في 10: 10، الطريق في 14: 6). فالحياة والموت يتعلقان بقبولنا أو رفضنا لكلمة المسيح. فالإنجيلي يحدد لنفسه غاية ويحاول أن يصل إليها بكل الوسائل: أن يوقظ إيماناً واعياً يحصل على الحياة. هنا نقرأ خبر المولود أعمى فيبدو نموذجاً لنا: ينتقل هذا الأعمى من مرحلة إلى مرحلة حتى يصل إلى فعل العبادة: «أؤمن يا رب، وسجد أمامه»[8]. إذاً، يتوسع يوحنا

---

(1) 4: 15، 10.

(2) 1: 29 ـ 51.

(3) رج 19: 1 ـ 3: التكليل بالشوك.

(4) 19: 20: كانت في ثلاث لغات.

(5) 20: 28.

(6) 3: 15.

(7) 17: 3.

(8) 9: 38.

في لاهوت لا ينفصل فيه الإيمان عن الحياة. لا يهتم يوحنا بحياة يسوع كماض قد عبر، بل كحاضر حقيقي يعطي حياة المؤمنين معناها ويساعدهم ليصيروا أبناء الله.

ثالثاً: الخاتمة الثانية (21: 24 ـ 25).

«وهذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الأمور ويدونها، ونحن نعرف أن شهادته مطابقة للحقيقة. وهناك أمور كثيرة عملها يسوع، لو كتبها أحد بالتفصيل، لضاق العالم كله، على ما أظن، بالكتب التي تحتويها».

يحدد ملحق الإنجيل الرابع موقع التلميذ الذي كان يسوع يحبه بالنسبة إلى الجماعة اليوحناوية. سنعود إلى الحديث عن هذه الجماعة. ولكننا نقول الآن إن الجماعة اهتمت بنشر الكتاب وختمته بخاتمها معلنة أنه صادق وموافق للحقيقة. إذاً، لسنا أمام كتاب يبقى داخل المجموعة التي فيها رأى النور، بل أمام كتاب يتوجه إلى كل الذين ينتمون إلى القطيع الذي سلم المسيح إلى بطرس مسؤولية العناية به. ويتذكر النص بجلال استشهاد بطرس[1]. إن الجماعة اليوحناوية تعي خصائصها، ولكنها تحس أنها متضامنة مع الكنيسة الواحدة وتريد أن تشارك في الخير العام فتنشر المؤلف الذي يرتكز على شهادة التلميذ الحبيب.

نلاحظ هنا أهمية مفردة الشهادة. نقرأ الفعل 33 مرة في الإنجيل الرابع ومرتين عند الإزائيين، والاسم 14 مرة عند يوحنا وأربع مرات عند الإزائيين. ويتذكر الإنجيل شهادة التلميذ بإجلال في وقت الآلام: «الذي رأى شهد، وشهادته هي موافقة للحقيقة. وهذا (أي المسيح) يعرف أنه يقول الحق حتى تؤمنوا مثله».

نستشف مرحلة طويلة من الكرازة الشفهية قبل أن تدون شهادة التلميذ. ولقد ألقى موت التلميذ البلبلة في جماعته، كما يدل على ذلك التفسير المعطى لكلمة الرب الغامضة: «إن شئت أن يثبت إلى أن أجيء»[2]. انتظر البعض حضوراً جسدياً حتى مجيء الرب، فإذ هو حضور شهادة بفضل الكتاب. هكذا يبين لنا ناشرو الإنجيل الرابع أصل التقاليد الخاصة التي يتضمن والأهمية التي يعلقون عليها.

---

(1) 21: 19.
(2) 21: 22.

رابعاً: هل لإنجيل يوحنا هدف هجومي؟

شدد بعض الشراح على حرب الإنجيل الرابع على جماعة المعمدان، أي تلاميذ يوحنا المعمدان الذين يشير سفر الأعمال[1] إلى حضورهم في أفسس حيث أُلّف الإنجيل، كما تقول التقاليد. إن المقطعين المتعلقين بيوحنا في مطلع الإنجيل يدخلان في التوسع ويحاربان فكرة خاطئة عن شخص السابق ورسالته. ولكن يجب أن لا نشدد على العنصر الهجومي هذا. فإن شدد الإنجيلي على المسافة بين المعمدان ويسوع[2] وأشار إلى المزاحمة بين تلاميذ يسوع والمعمدان، فهو لا يجعل يوحنا مسؤولاً عن هذا الواقع، بل يبرز تجرده البطولي: «له هو أن ينمو ولي أنا أن أنقص»[3]. إن المعمدان هو في الإنجيل الرابع مثال المرسل المسيحي. وهكذا يوجه الإنجيلي نداءً إلى أتباع المعمدان ليكونوا أمناء لشهادة معلمهم.

هل هناك حرب ضد المسيحيين الذين من أصل يهودي؛ هناك ولا شك مقاطع في الإنجيل الرابع تصيب هؤلاء المسيحيين المتهودين الذين لم يتوصلوا إلى التعلق الكامل بالمسيح لئلا يطردوا من المجمع. هل يكون «إخوة يسوع» المذكورون في 7: 3 ـ 5 الممثلين لهذه المجموعة؛ حين دعا يسوع الناس ليثبتوا في كلمته ويصلوا إلى الحرية، فهو يعني هؤلاء اليهود الذين بدأوا يؤمنون ولكنهم لم يذهبوا إلى النهاية في إيمانهم. فيؤكد لهم يوحنا في إنجيله أن عليهم أن يؤمنوا أن يسوع هو حقاً ابن الله لكي يخلصوا.

يعتبر إيريناوس أن يوحنا أراد أن يقتلع ضلال قرنتيس والنقولاويين. وزاد إيرونيموس أنه حارب الأبيونيين. كان قرنتيس يمزج نظريات غنوصية في التعلق بالشريعة اليهودية. وارتبط الأبيونيون بالمتهودين فمارسوا شريعة موسى (ما عدا تقدمة الذبائح الدموية)، ورأوا في يسوع النبي المعلن عنه في تث 18: 15، ورفضوا أن يعترفوا ببنوته الإلهية. وحارب الإنجيل الرابع الظاهريين (لم يتخذ المسيح إلا ظاهر الجسد لا حقيقة الجسد). شجب إغناطيوس الأنطاكي في بداية القرن الثاني الهراطقة الذين

---

(1) 18: 25؛ 19: 2 ـ 4.
(2) 1: 6 ـ 8، 15، 20؛ 10: 41.
(3) 3: 30.

يرتابون بحقيقة التجسد. لقد قصدت رسائل يوحنا الظاهرية بطريقة واضحة. ونستطيع أن نجد بعض الحرب على الظاهريين في مقاطع من إنجيل يوحنا: الإعلان أن الكلمة صار بشراً، العظة على ضرورة أكل الجسد وشرب دم ابن الإنسان، الشهادة الاحتفالية عن الدم والماء اللذين سالا من جنب المخلص، الظهور لتوما مع التشديد على جراحات القائم من الموت.

خامساً: البعد الإرسالي للإنجيل الرابع.

نود أن نبين الدينامية الإرسالية التي نكتشفها لدى قراءة الإنجيل الرابع. إذا توقفنا عند ظاهر الأمور نشعر أن كل شيء قد انتهى: من الناس منْ ينتمون إلى العالم السفلي، أنتم إنما تُدينون بحسب الجسد[1]، من يعجز أن يسمع صوت حامل الوحي لأن إبليس هو أبوه. إنهم يميلون عن النور لأن أعمالهم شريرة، فهم ينتمون إلى هذا «العالم» الذي لا يصلي المسيح من أجله.

لا نصلبْ هذه العبارات التي ترتبط بالحرب الكلامية. فمن بداية الإنجيل إلى نهايته يدوي نداء المسيح مقدماً الحياة بوفرة: «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فلاَ يَجُوعُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فلاَ يَعْطَشُ أَبَداً»[2]. لا معنى لمثل هذا الكلام إن لم يكن للسامعين إمكانية العبور من الظلمة إلى النور بفضل الإيمان.

إذا وضعنا جانباً المطلع الذي يشدد على عمل اللوغوس (أو الكلمة) الشامل، فهناك أحداث تدل على اهتمام يوحنا بالرسالة. تفرد مع لوقا بالحديث عن السامرة: ففي القسم الأول المركز على إعلان الحياة، لا تمثل امرأة سوخار أبناء قريتها فقط بل كل الذين يطلبهم الآب[3] ليجعلهم عباداً بالروح والحق. والحديث مع التلاميذ يشكل موازاة لخطبة الإرسال التي نقرأها عند الإزائيين[4]. وتنتهي هذه الحادثة بإعلان أهل السامرة بصوت واحد: «نحن نعرف أنه حقاً مخلص العالم»[5]. ويضع المشهد التالي

---

(1) 8: 15.

(2) 6: 35، رج 4: 10؛ 7: 37، 2: 44_ 47.

(3) 4: 23.

(4) مت 10: 5 ي، مر 6: 7 ي، لو 9: 2 ي، 10: 3 ي.

(5) 4: 42.

أمامنا ضابطاً ملكياً سينتقل إيمانه كالعدوى إلى كل أهل بيته[1]. غاب يسوع عن عيد المظال فظن الناس أنه ذهب يُعلّم اليونانيين. وسيظهر هؤلاء اليونانيون من جديد عند اقتراب عيد الفصح فيدل مسعاهم على مجيء الساعة.

اهتم يوحنا بالمعطيات التي تلقي ضوءاً على معنى الآلام فأشار إلى أن الكتابة سطرت في ثلاث لغات: العبرانية واللاتينية واليونانية. قرأها اليهود فاشمأزوا. أما يوحنا فرأى في هذه الكتابة علامة شمول الفداء. إن يوحنا يؤسس في سيرة يسوع دعوة الكنيسة إلى عمل الرسالة. فيسوع نفسه صلى من أجل الذين يؤمنون بواسطة تلاميذه لتكون وحدتهم علامة الإرادة الخلاصية التي أوحي بها على الصليب. وحين ظهر المسيح على التلاميذ في العلية بعثهم إلى الرسالة وأعطاهم الروح القدس ليغفروا للمؤمنين خطاياهم[2]. وهكذا تتم رسالة الحمل الإلهي الذي جاء ليرفع خطيئة العالم.

2 ـ ينابيع الإنجيل الرابع:

منذ القرن التاسع عشر بدأ الشراح يبحثون عن الينابيع التي استقى منها الإنجيليون. أعلن لوقا نفسه أنه أخذ من سابقيه ولاسيما من مرقس. ثم إننا نجد قسماً من وثائق لوقا في إنجيل متى وهذا ما دفع البحاثة إلى الكلام عن «معين» أقوال يسوع. ولكن الأمر يختلف في ما يخص إنجيل يوحنا الذي لا يوافق الإزائيين إلا في بعض المقاطع. يسير يوحنا وحده، فلا يشبه كتابه كتاباً آخر. فإذا أردنا أن نتعرف إلى ينابيعه، ننطلق من إنجيله نفسه.

نبدأ فنتعرف إلى المعايير التي تساعدنا على اكتشاف الينابيع، ونقابل بين يوحنا والإزائيين قبل أن نقدم بعض الافتراضات الحديثة.

أولاً: معايير التمييز.

عرض الأب بوامار المبادئ التي تتيح لنا أن نتعرف إلى الينابيع التي استقى منها يوحنا. هناك الزيادات: نجد مقاطع متعددة تشبه حواشي زيدت فيما بعد لكي توضح النص أو لتزيل منه بعض التنافر. مثلاً: تشرح كلمة «ماشيح»[3]، ولقب «كيفا» المعطى

---

(1) 4: 53، رج أع 10: 44 ـ 48، 16: 15، 31 ي.
(2) 20: 21 ـ 23.
(3) 1: 41.

لسمعان. الإشارة في 4: 2 توضح ما قيل في 3: 22، 26 و4: 1 من أن يسوع كان يعمّد. ويشرح لنا النص دهشة السامرية: «لأن اليهود لا يخالطون السامريين»[1].

هناك استعادة نص قطع الكاتب سياقه. إذاً، مع الحواشي التفسيرية هناك زيادات خطيرة تبلبل نظام الأفكار أو تبدل الفكرة. في 14: 1 ـ 3 نقرأ وعد يسوع عن رجوعه (ومجيئه)، ولكن بعد آية 4 نقرأ شرحاً يعني الزمن الحاضر.

هناك الفكرة التي تعود مرتين أو ثلاثة. مثلاً: نجد خاتمتين لكتاب الآيات[2]، وتفسيرين لغسل الأرجل[3]، وخطبتي وداع، هذا إذا لم نحسب الصلاة الكهنوتية (ف 17). زيدت الثانية إلى الأولى لأن الدعوة إلى الذهاب تجد كمالها في الانطلاق إلى جتسيماني.

وهناك تعابير إنشائية ومعايير لاهوتية. ولكن نحتاج إلى إشارات عديدة لنتعرف إلى ينابيع متواصلة في داخل الإنجيل الرابع.

ثانياً: يوحنا والإزائيون.

إليك مقاطع يوحنا المتوازية مع التقليد المشترك: عماد يسوع على يد يوحنا المعمدان ونداء التلاميذ الأولين. طرد الباعة من الهيكل. تكثير الخبز والسير على المياه. اعتراف بطرس بالمسيح. المسح بالطيب في بيت عنيا. دخول يسوع إلى أورشليم دخولاً احتفالياً. التشهير بالخائن. خبر الآلام بعد توقيف يسوع في جتسيماني. مجيء النسوة إلى القبر.

إذا وضعنا جانباً متتالية الآلام، نلاحظ بصورة خاصة رسالة يسوع في الجليل حسب فصل 6: تكثير الخبز، السير على المياه، الخطبة على خبز الحياة والقريبة من «مجموعة الخبز» عند الإزائيين، اعتراف بطرس بالمسيح[4]. ولكن يجب على المشابهات ألا تنسينا الاختلافات. لنأخذ مثلاً عماد يسوع الذي يرد عند الإزائيين في إطار خبر. أما يوحنا فلا يلمح إلى المعمودية إلا في إطار شهادة يوحنا[5]. إذاً، نحن

---

(1) 4: 9.

(2) 12: 37 ـ 40 و12: 44 ـ 50.

(3) 13: 6 ـ 11 و13: 12 ـ 17.

(4) ق مع مر 6: 34 ـ 8: 30.

(5) 1: 32 ـ 34.

أمام تحول عميق لا يفسره فقط ارتباط أدبي. ولنأخذ مشهد الباعة المطرودين من الهيكل: نلاحظ أن مرقس يعطيه معنىً شمولياً: «سيدعى بيتي بيت صلاة من أجل كل الشعوب». كيف نفسر أن يهمل متى العبارة الأخيرة (من أجل كل الشعوب) لو كان نص مرقس أمامه. أما يوحنا فأعطى الحدث معنىً كرستولوجياً. إن طرد حيوانات الذبائح تدل على نهاية الهيكل الأول وتهيئ لبناء هيكل جديد هو المسيح القائم من بين الأموات[1].

ثالثاً: ينابيع الإنجيل الرابع حسب بولتمان.

يبدأ بوقان فيبعد تصليحات منسوبة إلى الكاتب الكنسي[2]. ثم يميز في الإنجيل الرابع ثلاثة ينابيع. الينبوع الأول: خطب وحي من أصل غنوصي نسبت إلى يسوع. أولها هو المطلع. ثم توزعت سائر الإعلانات في الإنجيل ولا سيما تلك التي تبدأ: أنا هو الخبز الحق والحياة والراعي والحقيقة. إن هذا الينبوع يقدم النص الذي انطلق منه الإنجيلي فتوسع في كرازته الخاصة. ولكن بفعل خدعة أدبية وضع النص والكرازة في فم يسوع نفسه. الينبوع الثاني: إن الأقسام الإخبارية في فصل 1 ـ 12 ولا سيما أخبار العجائب أخذت من «مجموعة الآيات» التي تنتهي مع الخاتمة في 20: 30 ـ 31. لم يأخذ يوحنا معطياته الإخبارية من الإزائيين بل من مجموعة الآيات. ويتألف الينبوع الثالث من خبر الآلام وظهورات المسيح القائم من الموت. لن نتوقف عند هذه النظرية وما فيها من أخطاء.

3 ـ مراحل التاليف:

سنقدم هنا ثلاث نظريات: **أولاً:** نظرية شناكنبورغ الألماني الذي حاول أن يحدد الخلفية الدينية والمضمون اللاهوتي للإنجيل الرابع. المرحلة التأليفية الأولى تقابل مرحلة التقاليد السابقة ليوحنا: أخبار على مثال ما نرى عند الإزائيين، مجموعة الآيات، أقوال يسوع التي نقلت بطريقة شفهية أو دمجت في قطعة ليتورجية. قال شناكنبورغ أولاً إن الرسول يوحنا كان كفيل هذه المعطيات التقليدية، ثم تحدث عن

---

(1) 2: 19 ـ 22.

(2) ذكر الماء في 3: 5، النصوص عن الإسكاتولوجيا التقليدية في 5: 28 ي أو عن الأسرار في 6: 52 ـ 58؛ 19: 34 ب ـ 35.

التلميذ الحبيب الذي كان من أهل أورشليم ومن أخصاء يسوع دون أن ينتمي إلى حلقة الرسل الاثني عشر. وتتمثل مرحلة التأليف الجوهرية بعمل الإنجيلي الذي هو تلميذ الرسول والذي طبع بطابعه الخاص كل المواد التي استعمل. لهذا نجد وحدة أدبية ولاهوتية في الإنجيل الرابع. ولكن الكاتب لم ينه كتابه، فجاء الناشر فاستعمل معطيات متبقية[1] ولاسيما فصل 21 وقلب النظام الأول ولاسيما فصل 5 وفصل 6.

ثانياً: نظرية براون الأميركي. وزع على خمس مراحل تاريخ تدوين الإنجيل الرابع. ـ **المرحلة الأولى**: نقطة الانطلاق: كرازة شفهية قام بها يوحنا بن زبدى. ـ **المرحلة الثانية**: جمع تلاميذ يسوع ذكريات معلمهم. نجد في هذه المرحلة من التكوين تأليف الأخبار والخطب الكبرى. دونت هذه العناصر المتنوعة أيد عديدة. لهذا نجد اختلافات في الإنشاء ولا سيما في فصل 21.

المرحلة الثالثة: وبعد الوعاظ اللاهوتيين جاء الإنجيلي وهو التلميذ البارز في الحلقة اليوحناوية. كتب في اليونانية فألف مجموعة تضم الرسالة في الجليل والرسالة في اليهودية. ولكنه أغفل بعض العناصر التي تنتمي إلى التقليد اليوحناوي. ـ المرحلة الرابعة: ظهرت بعض هذه العناصر في «طبعة» ثانية نجد فيها حرباً على تلاميذ المعمدان أو على اليهود الذين يطردون من المجمع أبناء دينهم المتعلقين بالإيمان المسيحي[2]. ـ المرحلة الخامسة: استعاد المؤلف الأخير عناصر المرحلة الثانية التي تركها الإنجيلي جانباً حين قدم «طبعتي» مؤلفه.

ثالثاً: نظرية بوامار الفرنسي. وزع تكوين الإنجيل الرابع على أربع مراحل. **التدوين الأول** ويسميه بوامار الوثيقة (ج) ليحدد موقعه بالنسبة إلى التقليد الإزائي. شكل هذا التدوين إنجيلاً كاملاً يبدأ بشهادة يوحنا وينتهي بظهورات القائم من الموت، ولكنه لم يضم واحدة من الخطب الكبرى. أورد خمس معجزات وتحدث عن فصح واحد. احتلت السامرة في هذا التدوين مكانة هامة. سُطّر حوالي السنة 50 في فلسطين فمثّل تقليداً مستقلاً عن تقليد الإزائيين. كاتبه هو يوحنا الرسول أو لعازر من بيت عنيا.

التدوين الثاني: حوالي السنوات 60 ـ 65 استعاد كاتب آخر (يوحنا 2 أ) نص

---

(1) مثلاً 13: 3 ـ 21، 31 ـ 36، 44: 12 ـ 50، 15: 1 ـ 17: 26.
(2) 9: 22؛ 16: 2.

الوثيقة (ج) وزاد عليها أخباراً تخص التقليد الإزائي كما زاد بعض خطب يسوع. ظل التصميم هو هو تقريباً. يحتوي هذا التدوين سبع معجزات ويتوسع في الجدال مع اليهود في إطار عيد المظال.

التدوين الثالث: حوالي نهاية القرن الأول استعاد الكاتب نفسه في آسيا الصغرى عمله السابق ليجعله يلائم المشاكل الجديدة[1]: خلافات داخلية مع خطر انشقاق[2]، صعوبة الإيمان لدى مسيحيي الجيل الثاني، هجومات المحيط اليهودي على المسيحيين. وزع الكاتب حياة يسوع على ثمانية أسابيع وشدد على ثلاثة أعياد الفصح. فمن الوجهة التعليمية، تميزت هذه المرحلة بالتوسيع في التعليم عن يسوع المسيح والروح المعزي في خطبة الوداع. وصارت الحرب أعنف على اليهود بسبب الحرم الذي أعلنته يمنية على المسيحيين.

التدوين الرابع: في بداية القرن الثاني دمج مسيحي من آسيا الصغرى التدوين الثاني (يوحنا 2 أ) والتدوين الثالث (يوحنا 2 ب) بطريقة تخلو من الفهم. لهذا وجب على الشارح الحديث أن يكتشف الترتيب الأول. ويبدو أن التدوين الثالث (يوحنا 2 ب) هو الأهم وإلى كاتبه ننسب الشميلة اللاهوتية التي تميز الإنجيل الرابع.

جعل بوامار التدوين الثاني في فلسطين والتدوين الثالث في أفسس (وهما المرحلتان الجوهريتان) ليبين التجذر اليهودي والتجذر الهليني في إنجيل يوحنا. ونقول في الختام إن لا اتفاق في ما يخص ينابيع الإنجيل الرابع ولا مراحل تكوينه. ولكن هذا يعني أننا أمام تعميق متواصل لكلمة الله. فالقراءة اللغوية تساعدنا على استشفاف مراحلها. وأهم معيار يبقى التكرار. فالخطبة الإفخارستية في 6: 51 ب ـ 58 تكمل التوسيع الأول وتقابل مرحلة ثانية تشدد على واقعية التجسد. وخطب الوداع تتوزع على ثلاث أو أربع مراحل: دونت الخطبة الأولى قبل أن يُطرَد المسيحيون اليوحناويون من المجمع. وتجيب الخطبة الثانية على عثار الحرم الذي أعلنه اليهود، وتكشف أن يسوع هو الكرمة الحقيقية التي نتحد بها لنكون شعب الله. وتعالج الخطبة الثالثة التي تقابل خطبة الإزائيين الإسكاتولوجية[3]، عداوة العالم ضد التلاميذ وتتوسع في دور الروح

---

(1) يوحنا 2 ب.

(2) 1 يو 2: 18 ي؛ 2 يو 9 ـ 11.

(3) مر 13: 3 ي، مت 24: 3 ي؛ لو 21: 7 ي.

المؤيد في هذه الظروف. ويمكن أن نرى في فصل 17 الخطبة الرابعة التي هي جواب على التوتر الموجود داخل الجماعة بسبب المتطرفين الذين يستعدون «ليخرجوا من بيننا»[1].

ويجب أن نهتم بالفصل 21 وبالمكانة التي يعطيها للتلميذ الحبيب. إنه يفتح أمامنا منظورات هامة عن حياة الجماعة اليوحناوية، ويساعدنا على تحديد موقعها بالنسبة إلى الكنائس التي ترتبط ببطرس.

4 ـ تاريخ الجماعة اليوحناوية:

كان الشراح يهتمون قبل كل شيء بإنجيل يوحنا على أنه عمل لاهوتي كبير. ولكن منذ بعض الوقت انصبّ الاهتمام على العلاقة بين هذا الإنجيل والجماعة التي فيها تكوَّن. يرتبط هذا البحث، ولا شك، بتحليل الينابيع، ولكنه يتميز أيضاً لأنه يُدخل عوامل جديدة مثل موقع هذه الجماعة بالنسبة إلى سائر المجموعات المسيحية، ويستعمل معطيات رسائل يوحنا وسفر الرؤيا التي ترتبط بقرابة بالإنجيل الرابع. ويجدر بنا أن نميز هنا بين الجماعة اليوحناوية والمدرسة اليوحناوية. فالجماعة هي مجموعة المؤمنين الذين يتأثرون بيوحنا. أما المدرسة فتدل على مجموعة محصورة من التلاميذ تربوا على يد يوحنا واهتموا بأن ينشروا تعليمه. نتوقف هنا على محاولتين حول تاريخ الجماعة اليوحناوية. الأولى تشدد على علاقة التاريخ باللاهوت، والثانية تقدم لنا صورة عن جماعة التلميذ الحبيب.

أولاً: التاريخ واللاهوت في الإنجيل الرابع.

قال مارتين: يجب أن نقرأ أخبار الإنجيل الرابع على مستويين: مستوى تاريخ يسوع، ومستوى الجماعة التي دون فيها هذا الإنجيل. في البداية تكونت الجماعة من يهود يترددون على المجمع. ولكنهم عرفوا أن يسوع هو المسيح. فأجبروا على أن يختاروا بين انتمائهم إلى العالم اليهودي وبين إيمانهم المسيحي. استند مارتين إلى ذكر الحرم ثلاث مرات في يوحنا: مرة أولى خلال الحديث عن المولود أعمى (9: 22: «اتفق اليهود أن يطردوا من المجمع كل من يعترف بأن يسوع هو المسيح»)، ومرة ثانية حين قال إن الزعماء لم يتجرأوا على الاعتراف بيسوع لئلا يطردوا من المجمع (12:

---

(1) 1 يو 2: 19.

42: «آمن رؤساء اليهود، ولكنهم ما أعلنوا إيمانهم مسايرة لليهود، لئلا يطردوا من المجمع»)، ومرة ثالثة في خطبة الوداع (16: 2: «سيطردونكم من المجامع»). وقوة البرهان هي أن الكلمة اليونانية (طرد من المجمع) لا ترد إلا في هذه المقاطع الثلاثة من العهد الجديد.

نفسر هذا الطرد بتصرف جماعة يمنية (حوالي السنة 90 ب م) الذين أدخلوا في صلاتهم الرسمية لعنة «المينيم» (أو الهراطقة) على المباركات (مبارك أنت يا رب) الثماني عشرة وأجبروا الجماعة على التلفظ بها بصوت عال. فأجبر هذا الإجراء المسيحيين الذين من أصل يهودي على طرد نفوسهم من المجمع لئلا ينكروا إيمانهم. ولكن رفض بعض المؤمنين أن يتخلوا عن المجمع. فكانوا مسيحيين في الخفاء وإليهم توجهت بعض المقاطع في الإنجيل الرابع (8: 31 ـ 32: «قال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إذا ثبتم في كلامي، صرتم في الحقيقة تلاميذي: تعرفون الحق، والحق يحرركم»، رج 12: 42). وأصابت الجماعة اليوحناوية صدمة ثانية: التهديد بالموت والاضطهاد المفتوح (10: 28 ـ 29؛ 15: 18: «إن أبغضكم العالم، فتذكروا أنه أبغضني قبل أن يبغضكم»). اكتشفت الجماعة أنها ليست من هذا العالم فتوسعت في كرستولوجيا تمثل يسوع كالغريب الآتي من عالم آخر.

وفي مرحلة أخيرة استعادت الجماعة أنفاسها ووثقت بنفسها. فتوجهت إلى مسيحيي الخفاء الذين لبثوا في المجمع وطلبت منهم أن ينضموا إلى صفوفها وأن يقيموا علاقات مع سائر الجماعات المشتتة لتؤلف معها الرعية الواحدة للراعي الواحد.

ثانياً: جماعة التلميذ الحبيب.

رسم الأب براون تاريخ الجماعة اليوحناوية منذ بدايتها إلى زوالها خلال القرن الثاني المسيحي. انطلق براون مما لاحظه مارتين ووصفه بالمسيحية الوضيعة الإيمان في مسيحانية يسوع فقط. واختلف عن مارتين فاعترف بتأثير التلميذ الحبيب الذي لم يكن من مصاف الاثني عشر بل من جمهور التلاميذ. هذا التلميذ هو الذي أمَّن علاقة الجماعة بأصولها. واهتم براون بارتداد السامريين الذين لم يستطيعوا أن يفهموا الكرستولوجيا التقليدية التي تتحدث عن يسوع ابن داود. فحمَّلوا نظرتهم الخاصة إلى المسيح على أنه موسى الجديد وتعمقوا في كرستولوجيا ستقودهم إلى الانفصال عن

العالم اليهودي. وإن قساوة المجادلات في فصل 7 ـ 8 تعكس التوتر القائم بين اليهود والمسيحيين. ونلاحظ الاهتمام بمسألة الجذور. يعلن يسوع أنه أعظم من إبراهيم[1].

طردت الجماعة اليوحناوية من المجمع، فتوجهت إلى العالم الهليني كما تشهد بذلك الأحداث التي تتكلم عن اليونانيين[2]. وحمل التشديد المتزايد على ألوهية المسيح خطر التقليل من ناسوته. من هنا التوترات الحادة التي تتكلم عنها 1 يو 2: 19؛ 4: 1 ـ 6.

بدت شميلة براون أقوى من شميلة مارتين لأنها تسيطر على مجمل المسائل التاريخية والأدبية واللاهوتية. ولكن هل هذا يعني أننا في اليقين التام؛ كلا. فالأب براون يعتبر نفسه سعيداً إن استطاع أن يقنع ستين في المائة من القراء. كان يتساءل عن تاريخ الجماعة اليوحناوية فتوصل إلى طرح أسئلة تخرج من منظور كاتب الإنجيل الرابع. ما يهتم به يوحنا ليس المؤسسة (أكانت جماعة أو شيئاً آخر) بل التعلق الشخصي بيسوع المسيح والحياة الصوفية. فإذا أردنا أن ندخل في حياة الجماعة يجب أن نقرأ بين السطور مع كل ما تتضمن هذه القراءة من مخاطر.

ثالثاً: المدرسة اليوحناوية في أفسس.

ماذا نستطيع أن نستنتج؛ أولاً: إن جذور الجماعة اليوحناوية هي في فلسطين. لقد تبع التلميذ الحبيب (الذي نعتبره مؤسس الجماعة اليوحناوية) يوحنا المعمدان وظل على اتصال بالحلقات المعمدانية وسعى إلى رد رفاقه القدامى إلى الإيمان المسيحي. لا يجب أن نشدد على تأثير العالم اليهودي «المهرطق». فمجمل المجادلات مع اليهود التي نقرأها في الإنجيل الرابع قد جرت في هيكل أورشليم نفسه وبمناسبة الأعياد. ثم إن معنى السبت ويوم ظهور عمل الله (ف 5) يذكرنا بالمجادلات التي نجدها عند الإزائيين[3]. ولكن ما يميز هذه المجادلات هو وحي يسوع عن نفسه. إن اهتمامات يوحنا في هذا المجال هي اهتمامات تعليمية. فمجيء السامريين إلى الإيمان يشكل قمة القسم المركز على الحياة التي يعطيها يسوع. فلا حاجة إلى تقديم النظرية عما حمله

---

(1) 8: 58.

(2) 7: 35؛ 12: 20.

(3) مر 2: 22ـ 28؛ لو 13: 10ـ 17.

السامريون الذين دخلوا في الجماعة اليوحناوية لأننا نجهل لاهوتهم في القرن الأول. ونود أن نعرف متى ترك التلميذ الحبيب فلسطين وذهب إلى أرض الشتات، إلى سورية أو بالحري إلى أفسس. يتحدث أوسابيوس عن هرب المسيحيين من أورشليم في السنوات 66 ـ 70 وقبل ثورة اليهود على الرومان. ثم إنه من الثابت أن مسيحيين متهودين قد أقاموا في ذلك الوقت في أفسس أو في جوارها. حينئذ يمكننا أن نتكلم عن مدرسة يوحناوية بالمعنى الحصري، يوم كانت الجماعة تدل على تيار ووجهة تفكيرية أكثر منها على مجموعة محددة. وكان اليهود عديدين في أفسس (كما في المدن المجاورة) وكانوا فاعلين. فلما طُرد المسيحيون المتهودون من المجمع جرحوا في الصميم ولهذا سيتكلم سفر الرؤيا عن «مجمع الشيطان». ومقابل هذا انفتح التلميذ الحبيب (مؤسس المدرسة اليوحناوية) على الأسئلة الدينية التي طرحتها النخبة الهلينية، وحاول أن يبين كيف أن الإيمان المسيحي يتجاوب مع الرغبة بالحقيقة الكامنة في كل إنسان مستقيم؛ كلنا يعي أهمية موضوع الحقيقة وموضوع الكلمة (لوغوس) عند السامعين اليونانيين. وما يلفت النظر هو أن يسوع، حين توجه إلى بيلاطس، كلمه بكلام يدركه الجميع: «ولدت وجئت إلى العالم لأشهد للحق»[1]. أما جواب بيلاطس «وما هو الحق؟» فلا يعكس الحالة الفكرية لدى كل الوثنيين.

ج ـ الخلفية الدينية في الإنجيل الرابع:

تميز الإنجيل الرابع عن سائر أسفار العهد الجديد، واستقل بالنسبة إلى التقليد الإزائي. وهذا ما يجعلنا نتساءل عن أصل النظريات الخاصة به. هذا ما يفرض علينا أن نتعرف إلى التيارات الدينية التي التقت في العالم الذي دون فيه هذا الإنجيل. نشير هنا إلى أن الجماعة اليوحناوية تجذرت أولاً في العالم اليهودي قبل أن تجتذب العديدين من العالم الهليني.

طرحت مسألة الخلفية الدينية منذ القرن التاسع عشر بتأثير من مدرسة تاريخ الديانات. وما عادت القضية فقط تساؤلات عن تجذر يهودي أو هليني. فالمسألة أكثر تعقيداً. فهناك الغنوصية المرتبطة بتيارات فارسية. واليهودية المنقسمة إلى يهودية

---

(1) 18: 37.

فلسطينية ويهودية هلينية تنوعت جداً بعد دمار الهيكل سنة 70 ب م. ثم إن دخول العالم الهليني إلى أرض فلسطين كان أعمق مما تصوره كثير من العلماء. واليهودية الإسكندرانية (فيلون هو أعظم ممثليها) ظلت على اتصال باليهودية التقليدية. وأخيراً سنجد قرب الفريسيين والصادوقيين فئة الإسيانيين الذين عرفتنا بهم نصوص قمران. لن نستطيع أن نستنفد هذا الموضوع الواسع. ولكننا نقدم النماذج الرئيسية التي تساعدنا على اكتشاف الخلفية الدينية لإنجيل يوحنا.

1 ـ الغنوصية:

اختلفت الغنوصية عن الرواقية. علَّمت الرواقية تماسك الكون الذي يلجه اللوغوس الإلهي، ودعت الإنسان ليتصرف كمواطن العالم (لا مواطن مدينة خاصة وحسب). أما الغنوصية فولدت من نظرة تشاؤمية إلى الكون: يحس الإنسان أنه غريب في الكون، ويشعر بهذا الانقسام المؤلم بين المادة والروح. أما السؤال الأول الذي يطرحه فهو مسألة وجوده الشخصي. يئس من اكتشاف معنى لوجوده فحاول الإفلات من عالم تسيطر عليه قوى شريرة وعمياء.

وهنا نورد مقطعاً لتيودوتيس احتفظ به إكلمنضوس الإسكندراني وهو يدل على الأسئلة التي تعذب الغنوصيين: «ماذا كنا؟ ماذا صرنا؟ أين كنا؟ أين رمينا؟ إلى أي هدف نسرع؟ من أين نجونا؟ ما هي الولادة؟ ما هي الولادة الجديدة؟».

تذكرنا كلمة الولادة الجديدة بحوار يسوع مع نيقوديمس[1]. أما السؤال: من أين؟ فنقرأه في خطب يسوع أو في الأقوال التي تتكلم عنه[2]. قال بعض العلماء إنه وجد في أساس الغنوصية الإيرانية فكرة المخلص الذي يحصل على الخلاص. تمزق الإنسان الأول ليولد الكون. ثم جاء ليجمع نتف النور الخفية في عالم المادة. والإنسان سيحصل على الخلاص بالمعرفة (غنوسيس أو العرفان). فعليه أن يكتشف ما هو في الحقيقة أو يستيقظ من رقاد الجهل الطويل. ولكن هذا الخلاص لا يدركه الجميع، لأنه حسب المفردات الغنوصية في القرن الثاني، هناك ثلاث فئات: الروحيون، (يرتبطون بالروح)، النفسانيون (يرتبطون بالنفس)، الهيوليون (يرتبطون بالمادة): فالروحاني ينجو

---

(1) 3: 3، 5.

(2) 7: 11، 27 ـ 28؛ 8: 14؛ 9: 29 ـ 30؛ 13: 36؛ 14: 5؛ 16: 5.

بطبيعته، والنفساني الذي يتمتع بالحرية، يقدر أن يذهب إلى الإيمان والخلود، كما يقدر أن يذهب إلى اللا إيمان والفساد، حسب اختياره. أما الهيولي فهالك بطبيعته. حين نقرأ هذه النصوص نفكر بأقوال يسوع التي يمكنها أن تعني أن البعض لا يقدرون أن يسمعوا صوته[1].

كان بولتمان أكثر الشراح الذين استندوا إلى الغنوصية (ولا سيما المندعية. مندع = معرفة. رج السريانية يدع) ليتحدثوا عن إنجيل يوحنا. قال: «تميز دور يسوع الفدائي في إنجيل يوحنا بمعونة المفاهيم الغنوصية: يسوع هو ابن الله الموجود قبلاً، إنه الكلمة الموجودة قبل الزمن. حمل مع الوحي الحياة والحقيقة، ودعا إليه أخصاءه الذين هم كذلك بالحق. وبعد أن يتم العمل الذي حدده له الآب، سيرتفع من جديد عن الأرض ويفتح لأخصائه الطريق الذي يقود إلى المنازل السماوية[2]. إذاً، هي الغنوصية التي أتاحت ليوحنا أن يدرك الطبيعة الحقيقية للفداء إلى أن يرى حضور الخلاص المعطى لنا في شخص يسوع وعمله. وبالتالي أن يفهم أن التاريخ الإسكاتولوجي يبدأ في الزمن الحاضر». ويزيد بولتمان أن الإنجيلي قد أنقذ فكرة المخلص مما فيها من أسطورة، واحتفظ بضرورة الإيمان في النداء الذي يوجهه إلينا صليب المسيح.

ماذا نقول في هذه النظرية؟ أولاً: إن الغنوصيين قد قرأوا بشغف إنجيل يوحنا ولا سيما مطلعه وخطبه. ولكن هل سبقت الغنوصية (كنظام ثنائي ظهر في القرن الثاني فنسب العهد القديم إلى إله أدنى من إله العهد الجديد) ظهور إنجيل يوحنا أم جاءت بعده؟ قال الغنوصيون: إن الشر الذي نتخلص منه هو الضلال والنسيان واللاوعي تجاه الأنا الحقيقي. أما في نظر يوحنا وسائر كتاب العهد الجديد، فالشر يأتي من الخطيئة وهو موقف ترفض فيه إرادتنا إرادة الله. والخطيئة الكبرى في نظر يوحنا هي اللا إيمان ورفض المجيء إلى النور لا الجهل فقط. وهكذا نقول إن فكر يوحنا يقف على مستوى غير مستوى الغنوصية.

2 ـ الهرمسية:

الهرمسية تيار باطني يمثل ديانة النخبة المتعلمة في الحضارة الهلينية. جمعت

---

(1) 23: 8 ـ 24؛ 10: 26.

(2) 14: 6.

كتابات هرمس بعد زمن تدوين إنجيل يوحنا، ولكنها تعود إلى زمن قديم. تدعو أحد النصوص الهرمسية الناس إلى التوبة فتذكرنا بأقوال الإنجيل: «أيها الأرضيون، لماذا استسلمتم إلى الموت وأنتم تقدرون أن تشاركوا في الخلود؟ توبوا يا من جعلتم من الضلال رفيق طريقكم ومن الجهل شريككم. أتركوا هذا النور الذي هو ظلمة. تخلوا عن الفساد ليكون لكم الخلود». ولكن هذه النظرية تتحدث عن انحدار المادة وعن إله ذكر وأنثى. ثم إن بين الله السامي والعالم وسطاء عديدين. كم نحن بعيدون عن مطلع إنجيل يوحنا حيث الكلمة وحده يصنع كل شيء، حيث الكلمة يصير جسداً. ولا يستنكف من أن يأخذ جسداً مادياً.

قارب بعض البحاثة مقالة في الولادة الجديدة من نصوص يوحنا عن الولادة الثانية بالمعمودية[1]. ولكن كتاب هرمس يحدثنا عن أم هي الحكمة، وعن بذار هو الخير الحقيقي، وعن زارع هو إرادة الله الفاعلة بواسطة هرمس الرسول السماوي. هذه الولادة تعطي المعرفة الخلاصية وتقود إلى الانخطاف بواسطة تقنيات جاءت من الهند فيضيع الإنسان في الكل. كم نحن بعيدون عن الصوفية اليوحناوية التي تشدد على الطابع الشخصي للاتحاد بين المؤمن والله[2]. والمحبة التي هي أساسية في يوحنا غائبة عن الهرمسية. لا شك في أنه كان هناك توق لدى النخبة الهلينية. أخذ يوحنا عناصره وحوله تحويلاً جذرياً قبل أن يقدمه في إنجيله.

3 ـ فيلون الإسكندراني:

كان فيلون معاصراً للمسيح وهو أعظم ممثل لليهودية في العالم الهليني. ترك لنا المؤلفات العديدة ولا سيما تفاسير رمزية لشريعة موسى. عاد فيلون إلى الفكر الفلسفي اليوناني ليبرر فرائض الشريعة وليرسم خطاً صوفياً يقود إلى التأمل في الله. مثلاً: أخبار الآباء هي محطات في تقدم النفس. إبراهيم هو صورة الإيمان، يعقوب هو صورة النسك، إسحق هو صورة الكمال. هذا لا يعني أن فيلون يرتاب في حقيقة الخبر الكتابي. بل، إنه يحاول أن يكتشف بواسطة الرموز، معنى أعمق للنصوص. أما موسى فهو الملك والمشترع والكاهن الأعظم والنبي.

---

(1) 3: 3 ـ 5.

(2) رج 6: 56؛ 15: 4 ـ 7؛ 17: 20 ـ 23.

اهتم الشراح بالنصوص المتعلقة باللوغوس (الكلمة) الإلهي كعامل الخلق. وقالوا: هنا نجد ينبوع تعليم مطلع الإنجيل عن دور الكلمة الكوني، عن دور الابن الوحيد.

يصعب علينا أن نقابل فيلون مع يوحنا في هذا المجال لأن فيلون يستعمل كلمة «لوغوس» 1300 مرة في كتبه فتعني العالم المعقول أو قوة الله السامية (مثل الحكمة في الخلق) أو الوسيط بين تسامي الله وحنانه، أو الكاهن الأعظم في الخيمة الأرضية (رج الرسالة إلى العبرانيين). أما يوحنا فيعتبر أن اللوغوس نصب خيمته بيننا بالتجسد ليلعب دور المتشفع للذين يلجأون إليه بإيمان. إنه الهيكل الحقيقي لأزمنة الخلاص.

ويمكننا أن نقارن المقابلة بين يوحنا وفيلون. فالتسمية «إسرائيلي حقيقي» المعطاة لنتنائيل في 1: 47 تفترض اشتقاقاً لكلمة إسرائيل (= الذي يرى الله) عزيزة على قلب فيلون. والعظة على المن التي نستشفها في يو 6 تعود إلى نموذج نقرأه عند فيلون وفي العالم اليهودي الفلسطيني. والتوسعات الرمزية عن الماء والنور والكرمة ليست غريبة عن فيلون. ولكن فيلون يتطلع إلى مسيرة النفس الصوفية، أما يوحنا فيطبق هذه الرموز على شخص المسيح، على الكلمة الذي صار جسداً. بعد هذا يختلف فيلون عن يوحنا لأن مسيحانيته تسير في طريق التلاشي والفناء. تأثر بأفلاطون فبين أن الخلاص يعني النفس التي تتحرر من ثقل رغباتها اللحمية. أما يوحنا فينظر إلى يسوع المسيح ويجعل فيه كل أبعاد الوجود البشري.

إذن، لا نستطيع أن نقول إن فيلون أثر على يوحنا. ولكن يبقى فيلون شاهداً على التوق الديني لدى اليهود العائشين في العالم الهليني. وقد يكون يوحنا التقى بعض هؤلاء اليهود في أفسس فبين لهم أن المسيح جاء يتجاوب مع توقهم إلى الله.

4 ـ اليهودية المنشقة:

ميز كولمان شكلين في العالم اليهودي الفلسطيني في القرن الأول المسيحي: العالم الرسمي والعالم المنشق الذي أدخل إلى فكره عناصر غريبة. فجعل خلفية إنجيل يوحنا العالم اليهودي المنشق وجذر المسيحية العادية في العالم اليهودي الرسمي. وهكذا تكونت علاقة بين الهلينيين في سفر الأعمال[1] الذين كانوا أول من بشر

(1) ف 6 ـ 8.

السامرة، وبيَّن محيط إنجيل يوحنا. تميز الهلينيون بعداوتهم لهيكل أورشليم وكانوا قريبين بجذورهم من الإسيانيين، من جماعة قمران. ولكننا نتساءل: أين نجد اليهودية الرسمية؟ عند الفريسيين أم عند الصادوقيين حيث يتم اختيار رؤساء الكهنة؟ وبين الفريسيين، هناك الخط المتصلب (شمعي) والخط المنفتح (هلال). أما اليهودية المنشقة فتبرز في صور عديدة تشترك كلها في أنها تعارض شعائر العبادة الرسمية. وها نحن سنتحدث عن فئتين: المعمدانيون والإسيانيون.

أولاً: المعمدانيون.

هم أصحاب تيارات يقْظة دينية. عملوا في وسط شعبي فأعلنوا قرب الدينونة الإسكاتولوجية ودعوا الناس إلى الخلاص بتوبة القلب وطقس العماد في الماء من أجل مغفرة للخطايا. توجه طقس العماد إلى الجميع وكان في متناول الجميع بمعزل عن حواجز الطهارة.

الإنجيل الرابع هو الإنجيل الوحيد الذي يقدم الرسل الأولين على أنهم كانوا تلاميذ قدماء ليوحنا المعمدان. وأشار الإنجيل أيضاً إلى الأمكنة التي كان يوحنا يعمّد فيها ومنها بيت عنيا في عبر الأردن وعين نون. وأبرز مرحلة معمدانية في رسالة يسوع[1]، وهذا معطى مهم لنقدر تاريخية الإنجيل الرابع ونكتشف تاريخ الجماعة اليوحناوية. ولكن لا ننس أن الإنجيل الرابع لا يقول شيئاً عن كرازة المعمدان الإسكاتولوجية. كل ما يهمه هو الشهادة التي قدمها السابق لحمل الله.

ثانياً: الإسيانيون.

نجد في نصوص قمران العبارات عينها التي نجدها في إنجيل يوحنا: التعارض بين الحقيقة والكذب، بين النور والظلمة... روح الحق، يسير في الظلمة، ابن الهلاك... وهناك نص في «قاعدة الجماعة» معنْونٌ: قاعدة الروحين، روح الحقيقة وروح الضلال: «الله خلق روح النور وروح الظلمة وأسس عليهما كل ما عمله. واحد يحب الله والآخر يكره مشورة الله ويبغض طرقه». «يتصارع هذان الروحان في قلب البشر... وسيتدخل الله قريباً ليطهِّر العالم من الكبرياء وترفع القلب والجشع والكذب والرياء، وليظْهر التواضع وطول البال والرحمة والفطنة»...

---

(1) 3: 26؛ 4: 1 ـ 2.

هناك موازاة بين هذه الوثيقة وثنائية القديس يوحنا. ويمكننا أن نتوقف أيضاً عند مفهوم الحقيقة في إنجيل يوحنا ونصوص قمران... ولكن رغم هذه التشابهات فهناك اختلافات في العمق. فإصلاح معلم البر (عند جماعة قمران) يرتكز على شريعة موسى التي نمارسها بدقة. وهكذا تتكون جماعة من «الأنقياء» الذين ينعزلون عن جمهور أبناء الإثم وينتظرون الدينونة المقبلة والحكم على الخطأة. أما مكانة المسيح فهي متواضعة في هذه النظرة المستقبلية. ولكن إنجيل يوحنا يتركز على شخص يسوع الذي أوحى إلينا بأبوة الله. وما يفرضه هو الإيمان به والمحبة المتبادلة بين التلاميذ.

5 ـ تجذر الإنجيل الرابع في الكتاب المقدس:

ارتبط إنجيل يوحنا بالتوق الديني لدى العالم الهليني كما ارتبط بالتيارات الهامشية في العالم اليهودي. ولكن له خلفية يهودية. لقد أعلن يسوع للسامرية: «الخلاص يأتي من اليهود»[1]. لسنا أمام اعتبار ثانوي، بل أمام يقين عميق. لا شك في أن اليهود لم يقبلوا يسوع، ولكنه جاء إلى أخصائه[2]. إذا كانوا لم يقبلوه، فهل نلغي كل تيار التهيئة لمجيئه ونعتبر أن لا قيمة لهذا التيار بعد أن ظهر النور الحقيقي؟ كلا. فالإنجيل يهتم بأن يبين أن يسوع هو حقاً مسيح إسرائيل.

يتوزع الحج إلى أورشليم حياة يسوع. إن كان المعلم طرد حيونات الذبيحة، فهو يحب أن يعلم في الهيكل المقدس. وفي الهيكل يجادل اليهود المتكلمين باسم الإيمان الرسمي، ويحاول أن يقنعهم بأن الآب أرسله حقاً. ويدعو موسى ليشهد له: «لو آمنتم بموسى لآمنتم بي أيضاً، لأنه كتب عني»[3]. إذاً سنبين هذا التجذر في الوحي الكتابي فنعدد الإيرادات والتلميحات إلى النصوص المقدسة ثم نبين كيف تنغرز هذه الممارسة في التأويل اليهودي التقليدي.

6 ـ إيرادات النصوص الكتابية:

لا نجد إلا 19 إيراداً صريحاً للكتاب المقدس في الإنجيل الرابع. فإذا زدنا على هذا الرقم التلميحات التي لا نقاش فيها، يبقى العدد أقل مما نجد في الإزائيين ولا سيما في إنجيل متى.

---

(1) 4: 22.

(2) 1: 11.

(3) 5: 46.

إذا قابلنا يوحنا بالإزائيين، اكتشفنا استقلالية يوحنا في استعمال الكتاب المقدس. فهو يهمل إيرادات لها أهميتها في التقليد المعروف. مثلاً: «اسمع يا إسرائيل» وهي ترتبط بوصيتيْ محبة الله والقريب[1]. وإيراد مزمور 110 عن المسيح الذي هو أكبر من داود[2]، والنص المتعلق بالحجر الذي رذله البناؤون فصار رأس الزاوية[3]. وإن استعمل يوحنا نصاً استعمله الآخرون، فهو يبتكر في استعماله. فنص أشعيا[4]: «صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب» يطبقه الإزائيون على يوحنا المعمدان[5]، أما في إنجيل يوحنا فالمعمدان يتلفظ به. ويذكر الإزائيون تقسية إسرائيل في إطار الأمثال[6]. أما يوحنا فيجعلها في نهاية كتاب الآيات. كل هذا يدل على استقلالية يوحنا.

أخذ يوحنا إيراداته وتلميحاته بصورة خاصة من أسفار موسى (خاصة الخروج والتثنية) ومن أشعيا (خاصة القسم الثاني) ومن المزامير. ومثْله عملت نصوص قمران.

غير أن نصوص قمران قدمت تفسيراً قانونياً للشريعة، أما يوحنا فقرأ الكتاب المقدس في منظور رمزي محاولاً أن يصل من خلالها إلى شخص يسوع المسيح.

ـ شريعة موسى:

يتحدث الإنجيل الرابع مراراً عن الشريعة (ترد كلمة ناموس 14 مرة)، ولكنه يعتبرها توطئةً للوحي النهائي في يسوع المسيح، لا نظاماً خلاصياً. وإذ يشير يوحنا إلى وحي اسم الله في سيناء[7]، يكتب في مطلع إنجيله: «إذا كانت الشريعة قد أعطيت لنا بواسطة موسى، فبواسطة يسوع المسيح جاءتنا النعمة والحق»[8]. وهذه الشريعة لا تنفصل عن أسفار الأنبياء كما أعلن فيلبس: «إن الذي كتب عنه في شريعة موسى والأنبياء، قد وجدناه». ولقب نبي الذي يعطى مراراً ليسوع[9]، وإن لم يعبر إلا بطريقة

(1) تث 6: 4 ـ 5؛ لا 19: 18؛ مت 22: 37 ـ 39؛ مر 12: 29 ـ 33؛ لو 10: 27.
(2) مت 22: 44؛ مر 12: 36؛ لو 20: 42 ـ 43.
(3) مز 18: 22؛ مت 21: 42؛ مر 12: 10 ـ 11؛ لو 20: 17.
(4) 40: 3.
(5) مت 3: 23؛ مر 1: 3؛ لو 3: 4.
(6) مت 13: 14 ي؛ مر 4: 12؛ لو 8: 10.
(7) خر 34: 6.
(8) 1: 17.
(9) 6: 14، 7: 40، 52.

ناقصة عن سر شخصه، يدل على وجهة حقيقية من رسالته ويتأمل في تأويل قمراني وسامري لنص تث 18: 15 عن مجيء نبي شبيه بموسى. ومقابل هذا، نجد نصوصاً متعددة تخلق تباعداً ليسوع والجماعة اليوحناوية من «شريعة اليهود». فيسوع يستند إلى أمر قانوني في سفر التثنية فيعلن: «كتب في شريعتكم أن شهادة رجلين مقبولة»[1]. والانفصال واضح خاصة في ما يتعلق بالسبت. فيسوع يتم الأشفية في هذا اليوم[2]. يقدم يسوع براهينه في الإزائيين منطلقاً مما يفعله سامعوه: «من منكم له خروف واحد ووقع في حفرة يوم السبت، لا يمسكه ويخرجه؟ أما في يوحنا فيعود إلى ما يعمله الآب: «أبي يعمل إلى الآن، وأنا أيضاً أعمل»[3]. حين نتبع ترتيب العهد القديم نلاحظ المقابلات بين المرحلة الأولى من تاريخ الخلاص وكمالها في يسوع المسيح.

نصوص البدايات[4]. بداية مطلع يوحنا تستعيد تك 1: 1 كما فسره أم 8: 22. فكلمة الله المماثلة لحكمته نصبت خيمتها هنا في جسد يسوع مع تلميح إلى سي 24: 8). ونفخة المسيح القائم من الموت للروح على تلاميذه تقابل نفخة الخالق لنسمة الحياة في تك 2: 7 (الفعل هو هو في المقطعين) ونرى في تسمية يسوع لأمه «يا امرأة» تلميحاً إلى تك 2: 32، وفي كلمته عن ساعة المرأة إشارة إلى حواء، أم الأحياء.

يذكر يوحنا دورة إبراهيم خلال مجادلة عاصفة[5]. افتخر اليهود بنسل لحمي فحدثهم يسوع عن أعمال إبراهيم التي تقود إلى الإيمان به، عكس أعمال الشيطان الذي هو قاتل منذ البدء[6]. كان إبراهيم يتوق إلى يوم يسوع[7]. ويعود ذكر ذبيحة إسحق[8] في خلفية التعليم عن الفداء في ما عمله الله «الذي يبذل ابنه الوحيد»، وفي لقب

---

(1) 8: 17؛ 10: 34.

(2) 5: 9؛ 9: 14.

(3) 5: 17.

(4) تك 1 ـ 11.

(5) 8: 31 ـ 59.

(6) 8: 44 مع تلميح إلى ترجوم تك 4: 3 ـ 16.

(7) 8: 56 مع تلميح إلى التقاليد الترجومية عن مولد إسحق: تك 17: 17 أو عن رؤية إبراهيم: تك 15: 12 ـ 21.

(8) العقدة والرباط: تك 22: 1 ـ 19 كما في الترجوم الفلسطيني.

حمل الله الذي يشير إلى إسحق «الحمل من أجل المحرقة»[1]. ويذكر يوحنا حلم بيت إيل[2] في 1: 51: بعد اليوم لن يكون اتصال بين السماء والأرض في مكان محدد، بل في شخص ابن الإنسان. وفي خلفية الحوار مع السامرية نعيش في جو التقاليد الآبائية[3]. إن يسوع أعظم من «أبينا يعقوب».

وتحتل دورة الخروج مكانة هامة مع التوسيعات التقليدية التي قام بها التفسير اليهودي. فالآيات والمعجزات التي أتمها موسى في أيام الخروج والبرية[4] تتيح لنا أن نفهم معنى الآيات التي أتمها يسوع: إنه ليس فقط نبياً لا مثيل له بل المرسل الوحيد والنهائي. وسنجد في هذا الإطار توازيات عديدة: من موسى والخبز النازل من السماء، معجزة الماء والوعد بالمياه الحية، ارتفاع الحية النحاسية وارتفاع ابن الإنسان. ولكن في كل هذه الحالات، يسوع هو الآية: إنه خبز الحياة، الماء خرج من جنبه. رفع على الصليب ليجتذب إليه كل الناس في نظرة إيمان.

يسرد يوحنا أعياد اليهود باهتمام، ولكنه يهتم أكثر ما يهتم بعيد الفصح. إنه يختلف عن الإزائيين الذين لا يعرفون إلا عيد فصح واحد في نهاية رسالة يسوع. أما يوحنا فيوزع حياة يسوع العلنية على فترة تتميز بثلاثة احتفالات فصحية. ففي الفصح الأول، طرد يسوع الباعة من الهيكل وأفهمنا أنه هو نفسه الهيكل الحقيقي؛ وفي الفصح الثاني نرى يسوع في الجليل يكثر الخبز علامة عطية جسده لحياة العالم. وفي الساعة التي تذبح فيها حملان الفصح في الهيكل أسلم يسوع الروح على الصليب[5] فحمل الخلاص النهائي والشامل الذي يرمز إليه الطقس القديم.

ـ قراءة أشعيا قراءة كرستولوجية:

هذا ما نكتشفه في 12: 37 ـ 42. يستعمل الإنجيلي نصين يتعلقان بلا إيمان إسرائيل[6] ويعلن: «قال أشعيا هذا الكلام حين رأى مجده وتحدث عنه». فمجّد يهوه

---

(1) تك 22: 8 وترجوم فلسطين.
(2) تك 28: 2.
(3) 4: 5، 6، 12.
(4) رج تث 34: 11.
(5) 19: 36.
(6) الأول أش 53: 1: من نشيد عبد الله المتألم. الثاني أش 6: 9 ي من دعوة أشعيا.

(الرب) صار مجد المسيح. وما يبرر هذا الانتقال هو أن أشعيا كان النبي المسيحاني الأكبر. والتشديد على مُلْك المسيح ولا سيما في بداية الإنجيل وخلال الآلام، يتجذر في حضور الروح الدائم على يسوع بعد المعمودية. وتوقف يوحنا، كما توقف غيره من كتاب العهد الجديد، على الأقوال المتعلقة بعبد الله (عبد يهوه) المتألم. فإعلان يسوع «أنا هو نور العالم» يقابل قول أشعيا 42: 6؛ 49: 6 عن أن العبد سيكون نور الأمم. وفي بداية نشيد عبد الله الأخير نقرأ: «هذا هو عبدي: إنه يرفع ويتمجد جداً»[1]. فاستعمال هذين الفعلين هو في أساس أقوال يوحنا عن ارتفاع[2] المسيح على الصليب وتمجيده الذي لا ينفصل عنه[3]. وسيحصل وحي مجد الله حين يرى الناس مجد الكلمة الذي صار بشراً. يصل إلينا هذا المجد عبر الآيات التي يتمها يسوع[4] ولا سيما عبر عمله السامي. ولكن يوحنا يحول هنا تعليم النبي فيدخل فيه موضوع المحبة: محبة الله للعالم، محبة الابن لأبيه. ويجعل هذا التعليم يمتد إلى اللامحدود: فالإله الذي لا يريد أن يعطي مجده لأحد[5] أعطاه للابن بحيث استطاع الابن أن يستعيد عبارة الوحي الإلهي: «أنا هو». وحين قدم لنا يوحنا لوحة الصليب ضم تأمل عبد الله المذبوح كشاة لا تدافع عن نفسها[6] إلى تأمل الابن الوحيد المطعون حسب نبوءة زك 12: 10.

ـ قراءة المزامير قراءة كرستولوجية:

يرد مزمور 22: 9 بمناسبة اقتسام ثياب يسوع. وينطلق يوحنا من مزمور 41: 10 ليعلن خيانة يهوذا. ويوضح مزمور 69: 10 السبب العميق لذبيحة يسوع. وترجمت آية 5 من مزمور 69 بغض اليهود ليسوع، ووردت آية 22 في صرخة يسوع على الصليب. وأخيراً دمج مزمور 34: 21 مع خر 12: 46 فجمع صورة البار المتألم إلى صورة الحمل الفصحي[7].

---

(1) 52: 13.

(2) 3: 14؛ 8: 28؛ 12: 32 ـ 34.

(3) 7: 39؛ 8: 54؛ 12: 16 ـ 23، 38؛ 13: 31ي، 17: 1، 5، 10.

(4) 2: 11؛ 11: 4، 10.

(5) أش 41: 8؛ 48: 11.

(6) أش 53: 7.

(7) 19: 36.

ويمكننا أن نتابع هذا البحث فنذكر التلميحات إلى دا 7 في المقاطع المتعلقة بابن الإنسان، والتلميحات إلى النصوص الحكمية التي نستشفها خلف مطلع الإنجيل وخطبة خبز الحياة: «من يأت إلي لا يجوع، ومن يؤمنْ بي لا يعطشْ أبداً»[1]. وهكذا يتم وعد الله للأنبياء: «يكونون كلهم تلاميذ الله»[2].

7 ـ التأويل عند يوحنا والتأويل اليهودي:

هناك طرائق متعددة لقراءة الكتاب المقدس: قراءة الرابانيين، قراءة محيط الإسكندرية، قراءة جماعة قمران. وهناك القراءة الجارية في المجامع يوم السبت التي نجدها خاصة في التراجيم والأسفار المنحولة. سنتوقف عند هذه القراءة الأخيرة ونعطي بعض الأمثلة.

المثل الأول: الحوار بين يسوع والسامرية على بئر يعقوب. إنه يحمل كخلفية التوسعات المدراشية عن بئر البرية التي أخرج منها موسى الماء بطريقة عجائبية. ويقول التأويل اليهودي إن هذه البئر الفائضة بالمياه تدل على الشريعة. ويتوسع الترجوم في نشيد البئر في عد 21: 18: «البئر التي حفرها سابقاً أسياد العالم إبرام وإسحق ويعقوب، وأكملها أناس فطنون من الشعب هم السبعون حكيماً الذين وضعوا جانباً. ثم جاء سيدا إسرائيل، موسى وهارون، فقاساها بعصيهما. ومنذ زمن البرية أعطيت لهما كموهبة».

نجد التفسير عينه في نصوص قمران، وهذا ما يدل على أننا أمام تقليد قديم. وهكذا يتخذ يو 4 وجهاً جديداً حين نقابل الماء الحي الذي وعد به يسوع بماء الشريعة، والتعلم عن العبادة بالروح والحق بالممارسة اليهودية أو السامرية المركزة على موضع للعبادة منظور، أورشليم أو جبل جرزيم.

المثل الثاني: يو فصل 6 والخطبة عن خبز الحياة. نحن نفهم بطريقة أفضل أهمية المن في الخطبة عن خبز الحياة إذا قابلنا هذا الفصل بالشروح اليهودية المستوحاة من هذا الحدث. لقد لاحظ المفسرون أن حركة النزول والصعود قد عكست: «في الماضي كان المن يصعد من الأرض والندى تنزل من السماء كما قيل: أرض حنطة وخمر. السماء أمطرت الندى. أما الآن فتبدل الوضع: بدأ الخبز ينزل من السماء والندى تصعد

---

(1) 6: 35؛ رج أم 9: 1 ـ 6؛ سي 24: 19 ـ 22.
(2) 6: 45؛ رج أش 54: 13.

من الأرض لأنه كتب: ها أنا أمطركم خبزاً من السماء. وكتب أيضاً: وصعدت طبقة من الندى». نقابل هذا التفسير بالإشارات إلى نزول خبز السماء[1] وإلى صعود ابن الإنسان[2]. ولا نفهم النداء الذي أطلقه يسوع في يوم العيد «إن عطش أحد فليأت إلي» إلا في علاقته بانتظار ينبوع الهيكل[3] وبليتورجية يوم العيد: إذ كانوا يحملون باحتفال مياه شيلوح، كانوا ينشدون هذه الآية من أشعيا[4]: «تستقون بفرح من مياه الخلاص». إنه يسوع يقدم نفسه على أنه هيكل الخلاص النهائي.

د ـ اللاهوت في الإنجيل الرابع:

اعتبر يوحنا اللاهوتي منذ العصور المسيحية الأولى، والضيعة التركية التي تحتفظ بقبره قرب أفسس تشهد بذلك: «أيا سوليك» أي القديس اللاهوتي. وتؤكد هذه التسمية كتابة وجدها علماء الآثار: أيها الرب، أنت الله مخلصنا، ويوحنا هو الإنجيلي واللاهوتي، ارحم عبدك الخاطئ.

نفهم هذا اللقب الجليل من اتساع مطلع الإنجيل الذي انطلق منه يوحنا للتأمل في السر المشع لحياة الله. إذا اقتصرنا على معطيات الإنجيل الرابع نلاحظ أن التلميذ الحبيب هو في نظر الجماعة اليوحناوية الشاهد الأول[5]. فموضوع الشهادة سيوجهنا شطر أحد الأبعاد الجوهرية في الإنجيل الرابع: ففي الدعوى التي تجعل عالم الظلمة يقف في وجه المسيح النور، يقدم يوحنا شهادة: يسوع هو المسيح وهو ابن الله[6]. وهذه الشهادة تصل إلينا بتأثير الروح الحق، المؤيد الذي يوبخ العالم على خطيئة الكفر واللاإيمان، وتدعو التلاميذ إلى الوحدة. فبعد أن نتوقف عند موضوع الدينونة، نلقي ضوءاً على الشهادة عن المسيح. وبعد أن نحدد دور الروح القدس، نتطلع إلى صورة الكنيسة التي نستشفها من إنجيل يوحنا.

---

(1) يرد فعل نزل 7 مرات: 6: 33، 38، 41، 42، 50، 51، 58.
(2) 6: 62.
(3) حز 47؛ زك 13: 1.
(4) 12: 3.
(5) 19: 35؛ 21: 24.
(6) 20: 31.

1 ـ الدينونة الحاضرة:

يحتل إعلان الدينونة موضعاً هاماً عند الأنبياء وفي الأسفار الجليانية. كان الأنبياء يعتبرون أن الدينونة تتم في قلب التاريخ. أما أصحاب الرؤى، فبعد أن يئسوا من الضيق الحاضر، انتظروا كل شيء من تدخل صاعق لله في نهاية هذا الزمن الحاضر. ويدخل يوحنا المعمدان في هذا المجال، كما أن هناك كلمات عديدة (أوردها الإزائيون) تشير إلى هذا اليوم الرهيب. فالخطبة الجليانية في مر 13 تدل على أن القلق أمام اليوم القريب شغل بال الجماعات الأولى. ولكن يسوع أعلن أمام الذين أرادوا أن يحسبوا الأيام والسنين، أن اليوم والساعة سر من أسرار الآب[1]. وهكذا علَّم يسوع الخائفين من طلائع هذا اليوم الرهيبة أن يتحلوا بالشجاعة والرجاء[2]. أما في الإنجيل الرابع فالمناخ مختلف عن هذا الجو. لا شك أننا نجد مفردات الدينونة في كل الكتاب، ولكنها دينونة في الزمن الحاضر. نقرأ 29 مرة بطريقة احتفالية كلمة «الآن»: «الحق الحق أقول لكم: ستأتي ساعة، وهي الآن، حين يسمع الموتى صوت ابن الله والذين يسمعونه يحيون»[3]. وإذْ أعلنت مرتا إيمانها بالقيامة في اليوم الأخير، أجابها يسوع: «أنا القيامة والحياة: من يؤمن بي وإن مات فسيحيا»[4]. والآلام التي تبدو فشلاً، تشكل في الواقع ساعة الدينونة الإسكاتولوجية ضد رئيس هذا العالم الذي ضلل البشر مدة طويلة: «الآن دينونة هذا العالم. الآن يرمى سيد هذا العالم خارجاً»[5]. وكل منا مدعو أمام المسيح لكي يتخذ موقفاً، لكي يوافق: هل هو من حزب النور، هل هو من حزب الظلمة[6]؟ ويسوع يمتنع حسب الظروف أن يدين أياً كان ويترك الحكم للآب أو هو يقدم كلمته كديان: «من رذلني ولم يقبل كلامي فله دينونة: الكلمة التي قلتها تدينه في اليوم الأخير»[7]. إنه ابن الإنسان ولقد نال السلطان ليدين. فبكلمته وعمله تنقلب الأوضاع: حسب المولود

---

(1) مر 13: 32.
(2) مر 13: 20؛ لو 21: 28.
(3) 5: 25.
(4) 11: 25.
(5) 12: 31.
(6) 3: 19 ـ 21.
(7) 12: 48.

أعمى خاطئاً ولكنه توجه نحو النور. أما الذين حسبوا نفوسهم تلاميذ أمناء لموسى فانغمسوا في خطيئتهم[1].

لا نستطيع أن نعزل هذا التشديد الدراماتيكي على الدينونة، عن إعلان حب الله الخلاصي. «لقد أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه ووحيده لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»[2]. فوحي يسوع لا يوصلنا إلى إله يعاقب بلا شفقة، بل إلى أب يعمل دوماً من أجل خلاص البشر. وما يحمله يسوع إلى سامعيه هو الحياة والحياة بوفرة. أما الدينونة فهي الوجه السلبي لجدية الحب الإلهي، وهي العلامة أن رسالة الابن هي آخر محاولة من قبل الله نحو البشر. فلا ننتظرْ بعْد شيئاً. فمع الابن أعطي لنا كل شيء، أعطيت النعمة والحق[3]. وما يطلبه الله هو أن نقبل عطيته بالإيمان.

إن التشديد على الزمن الحاضر كزمن قرار، يرافقه تركيز تعليمي على فعل الإيمان. كان الإزائيون قد أوردوا كلمات يسوع على القيمة الخلاصية للإيمان والثقة: «اذهبي، إيمانك خلصك»[4]. أما يوحنا فتجنب الكلمة المجردة «إيمان»، واستعمل الفعل «آمن» الذي يشدد على الطابع الفاعل للإيمان، على تحرك الإنسان الداخلي باتجاه المسيح، على خروج المؤمن من ذاته من أجل تعلق حميم بيسوع. هذا هو موقف التلاميذ الذين اكتشفوا مجد يسوع في قانا: «فآمنوا به»، أي تعلقوا به بطريقة نهائية. فالإيمان هو مبدأ الوجود المسيحي وقلبه. فالإيمان يلخص مشاركة الإنسان في عمل الله[5]. وقد وعد المؤمنون بأنهار مياه حية[6] جرت من جنب المسيح ساعة تمجيده. وينتهي خبر الظهورات الفصحية في تطويبة المؤمنين[7]. فالإيمان يقود إلى الحياة.

---

(1) 9: 40 ـ 41.
(2) 3: 16؛ رج 1 يو 4: 9 ـ 10.
(3) 1: 17.
(4) لو 7: 50؛ رج 8: 48؛ 17: 19.
(5) 6: 29، 40.
(6) هي صورة الروح 7: 37 ـ 39.
(7) 20: 29: «طوبى للذين لم يروني وآمنوا».

2 ـ شخص يسوع:

أولاً: يوحنا ومرقس.

هناك اختلاف واضح بين عرض مرقس لشخص يسوع وعرض يوحنا له. ففي مرقس، لا يكشف يسوع عن نفسه إلا بطريقة تدريجية، فيفرض السر المسيحاني على الذين يلجون سر رسالته وشخصه. وسوف ننتظر مشهد قيصرية فيلبس ليسأل يسوع تلاميذه عن رأيهم فيه[1]. وما إن تفوه بطرس بإعلانه المسيحاني حتى فرض عليه يسوع الصمت. أما في الإنجيل الرابع، فما أن يلتقي التلاميذ بيسوع للمرة الأولى حتى يعبِّروا عن حماسهم بأقوال متنوعة: «لقد وجدنا المسيح»، «رابي، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل»[2]. ويسوع لا يعارض أفعال الإيمان هذه، بل يتجاوزها فيقدم نفسه كابن الإنسان المتسامي على الملائكة. وحين يلتقي السامرية يعلن لها أنه المسيح المنتظر. وفي أول خطبة له في أورشليم قدم نفسه أنه الابن. وسيكرر فيما بعد إعلاناته. والسؤال الحاسم الذي احتفظ به الإزائيون في إطار الدعوة اليهودية يوم الجمعة العظيمة[3] قد قدمه يوحنا قبل ذلك بأشهر عديدة[4].

وهناك سمات تجعلنا نعتقد أن ليس في يسوع ما يدل على بشريته. هو يعرف كل شيء مسبقاً. لقد رأى نتنائيل تحت التينة قبل أن يلتقي به للمرة الأولى[5]. هو لا يثق بأهل أورشليم «لأنه يعرفهم كلهم»[6]. يعرف كيف يطْعم الجمع ولا يسأل التلاميذ إلا ليمتحنهم. يعرف من هو الخائن مسبقاً كما يعرف أن لعازر قد مات قبل أن يصعد إلى بيت عنيا. أما المعجزات فتبدو عند يوحنا ظهورات إلهية[7]. يكفي أن يتكلم يسوع ليقع الحرس الذين أتوا ليوقفوه.

ثانياً: يسوع هو إنسان حقيقي.

نحن لا ننكر هذه السمات التي تعطي يسوع في إنجيل يوحنا تعبير وجه يختلف

---

(1) مر 8: 27 ـ 30.
(2) 1: 41 ـ 49.
(3) 1: 51.
(4) 10: 24 ـ 36.
(5) 1: 48.
(6) 2: 24 ي.
(7) 2: 11؛ 6: 20.

عما نقرأ عند الإزائيين. ولكننا نحافظ على الطابع الواقعي لبشرية يسوع. اختلف يوحنا عن الأناجيل الغنوصية التي قدمت وحياً لا زمنياً عن مسيح روحاني. أما هو فظل أميناً للإطار الزمني للتقليد الإنجيلي. سنشدد على هذا الأمر فيما بعد. أجل، إن يوحنا يستعمل كلمة إنسان ليصف يسوع 15 مرة. وإليك بعض العبارات: قالت السامرية لأبناء بلدتها: «تعالوا وانظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت»[1]. ودافع جملائيل عن يسوع بهذه الكلمات: «هل تحكم شريعتنا على إنسان دون أن تسمعه»؟

ـ التاريخ والرمز في إنجيل يوحنا:

نتوقف في هذا البحث عند التاريخ والرمز في إنجيل يوحنا. وننهي حديثنا عن الإنجيل الرابع بالتعرف إلى شخصية يوحنا الرسول، ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه.

أ ـ التاريخ والرمز:

أكدت خاتمتا الإنجيل الرابع[2] إرادة الإنجيلي في سرد الوقائع التاريخية التي توقظ الإيمان وتغذيه. أما التقليد المسيحي القديم فلم يشك في القيمة التاريخية للإنجيل. ولكن ترتيب حياة يسوع أثار مجادلات منذ اكتشاف قانون موراتوري في القرن الثامن عشر. ثم إن خصوم المسيحية، أمثال سلسيوس وبورفيروس، أبرزوا الخلافات بين الأناجيل الأربعة ليدمروا شهادتها. فاهتم آباء الكنيسة، ولا سيما أوريجانس وأغوسطينس، بالبرهنة أن النصوص تتكامل وتتناسق. أما على مستوى اللاهوت، ففرض العرض اليوحناوي (وجود المسيح السابق) نفسه بحيث أهمل الشراح السمات البشرية التي يتحلى بها يسوع في إنجيل يوحنا أكثر منه في إنجيل مرقس. أما النقد الحديث فزعزع الثقة بشهادة التلميذ الحبيب. تحدثنا مثلاً عن محاولة بولتمان (ومدرسة تاريخ الديانات) ليحدد تبعية الإنجيل الرابع لتيارات زمنه الدينية. وجعل النقاد الأدبيون تأليف الإنجيل الرابع يتم في القرن الثاني ويرتبط بالإزائيين. ولنعط مثالاً عن أقوالهم: «ليست اهتمامات الإنجيلي وإلهامه من نوع التاريخ أو السيرة. هدفه دفاعي وتعليمي ولاهوتي. استعمل يوحنا التقليد الإزائي بحرية وكيفه حسب الظروف. فجاءت الاختلافات بين

---

(1) 4: 29.

(2) 20: 30ي؛ 21: 24ي.

الإنجيل الرابع وسائر الأناجيل نتيجة هذه التكيفات. إن خطب يوحنا تعبر عن فكر الإنجيلي (لا عن فكر المسيح). إذن، ليس الإنجيل الرابع ينبوعاً نستطيع أن نغرف منه لنكتب سيرة يسوع. يجب أن نستعمله مع الإزائيين مفضلين الإزائيين عليه».

لن نتوقف عند هذا الكلام وما يمكن أن يكون فيه من مغالطات. في الحالة الحاضرة للدراسات اليوحناوية المطبوعة بتجديد الأساليب وتنوع الوجهات، لا نجد اتفاقاً في خط أو في آخر. ولكننا سندرس مسألة تاريخية الإنجيل الرابع بعد أن درسنا في جزء سابق تاريخية الأناجيل الإزائية. نقدم بعض المحطات المنهجية، قبل أن نبين تجذر الإنجيل الرابع في تقليد تاريخي متين، ونبين تنوع الرموز التي يتضمن.

الاعتبار الأول: إن القيمة التاريخية للإنجيل الرابع مستقلة عن الجواب المعطى للسؤال عن كاتبه. هذا معطى عام يتعلق بدراسة الأناجيل. فالنظرة الدفاعية القديمة المؤسسة على أن الإنجيليين هم شهود عيان صادقون قد أعيد النظر فيها على ضوء أعمال المدرسة التكوينية: ليس الإنجيليون كتاباً فرديين يسطرون مؤلفاتهم بمعزل عن جماعة تحمل التقليد. كائناً من كان مؤلف الإنجيل الرابع، فقد يكون بين يديه وثائق مكتوبة أو تقاليد شفهية قيمة.

الاعتبار الثاني: لا نفهم الواقع التاريخي بمعنى العلم الوضعي الذي عرفته نهاية القرن التاسع عشر. فطبيعة العلم التاريخي تفرض علينا أن نقر بأنه ليس من استعادة للماضي من دون تفسير، وأنه ليس من مؤرخ يعمل دون إيديولوجية سابقة، وأنه ليس من نقد للمراجع دون نظرة مسبقة ترتبط بفلسفة عامة وموقف ديني شخصي. إذن، لن نقيِّم يوحنا بالنظر إلى موضوعية تاريخية قادتنا في الماضي إلى مشاريع فاشلة حاولت أن تكتب «سيرة يسوع».

الاعتبار الثالث: تركزت كتب سيرة يسوع على المبدأ التالي: حين ننطلق من مرقس، أقدم الأناجيل وأقلها لاهوتاً، نستطيع أن نستخلص السمات الأساسية لنرسم صورة يسوع. أما الشرح المعاصر فأبرز قيمة مرقس الكرازية واللاهوتية، كما اكتشف قيمة متى ولوقا. من هذا القبيل، لم يعد يوحنا معزولاً، وإن توسع في لاهوت اختلف عن لاهوت سابقيه. إذن، لن نستطيع أن نعارض الإنجيل الرابع بإنجيل مرقس فنقول إن يوحنا هو تأمل لاهوتي، ومرقس هو شهادة غير متقنة عن البداية.

الاعتبار الرابع: هل تكون الرمزية الموجودة في الإنجيل الرابع حاجزاً لتجذره في التاريخ؟ سؤال صعب، ولكنه مهم من أجل فهم الإنجيل الرابع بعد أن عارض البحاثة بين التاريخ والرمز معتبرين أنهما بعدان لا يتوافقان. ولكن العلوم الإنسانية (ومنها التفكير الفلسفي) تكشف عن ضرورة الرمز وقيمته: إنه ترجمة ملموسة لمعطيات وجودية يتم فيها مصير البشر. ثم إنه لا وجود لواقع إن لم يفسر، والرمز شرط ضروري لتقييم أبعاد واقع في مسيرة التاريخ. فقد يهدف التقديم الرمزي إلى اكتشاف كل هذه الخلفية في حياة القارئ الشخصية أو في تاريخ الجماعة.

الاعتبار الخامس: اهتم العلم الحديث بالجماعة اليوحناوية، وبحث العلماء في النصوص انعكاس اهتماماتها وصراعاتها. هذا البحث هو شرعي. ولكن يجب أن لا ينسينا أن الإنجيل الرابع هو قبل كل شيء شهادة عن حياة وتعليم شخص تاريخي هو يسوع الناصري. فإذا أردنا أن نتعرف إلى تاريخ الجماعة ننطلق من النصوص.

1 ـ تقاليد يوحنا التاريخية:

إذا وضعنا المطلع جانباً، فالإنجيل الرابع يتميز جذرياً عن الأناجيل الغنوصية التي كانت كثيرة في القرن الثاني (إنجيل توما، إنجيل فيلبس، إنجيل الحقيقة. . .). فيوحنا لا يعرض تعليم يسوع في إطار لا زمني بل خلال حياة مدرجة في محيط يهودي ومطبوعة بصراعات متزايدة مع الخصوم حتى الآلام. حتى خطبة الوداع التي قيلت أمام التلاميذ وحدهم، ليست تعليماً سرياً وباطنياً محفوظاً لبعض المتدرجين. نحن أمام تعليم يتوجه إلى الجميع. فهدف الإنجيل الرابع يختلف عن هدف الغنوصيين الذين لا يهمهم إلا مسيرة النفس إلى الله.

أولاً: إطار حياة يسوع.

يجعل الإزائيون نشاط يسوع يبتدئ بعد توقيف يوحنا المعمدان. أما الإنجيل الرابع فيختلف عنهم ويشهد لوجود مرحلة معمدانية في رسالة يسوع. حدثنا مرقس عن نداء فجائي للتلاميذ الأولين[1]، أما الإنجيل الرابع فقدم لنا رسلاً عديدين كانوا تلاميذ يوحنا القدامى وجعلنا نتعرف إلى مسيرتهم الإيمانية.

---

(1) مر 1: 14 ـ 20.

يتميز الإنجيل الرابع بعدة زيارات ليسوع إلى أورشليم، وبصمته على الرسالة في الجليل[1]. ومع هذه الفجوات الواضحة، فإن تسلسل الأحداث يلفت انتباه المؤرخين ويجعلهم يوزعون أحداث حياة يسوع العامة على سنتين ونصف السنة. بينما لا يعرف مرقس إلا سنة واحدة من النشاط الإنجيلي.

وتبقى مسائل معلقة: متى طرد الباعة من الهيكل؟ بعد أول فصح كما يقول يوحنا[2]. بعد آخر فصح، كما يقول الإزائيون. ونتوقف عند زمن الآلام وفيه يختلف يوحنا عن الإزائيين. يقول هؤلاء إن يسوع احتفل بالعشاء الفصحي مع تلاميذه وأعلن فيه حكم الإعدام يوم الفصح. فرجوع سمعان القيريني من الحقل وكل البلبلة حول محاكمة يسوع لا معنى لهما إذا كان يسوع قد أوقف يوم العيد. أما يوحنا فيحدد أن يسوع أُمسك ليلة العيد[3]، في يوم التهيئة.

ثانياً: التحديدات الطبوغرافية (رسم الأماكن) في الإنجيل الرابع.

إذا أردنا أن نتعرف إلى التجذر التاريخي للإنجيل الرابع، نتوقف عند أسماء الأماكن. فيوحنا يتحدث عن أمكنة عديدة: يعرف بيت عنيا في عبر الأردن وقانا الجليل وينابيع عين نون وسوخار في السامرة مع بئر يعقوب وضيعة أفرام حيث يختبئ يسوع. وهو يعرف طبوغرافية أورشليم: بركة سلوام وبركة بيت زاتا (أو بيت حسدا) ذات الخمسة أروقة التي اكتشفها علماء الآثار. يذكر وادي قدرون والمكان المسمى في اليونانية ليتوس ستروتوس (أو تبليط الحجر) وفي العبرانية جباتا أو المكان العالي، ويسمي الجلجلة موضع الجمجمة وفي العبرية (أي الآرامية) جلجثة[4]. يشير إلى باب سليمان في الهيكل والمكان المسمى الخزانة.

لا شك في أن تحديد الموضع لا يكفي ليكفل قيمة الخبر التاريخية. ولكنه إشارة تساعدنا مع غيرها من إشارات. أما يوحنا فلا يقدم التفاصيل بصورة مجانية. إنه يدمجها في سلسلة من المفاهيم يكشفها الشارح ويستخلص بعد المشهد اللاهوتي. ستظْهر لنا طريقة يوحنا عندما ندرس تقديمه لمعجزات يسوع.

---

(1) 4: 43 ـ 54؛ 6: 1ي.

(2) 2: 13 ـ 22.

(3) 18: 28.

(4) 19: 17.

ثالثاً: تفاصيل مثيرة.

نعطي بعض الأمثلة التي تلقي ضوءاً على البعد التاريخي في الإنجيل الرابع. حسب مرقس، أطلق يسوع التلاميذ بعد تكثير الخبز الأول[1]: لا يشرح مرقس السبب. أما في نص يوحنا فنلاحظ أن يسوع أراد أن يجنب تلاميذه مشاركة الشعب في حماسهم[2]. حسب قول نقله لوقا[3]، أراد يسوع مراراً أن يجمع أبناء أورشليم، ولكنه اصطدم برفض سامعيه. يأخذ هذا الإعلان كامل معناه إذا حسبنا حساب الصعودات المتكررة إلى أورشليم في الإنجيل الرابع. وهو وحده يجعلنا نرى تزايد عداوة السلطات اليهودية ضد يسوع. وهكذا تظهر دعوى يوم الجمعة العظيمة خاتمة دراما طويلة. وهناك تفصيل يسترعي الانتباه بصورة خاصة: بعد قيامة لعازر، تحاشى يسوع أن يروح ويجيء بطريقة ظاهرة بين اليهود، فاعتزل في منطقة قريبة من البرية، في مدينة اسمها أفرام، فأقام فيها مع تلاميذه[4]. في هذا الظرف بدا يسوع كإنسان فر وأجبر على أن يختبئ. ولكن هذه الملاحظة تتعارض وميول الإنجيل الرابع الذي يشدد على مبادرة يسوع في تحركاته. وفي الوقت ذاته نفهم موقفه أمام الموت: هو ثابت ولكنه لا يتحدى السلطات. ونتوقف أيضاً عند المثول أمام حنان[5]. هذا المثول يقابل اجتماع المجلس الأول المذكور في متى ومرقس، أما الاجتماع الرسمي فتم في الصباح. ويتخذ مثول يسوع أمام بيلاطس أهمية كبيرة. فإذا أردنا أن نترك جانباً تفاصيل الاستجواب، لن نستطيع أن ننكر أن نص يوحنا يساعدنا على أن نفهم كيف توصل الوالي ليحكم على يسوع الناصري ويعتبره «ملك اليهود». لقد خاف أن يشيه اليهود لدى طيباريوس قيصر[6]. حين نعرف أن الإمبراطور كان ظنوناً وحذراً، نفهم أساس مخافة بيلاطس. إذاً، يندرج تقديم يوحنا للأحداث في إطار تثبته سائر الوثائق التاريخية المتعلقة بشخص بيلاطس وولايته.

---

(1) مر 6: 54.

(2) 6: 14 ي.

(3) 13: 34؛ رج مت 37: 23.

(4) 11: 54.

(5) 18: 13 ي.

(6) 19: 12.

رابعاً: الخطب اليوحناوية والأقوال الإزائية.

تدل خطبة يوحنا[1] على تأمل الإنجيلي. فهناك آيات عديدة يمكن أن تندرج في الرسائل دون أن ننتبه لها. فليس من مؤول للكتاب المقدس يقول إننا أمام كلمات يسوع كما تلفظ بها حرفياً. والتشديد على كشف يسوع عن نفسه يتعارض وتحفظ يسوع في الإزائيين، كما بينا.

هل نحن أمام نص خلقه الإنجيلي؟ لا بد من التوقف عند النصوص. فهناك أقوال نجدها في يوحنا وفي الأناجيل الإزائية. منها: الأمر الذي أعطاه لفيلبس: «اتبعني»[2]. والكلمة التي قالها عن الهيكل الذي يعاد بناؤه في ثلاثة أيام[3]. الإعلان عن الجسد الذي يسلم[4]، التعارض بين الحب والبغض، العلاقة بين السيد والعبد، الكلمة عن استقبال تلاميذ يسوع، الحوار مع التلاميذ في 4: 34 ـ 38 يتوازى مع خطبة إرسال التلاميذ[5]. والجدالات عن السبت تقابل جدالات مماثلة في الإزائيين. والوعد بالبارقليط امتداد لما قاله الرب لتلاميذه بمناسبة الاضطهاد[6]. ونقابل سلطة الحل من الخطايا في يو 20: 23 بما نقرأ في مت 16:19؛ 18: 18.

إذا كان يوحنا لم يحتفظ لنا بأمثال يسوع بالمعنى الحصري، فهو يستعمل تشابيه قريبة من الأمثال. مثلاً: فرح صديق العريس، تعلم الابن في مشغل أبيه، المسافر الذي يدهمه الظلام، حبة الحنطة في الأرض، المرأة التي تلد. وما يميز يوحنا هو البعد الكرستولوجي لهذه الأمثال الصغيرة. كان مثل الزارع يدل على كرازة الملكوت عند الإزائيين، فصارت الحبة في يوحنا يسوع نفسه الذي يرضى بالموت ليحمل ثمراً كثيراً.

في لو 15: 1 ـ 7 صور مثل الراعي الذي يطلب خروفه الضال سلوك الله تجاه الخاطئين، ويبرر بالتالي موقف المسيح. أما في يوحنا فيسوع هو الراعي الصالح[7]. إذا

---

(1) 3: 1 ـ 21؛ 5:19 ـ 47؛ 10: 1 ي؛ 13: 31 ـ 17: 26.

(2) 1: 43؛ رج أخبار الدعوة في الأناجيل الإزائية.

(3) 2: 19؛ رج مر 14: 58. يعود شهود الزور إلى هذه الكلمة.

(4) 6: 51؛ رج 1 كور 11: 24.

(5) مت 10.

(6) ق يو 16: 13ي ومت 10: 20؛ مر 13: 11.

(7) 10: 1 ـ 18.

قرأنا الخطب بتمعن اكتشفنا طريقة الإنجيلي في التأمل انطلاقاً من إحدى معطيات التقليد. فالكلمة عن الولادة من فوق تقابل مع النصوص الإزائية عن الأطفال: إنها أحد النصوص النادرة التي تتكلم عن ملكوت الله في الإنجيل الرابع[1]. إن كلمة يسوع هذه هي نقطة انطلاق لوحي عن ابن الإنسان الذي يكشف سر ملكوت السماوات. وإن هذا الأسلوب الجلياني يرتبط بالتقليد القديم.

في فصل 5 يوصلنا مثل الابن «المتمرن» إلى توسع عن الأعمال التي يوكلها الآب إلى الابن. وإعلان الدينونة المتواترة عند الإزائيين، يتم الآن في حاضر الكلمة. وهنا أيضاً نجد نصوصاً موازية في الإزائيين: تدل أمثال الملكوت على أن ملكوت الله يعمل حين يزرع الزارع الكلمة.

بعد الكلمة عن الجسد المُسَلَّم نلاحظ توسعاً عن نتائج الإفخارستيا الموحدة، وهذا ما يقابل توسعات بولس بعد خبر تأسيس الإفخارستيا[2]. كما يمكننا أن نجد في فصل 17 توسعاً في طلبات الصلاة الربية[3]. ويمكننا أن نتابع هذه الأبحاث لنكتشف العلاقة بين خطب الإنجيل الرابع والتقليد القديم عن يسوع.

خامساً: الشهادة التي تفسر.

إذا أردنا أن نقدر تاريخية الإنجيل الرابع وجب علينا أن نتعرف إلى هدف الإنجيلي: أن يقدم شهادته في الدعوى الكبرى التي تضع العالم أمام المسيح، وهكذا يمر أمامنا كل الشهود من أجل المتهم: يوحنا المعمدان، الكتب المقدسة، أعمال يسوع، الآب[4]. وشهادة يسوع نفسها قيمة، لأنه يعرف من أين جاء وإلى أين يذهب[5]. إنه الحقيقة.

في هذا الإطار لا تكون الشهادة فقط بأن نورد واقعاً لاحظناه، بل أن نلتزم

---

(1) ق يو 3: 3، 5 مع مر 10: 15.
(2) 1 كور 27: 11ي.
(3) ق يو 6: 17 مع مت 9: 6؛ يو 4: 17ـ 5 مع مت 10: 6؛ يو 2: 12 مع مت 13: 6أ؛ يو 17: 15 مع مت 6: 13 ب.
(4) 5: 31ـ 47.
(5) 8: 14.

شخصياً في خدمة الحقيقة. ويجب أن نتذكر أن العالم القديم لم يعرف الحق العام المسؤول عن اتهام المجرمين. كان الشهود أو الأهل يتدخلون ليحكوا للمظلوم. وإذ جمع يوحنا الذكريات عن يسوع، اهتم بأن يبين معناها العميق ويدل على علاقتها مع حياة التلاميذ الحاضرة.

سادساً: زمنان للتاريخ.

عبّر يوحنا بوضوح عن المسافة بين زمن الحدث وزمن التفسير الإيماني، وذلك ثلاث مرات ليفهمنا كيف نقرأ النصوص. مثلاً: حين طرد يسوع الباعة من الهيكل تلفظ بكلمات سرية: «اهدموا (بمعنى إذا هدمتم) هذا الهيكل وأنا أقيمه في ثلاثة أيام»[1]. في الحال لم يفهم أحد التلميح إلى الموت والقيامة ولا التنبؤ عن الهيكل الجديد الذي فيه يعبد المؤمنون الآب بالروح والحق[2]. فاهتم يوحنا بأن يقول لنا إن التلاميذ لم يتذكروا هذا ولم يفهموه إلا بعد القيامة. حينئذ آمنوا بالكتاب وبالكلمة التي قالها. فالإيمان يتيح لنا بأن نربط الحدث، كلمة يسوع وتمامها، بزمن الحياة الكنسية. فالشهادة تنطلق من التقليد التاريخي وتبرز هذه السلسلة من المفاهيم. ونلاحظ الشيء ذاته بمناسبة دخول يسوع إلى أورشليم: «في الوقت الأول لم يفهم التلاميذ ما حصل. ولكن حين مُجِّد يسوع تذكروا أن هذا كتب عنه وأن هذا كان ما صنعوه له»[3]. هنا تشير شهادة الإنجيلي إلى العلاقة بين حدث، بين كلمة الكتاب[4]، والتمجيد الفصحي. وفي مكان آخر نفهم كيف يتحقق وعد المياه الحية بعطية الروح للمؤمنين.

أما العامل الذي يجعلنا نتذكر، والقائد الذي يساعدنا على هذا التعمق اللاهوتي، هو البارقليط كما قلنا آنفاً. إنه يتيح لنا، كروح حق، أن نعود من زمن الآنية الكنسية إلى زمن المسيح. بما أنه مساعد قضائي للذين سيشهدون بدورهم، فهو يشهد ليسوع فيجعلنا نتذكر، ويوصل هذا التذكر إلى الحقيقة كلها. إذن، ليس هناك زمن الروح الذي

(1) 2: 19.

(2) 4: 23.

(3) 12: 16.

(4) زك 9: 9.

يحل محل زمن يسوع. فزمن الروح هو زمن ملء اكتشاف غنى الوحي الذي يتضمنه جسد الابن. قدم الغنوصيون تفسيراً يفسر شخص المسيح من واقع بشريته فجاء عكس القضية الأساسية التي يدافع عنها يوحنا. وأفرغ بولتمان الإنجيل الرابع من بعده لتاريخ الخلاص، فمنع يسوع من الدخول في تاريخ شعب بل في تاريخ البشر. فخلفية العهد القديم ليست إطاراً للدراما الإنجيلية، بل هي تعطيها كل كثافة واقعها التاريخي. وهكذا يبدو يسوع كمركز التاريخ كله منذ إنارة البشر بالكلمة قبل التجسد حتى اليوم الأخير، يوم القيامة العامة.

2 ـ آيات ورموز:

أعلن لنا الإنجيلي في خاتمته الأولى أنه اختار بعض الآيات التي اجترحها يسوع ليبرر لدى قرائه إيمانهم بمسيح إسرائيل وبابن الله. وكلمة آية خاصة بيوحنا، وهي تنطبق على بعض أعمال عجيبة أتمها المسيح، وتشير في الوقت عينه إلى مدلول تعليمي.

هناك نصوص مطبوعة باستعمال كلمة آية، ولكن كل الشراح يقرون بأن الإنجيل الروحاني له بعد أعمق من بعد الخبر البسيط. لهذا يتحدثون عن بعد رمزي للنص شبيه بما عند فيلون الإسكندراني وسائر النصوص اليهودية. ويترجمون 20: 30: «وصنع يسوع أمام أعين التلاميذ أعمالاً رمزية».

إذا أردنا أن نفهم كلمة آية عند يوحنا، نعود إلى أسفار موسى الخمسة حيث نجد آيات ومعجزات اجترحها الله في زمن الخروج. مثل هذه الآيات تكشف عن مجد إله الآباء. وهكذا، فأناس جيل البرية هم «الذين رأوا مجدي والآيات التي صنعت في مصر وفي البرية». فالعلاقة دائمة بين المجد والآية. وخبر المن هو أفضل مثال يعبر عن هذه الحقيقة: «في الصباح ترون مجد الرب»[1]. لم يتم أي نبي آيات ومعجزات كما فعل موسى، «هو الذي عرفه الرب وجهاً لوجه، هو الذي أرسله الرب ليتم كل هذه الآيات والمعجزات»[2]. إذن، اهتم يوحنا بالآيات ليدل على أن يسوع يتجاوز بوحيه وعجائبه كل ما عمله موسى في الماضي.

---

(1) خر 16: 7.

(2) تث 34: 10ي.

أولاً: من الرمزية الكونية إلى الرمزية التاريخية.

من السهل أن نعاين بعض الرموز الأساسية في كل خبرة بشرية: النور والظلمة، النسمة والحياة، العطش والماء، الخبز والحياة... وهذه الخلفية تجعل تعليم يوحنا سهل المنال لكل قارئ. ولكننا لن نكتفي بمعطيات الرمزية البشرية لنفهم يوحنا. هناك مواصفة للرمز ترتكز على الخلفية الكتابية. وإليك بعض الأمثلة:

المقابلة بين النور والظلمة، بين النهار والليل، تدخل في بنية الخبرة البشرية. فالنور يشير إلى زمن النشاط والأمان، أما الظلمة فتثير القلق. نقرأ في الإنجيل الرابع: «أما النهار اثنتا عشرة ساعة؟ فمن سار في النهار لا يعثر، لأنه يرى نور هذا العالم. ومن سار في الليل يعثر، لأن لا نور فيه»[1]. في كل التقاليد الدينية، يرتبط النور بالخير والظلمة بالشر. وهذا التعارض الدراماتيكي بين النور والظلمة ظاهر في الديانات الفارسية، وهو يشكل خلفية مقالة قمران عن الروحَيْن، روح النور وروح الظلمة. ونجد هذه الرمزية في يوحنا: «فمن يعمل الشر يكره النور، فلا يخرج إلى النور لئلا تنفضح أعماله. ومن يعمل الحق يأت إلى النور»[2]. فالابتكار في الرمزية اليوحناوية هو أن المسيح صار النور شخصياً. في الماضي كان عمود الغمام (المظلم في النهار والمضيء في الليل) يقود بني إسرائيل في البرية[3]. أما الآن فالمسيح يقود مؤمنيه: «أنا هو نور العالم. من يتبعْني لا يمش في الظلام، بل يكون له النور الذي يقود إلى الحياة»[4]. لقد اغتنت رمزية النور الأساسية بخبرة تاريخية، وأتاحت لنا أن نفهم أن المسيح هو وحده الذي يقود إلى الحقيقة والحياة.

وتحتل المياه مكانة هامة في الإنجيل الرابع. تظهر أولاً كشيء يضع حداً للعطش ويؤمن حياة الإنسان. على هذا المستوى الحياتي فهمت السامرية أولاً نداء المسيح[5]. ومثْل كل الرموز الكونية، تستطيع المياه أن تكون خيرة ومدمرة. حين يشير المسيح إلى المعمودية التي يجب أن يعتمد بها يعود إلى خطر المياه الغامرة، مياه الموت التي

---

(1) 11: 9ـ 10.

(2) 3: 20ـ 21.

(3) خر 13: 21ي.

(4) 8: 12.

(5) 4: 13ي.

تتحدث عنها المزامير. أما يوحنا فيحتفظ فقط بالوجهة الخيرة. فالمياه تبدو دوماً كعطية من الله. والمعارضة بين الماء والخمر في قانا تدل على تعاقب عهدين: إن خمر العهد الجديد وعلامة الفرح المسيحاني يقابلان مياه تطهير اليهود. وفي مكان آخر تعني المياه الوحي الذي يشبع جوع الإنسان الديني: «ظمئت نفسي إلى الله الحي»[1]. وإذ حاول يسوع أن يوقظ الرغبة الروحية عند السامرية، وعدها بماء يفيض بالحياة الأبدية.

ويتوضح هذا الرمز العام إذا قابلناه بموضوع بئر مريم في العالم اليهودي. فالتقاليد اليهودية توسعت بأخبار الصخرة التي أخرج منها موسى المياه الغزيرة، فتحدثت عن بئر ترافق الشعب في تجواله. واستلهم بولس هذا التفسير حين كتب: «كانوا يشربون من صخرة روحية تتبعهم: وهذا الصخر هو المسيح»[2]. أما يوحنا فرأى في المسيح النبع الذي منه تجري أنهار المياه الحية للمؤمن. وبصورة أخص، قابلوا مياه البئر بتعليم موسى أو بتوجيهات الحكمة. والمعارضة بين بئر يعقوب والينبوع الذي وعد به يسوع تفترض تعارضاً بين تقاليد الآباء التي نقلها موسى، والوحي الذي حمله يسوع المسيح. إنه وحده يقدر أن يعطي الماء الذي يحيي إلى الأبد: «من يشربْ من الماء الذي أنا أعطيه لن يعطش أبداً». وسيقول فيما بعد إن هذا الماء هو علامة الروح الذي سيعطيه المسيح الممجد[3]. فالروح هو ما يتيح للكلمة أن تدخل إلى باطننا وتحيينا. ونقول الشيء عينه عن الروح (أو النسمة). ففي الحديث مع نيقوديمس رجع يسوع إلى حرية الروح ليتحدث عن الولادة الجديدة. «فالريح تهب حيث تشاء فتسمع صوتها ولا تعرف من أين تجيء ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من يولد من الروح»[4]. نشير هنا إلى حرية الريح كما يقول جا 1: 6: «تذهب الريح إلى الجنوب وتدور إلى الشمال. تدور الريح وتدور وتذهب ثم تعود الروح إلى مدارها». ولكن الكلمة اليونانية التي تترجم الريح هي التي تترجم الروح (بنفما). فالاختبار الكتابي للروح الإلهي الذي ينزل على القاضي (مثل جدعون أو شمشون) أو على النبي قد تجاوز اختبار الريح الكوني. إنه أيضاً الروح الإلهي الذي يدعوه النبي من أربعة أقطار الكون ليعيد الحياة

(1) مز 42: 3.
(2) 1 كور 10: 4.
(3) 7: 38.
(4) 3: 8.

إلى عظام إسرائيل الجافة[1]. هذا هو روح الله الذي يقدر أن يجعل الجسد خليقة جديدة. ثم إننا لا نستطيع أن نعزل إعلان الروح الإلهي هذا عن مواعيد الروح بلسان يسوع ولا بنفخ الروح على الرسل. نحن بعيدون عن الروح الكونية التي كانت في البدايات. نحن أمام روح المسيح الذي، حين يرتفع عن الأرض[2]، يعطي الروح الحي للذين يؤمنون به. نحن هنا أمام ثلاثة مستويات: مستوى كوني، مستوى كتابي، مستوى كرستولوجي.

ثانياً: رمزية الأزمنة والأمكنة.

رأينا كيف أن الإنجيل الرابع ينتظم حول الساعة: فكتاب الآيات يتوزع حول إعلان أن الساعة لم تأت بعد[3]. وكتاب الساعة يبدأ بإعلان احتفالي أن ساعة يسوع جاءت ليعْبر من هذا العالم إلى أبيه[4]. وبجانب هذه الرمزية الكبرى التي تدل على ارتباط المسيح الكامل بالنسبة إلى إرادة الآب نستطيع أن نجمع إشارات عديدة عن المعنى الذي يعطيه الإنجيلي إلى العلامات الزمنية في كتابه. حين خرج يهوذا من العلية كان الوقت ليلاً، بل كان يهوذا نفسه ليلاً، كما قال القديس أغوسطينس.

قد لا يكون مدلول خاص للساعة العاشرة (الرابعة بعد الظهر) التي فيها طلب التلاميذ يسوع[5]. ولكننا نستطيع أن نقابل الليل الذي فيه جاء نيقوديمس إلى يسوع بالساعة السادسة (الظهر) التي فيها تم الحوار مع السامرية: إنها ساعة ملء الوحي[6].

لقد درس أحد الشراح رمزية الأمكنة في الإنجيل الرابع: فالناصرة خاصة والجليل عامة لا يمثلان فقط معطىً طوبوغرافياً. فالناصرة تدل على عثار التجسد[7]. وعلى الجلجلة، إن الكتابة التي فوق الصليب تبسط على عيون الكون عثار «الناصري ملك

---

(1) حز 37: 14.

(2) 3: 14.

(3) 2: 4؛ 7: 30؛ 8: 20.

(4) 13: 1؛ رج 16: 32؛ 17: 1.

(5) 1: 39.

(6) 4: 23.

(7) 1: 45؛ 6: 38، 42؛ 7: 41، 52.

اليهود»[1]. وكما تمثل السامرة في نظر يوحنا بلاد اللايهود، فاليهودية هي الموضع الذي تكون فيه حياة يسوع في خطر والذي فيه يصعد من أجل ساعته[2]. لا تعود هذه الساعة إلى تسلسل زمني، بل تندرج في زمن تحقيق مخطط الله. وهذا المخطط يتم في أورشليم بوحي يسوع عن نفسه (من هنا أهمية مجادلاته مع السلطات اليهودية في حرم الهيكل)، وبالحكم على يسوع بالموت بعد هذه المجادلات. في هذا المجال صار المثول أمام حنان وقيافا جلسة تحقيق قضائي لتهيئة الاتهام أمام بيلاطس.

ثالثاً: أعمال المسيح الرمزية.

حين ندرس إنجيل يوحنا نرى أنه يلاحظ بعض التفاصيل ويسجلها لا كرواية شعبية بل لقيمتها في النص. ففي خبر تكثير الأرغفة، يبارك يسوع وحده الخبزات ويوزعها[3]. ولكن التلاميذ مدعوون لجمع الكسر في اثنتي عشرة قفة. ويبدو أنه مهتم بهذا الجمع: «اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع منها شيء». إن هذا التجميع هو علامة الخلاص، أما التبديد فعلامة الهلاك. أجل، لقد كثر يسوع الخبز مرة واحدة من أجل حياة العالم، ودور التلاميذ عبر العصور هو أن يعملوا لكي يشارك هذا الخبز في تجميع أبناء الله[4].

ويشدد شفاء المولود أعمى على الوحل الذي صنعه يسوع ببصاقه. فكلمة تراب تعود خمس مرات في الخبر[5]. فالكلمة تدل على الطين الذي يصنع منه الفخاري آنية[6]. أما يفكر يوحنا بإعادة خلق الإنسان على يد المسيح؟ هذا ما قاله إيريناوس: «رد النظر إلى الأعمى لا بكلمة بل بفعل. تصرف هكذا ليعرفنا إلى يد الله التي جبلت الإنسان في البدء». كان الغنوصيون ينسبون الخلق إلى العقل الفعال. أما يوحنا فدل على عمل الخلق عند الكلمة الذي صار جسداً[7].

---

(1) 19: 19ي.
(2) 3: 22؛ 4: 3؛ 7: 1، 3؛ 11: 7ـ 16.
(3) 6: 11.
(4) رج 52: 11.
(5) مرتين في آ 6، ثم في آ 11، 14، 15.
(6) رج روم 9: 21.
(7) رج آ 20، 22 مع نفخ نسمة حياة.

ويشدد خبر غسل الأرجل على أن يسوع السيد والرب خلع ثيابه ثم لبسها[1]. فالفعلان المستعملان هنا يعنيان في مكان آخر[2]: ضحى بنفسه واستردها. وإذا تذكرنا اهتمام يوحنا بثياب المسيح في وقت الآلام[3] نفهم أننا أمام مثل حي. فيسوع يبين للتلاميذ موته وقيامته اللذين هما الخدمة العظمى، وينبوع كل تطهير، والشرط الضروري للمشاركة في الملكوت.

3 ـ آيات عجائبية في الإنجيل الرابع:

يتكلم يوحنا كالإزائيين عن يسوع الذي صنع معجزات عديدة[4]. ولكنه يتميز عنهم في مفرداته وتفسيره لدور الآيات في حياة الإيمان. لا يستعمل يوحنا كلمة تدل على القوة وعلى تدخل يسوع العجيب كما يفعل الإزائيون. إنه لا يريد أن يظهر قدرته حتى من أجل مريض أو محتاج. المعجزة عند يوحنا هي عمل وحي. فالمعجزة هي كلمة منظورة كما قال القديس أغوسطينس.

إذا اقتصرنا على الفصول العشرين الأولى نجد سبع معجزات: آية الماء المحول خمراً. إنها مبدأ سائر المعجزات. والآية الثانية تمت أيضاً في قانا: شفى يسوع من بعيد ابن الضابط الملكي في كفرناحوم[5]. الآية الثالثة: شفاء مخلع بيت زاتا في أورشليم[6]. الآيتان الرابعة والخامسة: تكثير الخبز في الجليل في زمن الفصح وظهور يسوع خلال العاصفة فوق البحيرة[7]. وحصلت الآيتان الأخيرتان في أورشليم: شفاء الأعمى منذ ولادته في إطار عيد المظال وقيامة لعازر قبل الفصح الأخير ببضعة أيام. وردت هذه الآية من أجل مدلولها الكرستولوجي. وزيدت في فصل 21 آية الصيد العجيب من أجل بعدها الكنسي.

أولاً: مقابلة مع الإزائيين.

هناك آيات يوحناوية نجد ما يقابلها في الأناجيل الإزائية. مثلاً: تكثير الخبز

---

(1) 13: 4، 12.
(2) 10: 17، 18.
(3) 19: 23ي.
(4) 2: 23؛ 5: 1ي؛ 6: 1ي؛ 9: 1ي؛ 11: 1ي؛ 20: 30.
(5) 4: 46 ـ 54.
(6) 5: 1 ـ 9: اجترح يسوع المعجزة يوم السبت.
(7) 6: 16 ـ 21.

والسير على المياه[1]. ولكن هذا لا يمنع يوحنا من أن يقدم نقاط اختلاف في التفاصيل. ويمكننا أن نقابل الصيد العجيب (ف 21) بما نقرأه في لو 5: 1 ـ 11 مع أن الوضع مختلف (تمت العجيبة عند لوقا في بداية رسالة يسوع. وعند يوحنا بعد الفصح). وناقش الشراح ليعرفوا هل آية شفاء ابن الضابط الملكي في يو 4: 46 ـ 54 تقابل حدث شفاء ابن (أو عبد) الضابط الروماني في مت 8: 5 ـ 13[2]. ففي الحالتين نحن أمام قدرة كلمة يسوع التي تفعل عن بعد. إذاً، هناك خبر واحد في الأساس اتخذ منحيين مختلفين. وهناك آيتان خاصتان بيوحنا (المخلع والمولود أعمى) تمتا يوم السبت فأثارتا جدالاً مع اليهود[3]. إنهما قريبتان من معجزات أوردها الإزائيون[4]. أما إقامة لعازر فتتعدى بقوتها الدراماتيكية وطابعها العجيب معجزات الإزائيين التي فيها أيقظ يسوع من ظنوه ميتاً: ابنة يائيرس، ابن أرملة نائين. أما في يو 11 فلم يوضع لعازر في القبر فحسب، بل بدأ الموت عمل الفساد[5]. وهناك معجزة تخرج من الفئات التي عرفها الإزائيون: تحويل كمية كبيرة من الماء إلى خمر: (ست جرار تحتوي كل واحدة مكيالين أو ثلاثة). وهناك فئة تظهر عند الإزائيين ولا تظهر عند يوحنا: طرد الشياطين. لا تعني هذه الملاحظة أن يوحنا يشك بتسلط سلطان هذا العالم على البشر[6]، ولكن الإنجيل الرابع يعبر عن الانتصار على الشر بتأمله في ارتفاع المسيح على الصليب.

ثانياً: خبر المعجزة كفن أدبي.

إذا حللنا أخبار المعجزات وجدنا بطريقة عامة خمسة عناصر أساسية. مقدمة تعرض الحالة (نقص، ضيق)، طلب تدخل يدل على ثقة الطالب أو محيطه، تدخل يسوع بكلمة قصيرة أو بحركة وعمل، ذكر النتيجة التي تحصل حالاً، ردة الفعل لدى الحاضرين. يمكننا أن نحلل أول آية في قانا على ضوء هذه الرسمة: أشارت مريم إلى نقص الخمر. أجاب يسوع جواباً امتحن فيه إيمان مريم فدعت الخدم إلى إطاعة ابنها.

---

(1) رج مر 6: 30 ـ 52.
(2) ق لو 7: 1 ـ 10.
(3) 5: 10، 16، 18؛ 9: 14، 16.
(4) مر 3: 1 ـ 5؛ لو 13: 10 ـ 17.
(5) 11: 39: إنه أنتن.
(6) 12: 31؛ 14: 30؛ 16: 11.

أعطى يسوع أمراً فملأوا الجرار ماء[1]. تحول الماء إلى خمر أثار الدهشة، ظهر مجد يسوع فآمن تلاميذه.

هنا، يجب أن نلاحظ تشديد يوحنا على مبادرة يسوع. فمخلع البركة لم يطلب شيئاً. فيسوع هو الذي بدأ فكلمه. وكذا نقول عن المولود أعمى (ف 9)، لأن سؤال التلاميذ كان سؤالاً نظرياً (من أخطأ؟) وما تضمن طلباً من أجل العليل. وفي تكثير الخبز اتخذ يسوع المبادرة في يوحنا، أما في الإزائيين فالرسل يطلبون إلى يسوع أن يصرف الناس وقد فات الوقت.

ثالثاً: آيات الإيمان.

نجد في الإنجيل الرابع توتراً بين المقاطع التي تجعل من الآيات عنصراً هاماً يقود إلى الإيمان، وبين المقاطع التي تعتبر الآيات لا تتوافق والإيمان الحقيقي. ولنعط بعض الأمثال. تبدو الآية أولاً وسيلة تقر بصحة سلطة. هكذا طلبت السلطات اليهودية من يسوع أن يعمل آية ليبرر تدخله في الهيكل[2]. وجموع الجليل من جهتها طلبت آية لتستطيع أن تؤمن. وأعلن آخرون أن المسيح عندما يأتي لن يعمل آيات أكثر مما عمل يسوع وهذه الآيات «الشرعية» تقابل الآيات التي أعطاها الله لموسى حين أرسل إلى أبناء إسرائيل[3] في هذا الإطار عينه ترى الخاتمة الأولى في الآيات الواردة وسيلةً تقوي إيمان القارئين.

ومقابل هذا، يتشكى يسوع أمام الضابط الملكي: «إن لم تروا الآيات والعجائب فلن تؤمنوا»[4]. فالإيمان الحقيقي هو الذي يستغني عن الرؤية: «طوبى للذين لم يروا وآمنوا». هل من تناقض؟ هناك قول ليسوع يعطينا الجواب: «أنتم تطلبونني لا لأنكم رأيتم الآيات، ولكن لأنكم أكلتم خبزاً وشبعتم»[5]. هناك انتباه إلى الوجهة الخارجية للمعجزة يقف حاجزاً في مسيرة الإيمان. وهكذا يقول يوحنا إن يسوع لم يكن يطمئن

(1) 2: 7.
(2) 2: 18.
(3) خر 4: 1 ـ 9.
(4) 4: 48.
(5) 6: 26.

لأهل أورشليم الذين آمنوا فقط بسبب الآيات. فالإيمان الحقيقي يفترض مداومة ونمواً في قبول الكلمة الخلاصية. والمولود أعمى يعطينا أفضل مثال عن هذا. فرغم معارضة الفريسيين له وعزله من قبل أهله، أكد الأعمى بوضوح متزايد إيمانه. هذا الرجل الذي شفاه هو نبي. هو رجل من الله. ولما التقى بيسوع، خرّ أمام ذلك الذي قدم نفسه على أنه ابن الله[1].

فالتلميذ الحقيقي هو الذي يرى في آيات يسوع وأعماله تدخلاً من الله نفسه. فخطبة فصل 5 مركزة على هذه الفكرة: إن شفاء المخلع الذي تم بيد يسوع هو تبيان لما يتمه الآب[2]. وتعود خطبة الوداع إلى هذه الفكرة أيضاً. سأل فيلبس أن يرى الآب، فأجابه يسوع: «إن الآب الذي يقيم فيَّ يعمل أعماله الخاصة. آمنوا أني في الآب وأن الآب فيَّ. وإن لم تؤمنوا بكلمتي فآمنوا أقله بسبب هذه الأعمال»[3].

وحين أعلن يوحنا في آخر المطلع «الكلمة صار بشراً فأبصرنا مجده»، فهو يجمع كل ظهورات الكلمة المتجسد: أقواله، أعماله، عطية ذاته على الصليب. ونحن لا نستطيع أن نعزل الآيات عن كل هذه المجموعة التي تدل على اندراج الكلمة في حياة البشر وتصور نشاطه الخلاصي الممتد في الكنيسة. فحين نتأمل مجد المسيح نكتشف أنه يفيض دوماً خيرات الخلاص على المؤمنين[4].

رابعاً: تفسير للأسرار في الإنجيل الرابع.

اكتشف الآباء منذ القديم الخلفية الأسرارية في الإنجيل الرابع. لنقل أولاً إننا لا نجد في يوحنا أمراً من المسيح لنمنح المعمودية[5] ونمارس الإفخارستيا. فبدل الخبر التقليدي عن العشاء الأخير، يورد يوحنا غسل الأرجل. فكلمة يسوع هي التي تطهر. ولكننا لا نستطيع أن نلغي التلميحات إلى المعمودية وهي كثيرة في فصل 1 ـ 3: يقابل يوحنا بين معمودية الماء التي يمنحها يوحنا المعمدان، وبين العماد في الروح القدس

(1) 9: 35.
(2) 5: 7، 19 ـ 30.
(3) 14: 10ي.
(4) 1: 16.
(5) كما في مت 28: 19.

الذي يمنحه يسوع[1]. ويتضمن الحوار مع نيقوديمس تعليماً عن الولادة الجديدة من الماء والروح[2]، وهو نص طبقه التقليد على المعمودية. وهذه الولادة غير ممكنة إلا بارتفاع ابن الإنسان، والارتفاع هو العلامة الفضلى لحب الله للعالم. إن كل هذا الفصل الثالث يحتوي كرازة عن المعمودية. ثم إن الإشارة العابرة إلى أن يسوع (أو تلاميذه) كان يعمد تدعونا إلى التعرف إلى يسوع الذي يعمد.

وتفسر معجزة بركة بيت زيتا (ف 5) في معنى عمادي. ولكن هناك اختلافاً عند الشراح. فالنص يشدد على قدرة كلمة يسوع (كما في آية قانا الثانية: 4: 46 ـ 54) التي تشفي العليل دون أن يغطس في البركة. والخطبة التي تلي تدل على أن الابن يعمل أعمال الآب. وهكذا لا يعود فصل 5 إلى علامة أسارية. أما فصل 9 فيتضمن كرازة عمادية رائعة. فالأعمى اغتسل في البركة التي أنها شيلوحا[3]. ويعود فعل غسل 5 مرات. وهو يرتبط باستعادة النظر. وهكذا نفهم أن يكون آباء الكنيسة سموا المعمودية سر الاستنارة. ومشهد غسل الأرجل دل أولاً على آلام يسوع المطهرة. ولكن التشديد على الغطس وغسل الأرجل يشير في الدرجة الثانية إلى تفسير عمادي. أما في ما يخص الإفخارستيا، فالكلمة عن الجسد المسلم لحياة العالم تقابل الكلمة على خبز الإفخارستيا. ويمكننا أن نفكر أن الكلمة التي قالها يسوع تقابل «بسر» الآرامية التي تدل على اللحم لا على الجسد. قد نعجب إذ نرى يوحنا لا يورد خبر العشاء السري في المكان المخصص له. ولكنه جعل من فصل 6 مجموعة حيث التغذي من الكلمة يقود إلى التغذي من جسد المسيح. وإذ أورد خبر غسل الأرجل أفهمنا ينبوع عشاء الرب ونتيجته. فحين غسل المسيح أرجل رسله أعطاهم أكثر من مثل. إنه علمهم ممارسة. فالاحتفال الإفخارستي الذي لا يقود إلى الخدمة المتبادلة لا معنى له. هذه هي الأمثولة التي يعطينا إياها يوحنا وهو الذي اهتم بالمعنى العميق للواقع الأسراري أكثر منه بطريقة ممارستها.

وأخيراً، رأى اللاهوتيون في الدم والماء اللذين جريا من جنب المسيح علامة النعمة الأسرارية. لو فكر يوحنا بأسرار التدرج المسيحي أما كان كتب «الماء والدم»؟

---

(1) 1: 33.

(2) 3: 5.

(3) أي الرسل: 9: 7.

ولكن النص يشدد أولاً على واقع موت المسيح وعلى خصب هذا الموت: فقلبه المطعون هو ينبوع الأنهار الموعود بها لزمن الخلاص[1]. إن هذا التأمل يتضمن الأسرار ولكن في مكانها كآيات لملء عطية الروح. وهنا يفرض علينا يوحنا أن نكتشف الجوهر عبر العلامات الخارجية.

ب ـ من كتب الإنجيل الرابع؟

نجد منذ القرن الثاني تقليداً ثابتاً ينسب الإنجيل الرابع إلى يوحنا بن زبدى. ولكن جاء من يشك بهذه النسبة وللمرة الأولى سنة 1820. وما زال الجدال قائماً إلى أيامنا هذه، فزج الشراح مسائل متعددة: هوية الكاتب، جذور شهادته، القيمة التاريخية لإنجيله.

لقد رأينا كم أن المسألة معقدة. فالإنجيل الرابع هو في حالته الحاضرة ثمرة نضج بطيء. ولكن هذا يفهمنا أن الإنجيل الرابع عرف مراحل عديدة في تدوينه. وهكذا يمكننا أن نكتشف انعكاسات حياة الجماعة اليوحناوية: تكونت في فلسطين، وانتقلت إلى الشتات (ربما آسيا الصغرى)، وانفتحت على الرسالة لدى اليونانيين. فالإنجيل الرابع لا يهدف فقط إلى أن يبين أن يسوع هو ملك إسرائيل، بل وأنه «ابن الله» و«مخلص العالم». وهكذا يتجاوب مع توق الناس إلى الحقيقة والحياة.

كان الشراح يعتبرون أن برهان التقليد يكفي ليثبت الأصل اليوحناوي للإنجيل الرابع. أما النقاد فيردون قول التقليد الذي لم يظهر قبل نهاية القرن الثاني يوم أكدت الكنيسة الأصل الرسولي للأسفار القانونية، في صراعها ضد الغنوصية. لا شك في أن هناك بعض الخلل في شهادات الآباء، ولكن هناك توافقاً بينهم. ثم إننا لا نستطيع أن نرى في شهادة إيريناوس (وهي أهم شهادة) اختراعاً دفاعياً لا أساس له. في هذه الظروف يبدو من المهم أن نقدم أجزاء الملف.

1 ـ الملف الآبائي:

أولاً: شهادات آباء آسيا الصغرى.

ضاع مؤلف بابياس، أسقف هيرابوليس (حوالي سنة 125). ولكن أوسابيوس احتفظ لنا بمقاطع عن أصل إنجيليْ متى ومرقس. وهناك مقطع آخر يدل على الاهتمام

---

(1) ق يو 7: 37 مع التلميح في حز 47 وزك 13: 1.

الذي يعلقه التقليد على أقوال الشيوخ: «إن رافق أحد الشيوخ، كنت استعلم منه عن أقوال الشيوخ: ماذا قال أندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو سواهم من تلاميذ الرب، وما قاله أريستون والشيخ يوحنا، تلميذا الرب. لم أكن أعتقد أن ما يأتي من الكتب يفيدنا كذاك الذي يأتينا من كلمة حية ودائمة».

يستنتج أوسابيوس من هذا النص أنه يجب أن نميز بين يوحنا الرسول ويوحنا الشيخ، وهذا ما يثبته وجود مدفنين في أفسس كما يؤكد ديونيسيوس الإسكندراني. يرى أوسابيوس أن الرسول دون الإنجيل الرابع، وأن الشيخ دون سفر الرؤيا. وفي نهاية كلامه عن بابياس يزيد تفصيلاً غريباً عن حادثة المرأة الزانية: «يستعمل بابياس نفسه شهادات مأخوذة من رسالة يوحنا الأولى ورسالة بطرس الأولى. فيعرض قصة أخرى عن المرأة المتهمة بخطايا عديدة أمام الرب، كما يحتويها الإنجيل حسب العبرانيين». فالحادثة المحفوظة في 7:53 ـ 8: 11 (وفي بعض مخطوطات لوقا) وجدت في إنجيل منحول (يعود إلى محيط مسيحي متهود) يتحدث عنه إكلمنضوس الإسكندراني وأوريجانس.

ـ إيريناوس:

أفضل شاهد عن تقليد أفسس هو إيريناوس، أسقف ليون (في فرنسا)، وتلميذ بوليكربوس الإزميري. يشهد ضد الغنوصيين أن التقليد الصحيح موجود في الأناجيل الأربعة. ويتحدث عن أصل كل إنجيل. ثم يكتب عن الإنجيل الرابع ما يلي: «يوحنا هو تلميذ الرب الذي استلقى على صدره. فدون هو أيضاً إنجيلاً خلال إقامته في أفسس من أعمال آسيا». ثم يعطي لصديقه فلورينوس تفاصيل عن الغنوصية في رسالة بعث بها إليه: «أستطيع أن أحدد الموضع الذي كان يجلس فيه الطوباوي ليتكلم. كيف كان يدخل ويخرج، طريقة عيشه، مظهره الخارجي، أحاديثه أمام الناس. كيف كان يورد حواراته مع يوحنا ومع سائر الذين عرفوا الرب. كيف كان يذكر أقوالهم وما كانوا يقولونه عن الرب، عن عجائبه وتعاليمه. بعد أن تقبل بوليكربوس كل هذا من شهود عيان عن حياة الكلمة، كان ينقلها حسب الكتب المقدسة... أستطيع أن أشهد أمام الله أنه إن كان هذا الشيخ الطوباوي والرسولي (= بوليكربوس) سمع أي شيء مشابهاً لما تقول، لكان أطلق صرخته وسد أذنيه».

ويستشهد إيريناوس في حربه ضد نظريات قرنتيس بمعارضة يوحنا لهذا الهرطوقي. وذهب إلى حمامات أفسس فرأى قرنتيس في الداخل. حينئذ خرج من المكان دون أن يغتسل. قال: لننج لئلا تسقط الحمامات لأن قرنتيس، عدو الحقيقة، هو في داخلها.

ـ **بوليكراتيس الأفسسي:**

كانت هناك مجادلات حول الفصح مع البابا فكتور حوالي سنة 190. أراد أن يبين شرعية الاحتفال به في الرابع عشر من شهر نيسان، كما تفعل كنيسته فأورد أسماء كافليه: «نحن نحتفل بدقة في هذا اليوم فلا نزيد أو ننقص شيئاً. ففي آسيا يرقد نجوم كبار... فيلبس أحد الاثني عشر رسولاً... وأيضاً يوحنا الذي رقد على صدر الرب والذي كان كاهناً وتوج شهيداً ومعلماً. فهو أيضاً رقد في أفسس».

يشهد هذا الكلام لتركيز تقليد يوحنا في أفسس، ويثبت ما قيل أعلاه عن مدفنه. فالإجلال «للنجوم الكبار» يذكرنا بإجلال الجماعات المسيحية المتهودة «لعمد الكنيسة»[1]. ثم إن مجيء المسيحيين المتهودين إلى مقاطعة آسيا بعد سنة 70 هو شبه أكيد، وهو يدل على الفن الأدبي الذي دون فيه سفر الرؤيا.

ثانياً: شهادات من مصر.

انتشر الإنجيل الرابع سريعاً في مصر كما تشهد بذلك البرديات التي ذكرناها. فدرسه الغنوصيون باعتناء. وأول تفسير لهذا الإنجيلي يعود إلى غنوصي من مدرسة ولنطينس، هو هيرقليون. وقد احتفظ لنا أوريجانس ببعض مقاطع من كتابه ليرد عليها. ثم إن إجلال إكلمنضوس الإسكندراني للإنجيل الرابع معروف وهو الذي سماه الإنجيل الروحاني. أما أوريجانس فيبين تفسيره أن التلميذ الحبيب هو يوحنا الرسول. ثم إن الأصل الرسولي لرسالة يوحنا الأولى لم يكن يوماً موضع بحث في الإسكندرية. أما الرؤيا فنسبها ديونيسيوس الأسقف إلى يوحنا الشيخ.

ثالثاً: جدال مع الرافضين للكلمة في روما.

في البداية لم يلق استعمال التقاليد اليوحناوية أية صعوبة في روما. جاء يوستينوس

---

(1) غل 2: 9.

من آسيا وعلم في روما ونسب الرؤيا إلى يوحنا الرسول. لم تعط له مناسبة ليقول رأيه في أصل الإنجيل الرابع، ولكنه تعلق بتعليمه عن اللوغوس (الكلمة). غير أن أناساً عارضوا المونتانيين[1] الذين رفضوا اللوغوس وتعلقوا بالبارقليط. هؤلاء استبعدوا الأصل الرسولي للإنجيل الرابع.

فأجاب قانون موراتوري (نهاية القرن الثاني) على هذه الصعوبات مبرزاً اتفاق يوحنا مع التقليد الرسولي المشترك وشرعية ترتيبه الخاص في تنظيم كتابه. قال: «الإنجيل الرابع هو إنجيل يوحنا أحد التلاميذ. بعد أن حرضه زملاؤه التلاميذ والأساقفة قال لهم: صوموا معي ثلاثة أيام منذ اليوم، وسنخبر بعضنا بعضاً بما سيوحى لكل واحد منا. وفي الليلة نفسها أوحي إلى أندراوس أحد الرسل أن على يوحنا أن يكتب كل شيء باسمه وبموافقة الجميع. لهذا، ورغم أن كل إنجيل يبدأ بطريقة مغايرة، فلا فرق بالنسبة إلى إيمان المؤمنين، لأن الروح السامي والواحد هو الذي عرض كل هذه الأشياء في كل واحد منهم».

إذا جعلنا جانباً مجادلة الرافضين للكلمة، نستطيع القول إن هناك توافقاً عاماً بين مراكز المسيحية الهامة على أصل الإنجيل الرابع في نهاية القرن الثاني. لا شك في أن أموراً تتصل بالخبر التقوي. نسب بوليكراتيس الأفسسي الكرامة الكهنوتية إلى يوحنا، مستنداً إلى ما ورد في يو 18: 16 (التلميذ معروف من قبل رئيس الكهنة). وخبر الشاب الذي رده يوحنا ثم صار رئيس لصوص يعود إلى إكلمنضوس الإسكندراني ويشهد على عمل يوحنا الرسولي في منطقة أفسس. ولكن لا نستطيع أن نأخذ هذا الخبر على حرفيته. ويذكر ترتليانس عذاب الزيت المغلي الذي قاساه يوحنا، ولكن لا شيء يؤكد هذا الخبر. وهناك أعمال يوحنا التي ألفت في النصف الثاني من القرن الثاني، ونسبت إلى يوحنا تعليماً غنوصياً عن الصلب الذي لم يكن حقيقياً. لاشك في أن هذا التعليم مرفوض.

إذن ما نستنتجه رغم كل شيء هو أن الرسول يوحنا أقام في نهاية حياته في أفسس وأنه هو التلميذ الحبيب الذي يكفل تقاليد الإنجيل الرابع[2].

---

(1) هرطقة أسسها مونتانوس في القرن الثاني في فريجية من أعمال آسيا الصغرى.

(2) 21: 24.

2 ـ التلميذ الحبيب:

لا يذكر التلميذ الذي كان يسوع يحبه إلا في ظروف قليلة ولكن مهمة. يظهر أنه بدا كصديق حميم ليسوع بعد غسل الأرجل والتنديد بالخائن[1]. ونجده عند الصليب فيسلمه يسوع أمه. وفي صباح اليوم الأول من الأسبوع ركض التلميذ الحبيب إلى القبر مع بطرس وكان أول من آمن[2]. وهو يحتل مكانة هامة في الملحق (ف 21) ببعده الكنسي. هذا التلميذ هو رجل التمييز: كان أول من عرف الرب ودل بطرس عليه. وبعد إعلان استشهاد بطرس نقرأ كلمة مهمة تلفظ بها يسوع فجعل الآخرين يستشفون أن التلميذ سيبقى حياً إلى عودة الرب. فهمت هذه الكلمة أولاً بحرفيتها، ثم دلت على ديمومة شهادة التلميذ، وهي شهادة تنقلها جماعة يوحنا إلى سائر الكنائس.

وهناك مقطعان ظلا موضع جدال. من هو رفيق أندراوس في 1: 35 ـ 40؟ إذا لاحظنا المقابلة بين الفصول الأولى وخبر الآلام، نفهم أن رفيق أندراوس هو ذلك الذي شهد ليسوع عند الصليب. وفي 18: 15 يتحدث النص عن «تلميذ آخر» (بدون التعريف في أفضل المخطوطات) يدخل بطرس إلى قصر حنان لأنه معروف من قبل رئيس الكهنة. استند كثير من الشراح إلى علاقة التلميذ ببطرس[3] ففكروا بالتلميذ الحبيب. ولكن النص لا يسمح لنا بأن نحدد. ثم إننا نعرف أنه كان ليسوع أتباع في أورشليم وفي المجلس الأعلى مثل يوسف الذي من الرامة ونيقوديمس[4]. قد يكون أحدهم تدخل في هذه المناسبة من أجل بطرس. لا يعلق الإنجيلي أهمية خاصة على هذا التدخل الذي يهيئ الدرب لإنكار بطرس خلال مثول يسوع أمام حنان وقيافا[5]. لن نتوقف عند رأي القائلين إن التلميذ الحبيب هو لعازر[6] أو يوحنا مرقس الذي لعب دوراً فاعلاً في الجماعة الأولى. كان شناكنبورغ وبراون قد جعلا التلميذ الحبيب هو نفسه يوحنا الرسول. ثم قالا إنه أحد أصدقاء يسوع في أورشليم.

---

(1) 13: 23.

(2) 20: 8.

(3) رج 13: 23 ـ 25.

(4) 19: 38 ـ 39؛ رج 3: 1، 7: 5.

(5) 18: 12 ـ 14، 19 ـ 24.

(6) قال 11: 31، 36 إن يسوع كان يحبه.

ولكن يبدو أن التلميذ الحبيب هو يوحنا الرسول نفسه. لماذا نعود إلى شخص مجهول ولا نعود إلى ما يقوله التقليد؟ فمعطيات النص تقود إلى هذه النتيجة. ففي الظروف العديدة[1] نجد بطرس والتلميذ الحبيب معاً، وهذا ما يوافق سفر الأعمال[2]. وإن بولس يحسب بين أعمدة الكنيسة يعقوب وكيفا (أو بطرس) ويوحنا. وهناك ملاحظة هامة: إن ابني زبدى (يعقوب ويوحنا) اللذين احتلا مكانة مرموقة في التقليد الإنجيلي وحياة الكنيسة الأولى حسب الإزائيين وأعمال الرسل، هما غائبان من يو 1 ـ 20. هذا الإغفال يصبح مفهوماً إذا كان التلميذ الحبيب هو أحد ابني زبدى. يمكننا أن نتصوره في مشهد 1: 35، 39 حيث نجد تلميذين للمعمدان: أندراوس وشخص أغفل اسمه. جاء أندراوس بأخيه سمعان إلى يسوع[3]، وهذا ما يقربنا من دعوة يسوع لسمعان وأندراوس وابني زبدى. فالتلميذ الحبيب هو واحد منهم. ولكن المشهد يجري على شاطئ البحيرة حيث يصطاد سمعان بطرس ورفاقه. فيوحنا بن زبدى هو ذلك الذي لعب دور التلميذ الذي كان يسوع يحبه.

خاتمة: من الرسول يوحنا إلى التقليد اليوحناوي.

أين دون إنجيل يوحنا؟ الرأي الأصح في أفسس. قال بعضهم: في أنطاكية بسبب التقارب مع موشحات سليمان (كتاب منحول) واستعمال أغناطيوس الأنطاكي للإنجيل الرابع. ولكن هذا يعني أن الجماعة اليوحناوية انتقلت إلى أفسس، لأن تجذر الرؤيا في آسيا الصغرى أمر لا جدال فيه. ثم إن المعيدين للفصح في الرابع عشر من نيسان يرجعون إلى يوحنا، وقد كانوا مسيحيين من آسيا الصغرى (أفسس، سرديس، إزمير). أما أنطاكية فلم تتحدث يوماً عن تعيين الفصح في هذا التاريخ.

نشر الإنجيل الرابع في نهاية القرن الأول، فساعد أكثر من كل أسفار العهد الجديد على التعمق في الكرستولوجيا وفي شخص الروح القدس. لا نقدر أن نقول إن مدرسة يوحنا تتفرد بالحديث عن وجود المسيح السابق. فهذا ما نجده في رسائل الأسر وفي الرسالة إلى العبرانيين. ولكن. يبقى أن الإنجيل الرابع كشف لنا أن يسوع وحده

(1) 13: 23 ـ 26؛ 20: 3 ـ 10؛ 21: 7، 20 ـ 23.

(2) أعمال 3: 1 ـ 4، 11؛ 4: 13، 19؛ 8: 15، 20.

(3) 1: 40 ـ 42.

يقدر أن يحمل إلينا ملء الحياة لأنه هو الكلمة (اللوغوس) وينبوع الحياة. ويظهر إنجيل يوحنا عمق الحياة الحميمة التي يقدمها المسيح للذين ينفتحون عليه بإيمان: «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه»[1]. «أنا هو الكرمة وأنتم الأغصان. من يثبت في وأنا فيه يأت بثمار كثيرة لأنكم بدوني لا تقدرون أن تصنعوا شيئاً»[2]. والإنجيل الصوفي يدخل في قلوبنا ضرورة الحياة في الكنيسة، فعلامة حضور المسيح في العالم هي وحدة تلاميذه.

(1) 6: 56.

(2) 15: 5.

الفصل الثاني

ـ مواضيع الفصل:

* سفر الرؤيا
* أعمال الرسل
* الرسائل البولسية
* الرسائل الكاثوليكية

سفر الرؤيا

سفر الرؤيا (من رأى) أو الجليان (من جلا أي كشف) هو وحي يرسله الله إلى البشر عن أمور خفية يعرفها وحده. سفر الرؤيا هو كلام الله يحمل التشجيع إلى المؤمنين في زمن الشدة والاضطهاد.

وكذلك يطلق على سفر الرؤيا بأنه سفر النهاية، حيث يختتم الله التاريخ بحضوره المجيد، ويزيل عالم الشر ويجعل المؤمنين يملكون معه إلى الأبد.

الرؤيا ترجمة لكلمة يونانية تعني كشف وأوحى. وحين نتكلم عن الرؤيا نفكر اليوم بالنكبات والخوف وهيجان القوى الهائلة والشبيهة بانفجار ذري. أما في الحقيقة، فالرؤيا هو كتاب وحي نقرأه لأنه يكشف لنا معنى الإنجيل. ولا نتوقف عند تنديدات نبي غار غَيْرةَ الرب فحكم على العالم الخاطئ وأنذره بأقسى العقوبات.

إلى هذا، سنتعرف على وجه هذا السفر الأدبي والمحيط الذي كُتب فيه، واللاهوت الذي نستنتجه من سفرٍ هو صدىً لصوت الله يعزي المضطهدين في شدتهم.

أ ـ الوجه الأدبي لسفر الرؤيا:

1 ـ رؤيا يوحنا والرؤى اليهودية:

إن العالم اليهودي الذي سبق المسيح وتلاه، قد شهد ولادة كتب رؤىً عديدة نذكر بعضها:

ـ كتاب أخنوخ الأول أو أخنوخ القبطي (وجدت منه نسخة قبطية فقط)، وهو يجمع تقاليد ترجع إلى القرنين السابقين للمسيح. يقدم وحياً عن نهاية العالم، عن عقاب الملائكة الجاحدين، عن أسرار الطبيعة ونواميس الكواكب وتاريخ الكون.

ـ كتاب أخنوخ الثاني أو كتاب أسرار أخنوخ أو أخنوخ السلافي (نسخة في لغة السلاف)، دوِّن في بداية العصر المسيحي. حسب تاريخ الكون، وحدد له زمن 6000 سنة تتبعها راحة سبتية تمتد على ألف سنة.

ـ وصيات الآباء الاثني عشر. يقتدي الكتاب بسفر التكوين[1] فيتضمن الوصية الروحية لكل من أبناء يعقوب الاثني عشر. نجد تقديماً لتاريخ الأب يهوذا أو غيره، ونبوءةً تعني مستقبل القبيلة التي تسمت باسمه. يعود النص إلى نهاية القرن الثاني ق م، وقد دُستْ فيه مقاطع مسيحية فيما بعد.

ـ رؤيا عزرا أو سفر عزرا الرابع. دوِّنت حوالي السنة 100 ب م، فتضمنت سبع رؤىً تتعلق بتاريخ إسرائيل. إنها محاولة للإجابة على التساؤلات المؤلمة التي أثارتها نكبة سنة 70 الوطنية. إن الإسكاتولوجيا وحدها تعطي هذا الشقاء معناه في مخطط الله.

ـ رؤيا باروك السريانية أو سفر باروك الثاني. يعود الكتاب إلى نهاية القرن الثاني ب م، ويقدم نقاطاً مشتركة مع رؤيا عزرا.

أولاً: مؤلفات مُغفَلَة.

تعلن الرؤى اليهودية أن كتَّابها شخصيات كبيرة من تاريخ إسرائيل، مثل موسى، أخنوخ، عزرا... وهكذا تحاول أن تستند إلى سلطة آباء أجلاء. أما صاحب رؤيا يوحنا فيقدم نفسه ببساطة: «إنه شاهد يسوع المسيح»[2]. الشاهد والشهيد كلمتان تعودان إلى جذر واحد وإن اختلف معناهما. في 1: 5 ينال المسيح ثلاثة ألقاب متتالية: إنه الشاهد الأمين، وبكر الأموات، وملك ملوك الأرض. من الواضح أن اللقبين الثاني والثالث يشيران إلى قيامة يسوع وارتفاعه في المجد. فكيف لا نفهم أن كلمة «الشاهد الأمين» تلمح إلى الصلب؟ حين مات المسيح على الصليب، كشف عن نفسه أنه الشاهد الأمين. وهنا نفهم لماذا يُدعى الشهيد أنتيباس أيضاً الشاهد الأمين. أنه دُعي كمعلمه وربه ليختم شهادته بدمه.

ونقرأ أيضاً في 6: 9 عن المسيحيين المذبوحين من أجل الشهادة، في 11: 7

---

(1) 49: 1 ـ 27.

(2) 1: 1 ـ 2، 9.

عن الشهيدين المقتولين، في 12: 11 عن انتصار المسيحيين الذين ماتوا من أجل شهادتهم. وهكذا لا يرى كاتب سفر الرؤيا أنه يكشف المخطط الذي نقله الله في ماضٍ سحيق إلى أحد عِباده الأمناء، بل يريد أن يقدم في العالم المعاصر له، صدى إنجيل يتطلب أمانة صعبة.

ثانياً: الرمزية.

تتكلم الرؤى اليهودية بالألغاز والصور والرموز، فلا تختلف عنها رؤيا يوحنا، كما يبدو. ولكن، إن عرفنا العهد القديم، لاحظنا أن أكثر الصور المستعملة تُفهم بسهولة: ابن الإنسان (ف 1)، الابن المسيحاني للمرأة (ف 12)، الحمل (ف 5)، العريس (ف 19)، كل هذه ألقاب تشير إلى المسيح الذي أنبأ به العهد القديم. وإن وجدت في سفر الرؤيا رموز أكثر غموضاً (مثلاً 13: 18، عدد اسم نيرون)، فهي ولاشك تثير الفضول، ولكنها لا تمنعنا من اكتشاف البشارة من خلال هذا الأسلوب المصطلح.

ثالثاً: التشاؤم.

تلقي الرؤى على العالم نظرة تشاؤم: فالشر يسود الأرض، والمؤمنون يُضايَقون، بل يُضطهَدون. ولكن الله سيتدخل قريباً، ويبدل الحالة التي يشهد لها «الرائي» مسبقاً.

قد نظن أن أسلوب رؤيا يوحنا لا يختلف عن أسلوب هذه الرؤى. ولكن إن قرأنا النص بتمعن، وجدنا أن الكاتب يشدد على أن الخلاص والنصر حاضران الآن[1]. لا شك في أنه يعلن ظهور الملكوت المجيد في المستقبل. ولكن بعد أن انتصر المسيح بصليبه، حصل البشر على جوهر الأمور، فلم يبق لهم إلا أن يحققوا في حياتهم واقع هذا الخلاص الذي تم.

رابعاً: الكشف عن المصير.

تكشف هذه الرؤى عن أسرار مخطط وضعه الله منذ الأزل. فالذي حصل على وحي يقدر أن يتتبع في التاريخ تحقيق هذا القصد تحقيقاً تدريجياً وأن يصل إلى سر المستقبل.

ولكن، كيف لا نلاحظ أن الإله الذي تتكلم عنه هذه الرؤى لم يعد الإله الحي

---

(1) رج 12: 11.

الذي كلم شعبه خلال تاريخه وفرض عليه الطاعة له وعاقبه على خياناته وتراجع عن قساوته عندما يتوب الإنسان، ودعا البشر لأن يقدموا التزامات جديدة. . . إن إله الرؤى هو سجين مخططه. لقد قرر كل شيء فحل محله مصير محدد سلفاً.

ولكن رؤيا يوحنا تستعمل لغة نبوية أكثر منها جليانية. لا شك في أنها تؤكد أن إرادة الله سوف تتحقق حتماً. ولكن تعاد هذه الآية في 22: 6 ـ 7 لتعلن: ما يجب أن يحصل هو مجيء المسيح. وعندما تلجأ إلى صورة مطبوعة بالحتمية فتعلن عدد المختارين المطبوعين بختم الحمل (ف 7)، فهي تؤكد أن ما يميز هؤلاء المختارين هم أنهم يلبسون ثوباً تبيض بدم الحمل. ويبدو العدد 144000 حاملاً تعليماً رمزياً يماثل بين هؤلاء المختارين وقبائل شعب الله الاثنتي عشرة. المهم أننا نبين أننا لا نستطيع أن نتأمل في المختارين وفي عددهم إلا في علاقتهم بالمسيح.

لا شك في أن مخطط الله أزلي ولكننا نزيد أنه مركّز على يسوع المسيح منذ الأزل. لهذا نستطيع أن نقول عن الناس الذين دلوا على أمانتهم بطاعة حالية وخطرة، إنهم مسجلون منذ البدايات في سفر الحمل[1]. هكذا تحولت رؤيا يوحنا حتمية الرؤى اليهودية الباردة إلى بشارة خلاص في يسوع المسيح. ولهذا نسمع نداءات وتحريضات: يجب أن تحيا كإنسان مختار أي أن تبقى متحداً بالمسيح.

كل هذه الملاحظات تقودنا إلى القول إن كاتب رؤيا يوحنا وعى أنه يكتب كتاباً جليانياً: إنه يعرف الفن الأدبي الخاص بهذا النوع من الكتابة ويستلهمه. ولكن إيمانه المسيحي يحول التعليم الجلياني من الأساس. احتفظ الكاتب بالشكل الخارجي، ولاسيما حين يساعده على إعلان الانقلاب الذي يتمه يسوع في حياة كل إنسان كما في حياة العالم كله، وعلى الاحتفال بيقين انتظار مجيئه النهائي على أساس خبرة حضوره الحالي والمتطلب والخلاصي.

2 ـ تصميم سفر الرؤيا:

لن نستطيع الآن أن نتكلم عن تصميم بالمعنى الحصري. لاشك في أن هناك سبع كنائس وسبع رسائل وسبعة ختوم وسبعة أبواق. . . وهناك ثلاث بلايا. . . ولكن لا نستطيع أن نبين كيف تنتظم هذه البنى.

---

(1) 13: 8.

أولاً: المواضيع المطروحة.

مقدمة ورؤية أولى (ف 1).

الرسائل السبع إلى الكنائس (ف 2 ـ 3).

رؤية العرش والحمل والكتاب صاحب السبعة ختوم (ف 4 ـ 5).

الختوم السبعة (6: 1 ـ 8: 5) مع المعترضة في فصل 7.

الأبواق السبعة (8: 6 ـ 11: 19) مع المعترضة في 10: 1 ـ 11: 14.

المرأة وابنها والتنين (ف 12).

الوحشان (ف 13).

144,000 مختار أو الدينونة (ف 14).

الملاك والكؤوس السبع (ف 15 ـ 16).

الحكم على بابل (17: 1 ـ 19: 10).

المسيح الديان (19: 11 ـ 21).

الألف سنة والدينونة (ف 20).

عصر جديد (21: 1 ـ 22: 5).

الخاتمة (22: 6 ـ 21).

ثانياً: بعض الملاحظات حول بنية سفر الرؤيا.

نتوقف هنا بعض الشيء عند أسلوب الكتاب ومبادئه ومعللاته.

ـ معنى التوازيات:

يتضمن الختم السادس «بالقوة» الأبواق السبعة[1]، فحين يصوت البوق الرابع يعلن النسر باحتفال ثلاث ويلات[2] لا يتقابل تعاقبها مع تعاقب الأبواق وهذا ما يدل على أن نتيجة البوق السابع ستمتد إلى أبعد مما يرد في 11: 15 ـ 19.

«ثم إن الموازاة بين الأبواق السبعة والكؤوس السبع، واستعادة بعض المواضيع مثل

---

(1) 8: 1 ـ 15.

(2) 8: 13.

موضوع الدينونة، وتأكيدات عن آنية ملكوت الله،كل هذا يقودنا إلى قراءة لا تجد في الرؤيا إنباءات متعاقبة لأحداث مرتبة ومتسلسلة في الزمن: مثلاً ما تنبئ به الختوم السبعة يسبق في التاريخ الأحداث التي أنبأت بها الأبواق السبعة. وفي داخل كل سباعية، فالعدد 1 إلى 7 لا يقابل سياقاً تاريخياً، بل وحياً بأشكال متنوعة عن واقع هو هو».

وبكلام آخر، فموضوع السبعة أبواق لا يختلف جذرياً عن موضوع السبع كؤوس. فالتعاليم هي هي في الأساس. أو بالأحرى هي تعلن الحقائق عينها بطرق مختلفة. هذا ما يسميه الموسيقيون: استعمال اللحن الرئيسي مع بعض التغيير. وهكذا نستطيع أن نقابل بين سلسلة الأبواق وسلسلة الكؤوس.

ـ الأبواق الكؤوس:

1 ـ البرد والنار على الأرض. 2 ـ اشتعل الجبل وسقط البحر. 3 ـ اشتعل كوكب فسقط على المياه، سكبت الكأس على المياه الحلوة فصارت دماً. 4 ـ خراب ثلث الكوكب. 5 ـ سقطت نجمة من السماء، وسكبت الكأس على عرش الغمر، فخرج منه غمام حجب الشمس، ثم خرج الجراد فأضر بالبشر الذين ليسوا لله. العقارب، عض الناس على ألسنتهم من الألم، ولكنهم لم يتوبوا. 6 ـ تحرير أربعة ملائكة قيدوا على الفرات. 7 ـ إعلان آنية الدينونة.

نلاحظ المقابلة بين جزء وجزء ونلاحظ أيضاً تدرجاً: فضربات الكؤوس أوسع من ضربات الأبواق (هنا الثلث، هناك الكل). وقد يتخذ التدرج طريق المنطق: هناك توضيح متزايد: من دينونة المضطهدين بصورة عامة نصل إلى دينونة بابل أو روما. ثم إن الكاتب يشدد على وحدة كل الرؤى. مثلاً: تستعيد الرسائل بعض المواضيع في الكتاب. مثلاً: الفردوس، المدينة السماوية، الموت الثاني.

ولكننا لا نقول إن سفر الرؤيا يدور على نفسه، وإن تعليم الخاتمة موجود في الأسطر الأولى. فالكاتب يقدم لنا مسيرة، وكتابه يقودنا إلى تمام وكمال. فرؤى فصل 21 لا تنقل إلى بداية الكتاب دون أن تؤثر على مضمونه. إن الوحي يقودنا إلى إعلان الملكوت. إذن، يجب أن يأخذ التفسير بعين الاعتبار هاتين الخاتمتين اللتين تبدوان متعارضتين: تعود الرؤى إلى التأكيدات عينها، ولكنها تنفتح على منظورات إسكاتولوجية.

ـ معترفات جوهرية:

إذا عدنا إلى التصميم نلاحظ على مرحلتين أن تصوير سلسلة العناصر السبعة قد انقطعت وتركت المكان لمعترضة. وإذا تأملنا بدقة فهمنا أننا أمام معترضات خارجة عن التوسيع الجاري، بل أمام عناصر تلعب دوراً خاصاً فتؤخر قصداً السير المتدرج. مثلاً الوقفة التي تفصل الختم السادس عن الختم السابع (ف 7)، أو تلك التي تفصل بين البوق السادس والبوق السابع[1]، أو تلك التي تلي البوق السابع وتسبق الكأس الأولى[2].

إنها ملاحظة شكلية ولا شك، ولكن هذه المعترضات تقدم توسعات هامة جداً: إنها تدعو القارئ ليتوقف ويفكر في المعنى العميق والبعد الوجودي للسلسلات الجليانية التقليدية. حينئذ نجد الدور ذاته الذي تلعبه الأناشيد والإعلانات الاحتفالية داخل الرؤى المختلفة: إنها تدعو القارئ ليكتشف أنه معنيّ مباشرةً بالأحداث الجليانية المعلنة. ينقطع الخبر ويبدأ تأمل يدعو الناس ليدخلوا في قلوبهم حقائق الإيمان التي تنبعث من التاريخ المقدس.

ونقول أيضاً إننا نجد في هذه المقاطع (معترضات وإعلانات) ما يهم الكاتب بالدرجة الأولى. يتوقف عن استعمال مواد التقليد الجلياني فيتكلم هو نفسه ويقدم لنا أعمق وأهم ما في سائر فكره. فإذا أردنا أن نفسر سفر الرؤيا تفسيراً صحيحاً لا بد من إعطاء هذه النصوص مكانة مميزة.

3 ـ تاليف سفر الرؤيا:

أولاً: نص منقح.

هناك إشارات عديدة تدل على أن سفر الرؤيا نقح مرات بعد أن دون. وها نحن نقدم مثلاً واحداً: 16: 15: «ها أنا آتٍ كالسارق. هنيئاً لمن يسهر ويحرس لئلا يمشي عرياناً فيرى الناس عورته». هذه الآية مزادة، فإذا حذفناها ترابطت آية 14 وآ 16. ولكن إذا تأملنا اللغة والمفردات نجد أن الكاتب نفسه وضع هذه الزيادة.

---

(1) 10: 1 ـ 11: 13.

(2) ف 12 ـ 14.

وهناك أمثلة أخرى: 18: 14: «الثمر الذي اشتهته نفسك ذهب عنك وزال الترف والبهاء جميعاً ولن تجديه. يبدو أن هذه الآية ليست موضوعة في محلها». 22: 11: «من كان ظالماً فليداوم على الظلم، ومن كان نجساً فليبق في نجاسته. ومن كان صالحاً فليداوم على الصلاح. ومن كان قديساً فليبق في قداسته». إن هذه الآية تعطل القرينة وتزعج الشراح. من زاد هذا العنصر الموازي أو الاعتبار الإضافي؟ كل هذا يصبح معقولاً حين نتوقف عند حركة فكرة فصل 17. فالآية 15 تقدم تفسيراً ثانياً للمياه التي تقيم بقربها الزانية. إن 17: 1 كشف أن التفصيل يرجع إلى إر 51: 13 وأن الكاتب يلمح إلى مملكة روما البحرية. ثم إذا حذفنا آية 15 وأولى كلمات آية 16 نحصل على نص واضح وبنية مركبة أفضل تركيب بأسماء الإشارة الثلاثة. في 17:13: هؤلاء اتفقوا... 17:14: هؤلاء سيحاربون... 17:16: هؤلاء سيبغضون.

ثانياً: نشرتان متتاليتان.

ـ فرضية الأب الدومينيني بوامار:

افترض شراح عديدون أن سفر الرؤيا لم يؤلف دفعةً واحدة في الشكل الذي نعرفه اليوم. فقالوا هناك نسخات متعددة وأيدٍ متنوعة وطبقات مختلفة. وانطلقوا من إثباتين. الأول: نرى في سفر الرؤيا مقاطع تتكرر. قال بوامار: كل رؤية، كل حدث يظهر في نسختين. مثلاً: 000. 144 من مؤمني المسيح[1]. الطوباويون في السماء[2]. ضربات السبعة أبواق والسبع كؤوس[3]. تصوير الوحش برؤوسه السبعة وقرونه العشرة. وتمتد اللائحة وتنتهي مع «أورشليم المثالية» ورذل الأشرار بصورة نهائية. الإثبات الثاني: ولكن الدراسات الأخيرة وصلت بنا إلى القول إن كل الرؤيا دونت بيد واحدة. يبقى أن نجد تفسيراً يرتبط بالإثبات الأول دون أن نقول إن كتَّاباً عديدين دونوا سفر الرؤيا.

إن الحل الذي عرضه بوامار يقول: «ألف الكاتب نفسه كتابين متميزين ومتوازيين في تواريخ مختلفة وفي أطرٍ تاريخية مختلفة. النص الأقدم يعود إلى زمن نيرون. يستعيد نبؤات دانيال ليعلن للمؤمنين المضطهدين تدخل الله الخلاصي وعقاب المملكة

---

(1) 2: 7ـ 8؛ 14: 1ـ 5.
(2) 7: 9ـ 17؛ 15: 2ـ 5.
(3) ف 8ـ 9؛ ف 16.

الرومانية، ثم الدينونة الأخيرة ونهاية العالم وحلول أورشليم السماوية. وألفت «الرؤيا الثانية» في عهد فسباسيانس أو دوميسيانس. استعادت الرحمة عينها ولكنها استندت إلى نبوءات دانيال. وتوحدت الوثيقتان مع بعض التكيفات وزيادة الرسائل إلى الكنائس. ولكن هذا النوع من التفسير يتلاعب بالنص ويتخيل الكاتب كأحد البحاثة يستقون من وثيقتين مختلفتين. إن هذا النظرية تجيد في طرح المسألة لا في تقديم الجواب. ونأخذ مثلاً على هذا: أورشليم المثالية التي قيل إن موضوعها تكرر في 21: 1 ـ 8 و21: 9 ـ 22: 5. أما يكون الأفضل أن نرى في 21: 1 ـ 22: 5 وحدة موضوعية تتألف من ثلاثة مقاطع؟ المقطع الأول: 21: 1 ـ 8: العالم الجديد. المقطع الثاني: 21: 9 ـ 27: أورشليم السماوية. المقطع الثالث: 22: 1 ـ 5: الفردوس. إنها المواضيع الإسكاتولوجية الرئيسية عند أنبياء العهد القديم. ولقد شدد الكاتب على تلاقي هذه النبوءات الثلاث بل على وحدتها. مثلاً: نلاحظ التوازي بين 21: 2 و21: 10، بين 21: 8 و21: 27، بين 21: 23 و22: 3، بين 21: 23 ـ 25 و22: 5. أراد الكاتب أن يقول: أعلن الأنبياء النهاية بكلمات عن العالم الجديد وأورشليم الجديدة والفردوس الجديد. هذا هو تمام هذه النبوءات. ولكن لا نحسب أن الله يبدأ بتبديل العالم لينزل فيما بعد إلى مدينته المقدسة، وينتهي بإقامة الشروط الفردوسية. فالعالم الجديد وأورشليم الجديدة معاصران ومتماثلان للفردوس. إنها ثلاث صور وثلاث طرائق لنقول بكلمات البشر كيف يكون العالم العجيب الذي يهيئه الله. لهذا يقابل الكاتب بين النهر العجيب الذي يسقي الفردوس والشارع الرئيسي في المدينة[1].

ـ النسخة الثانية التي زيدت عليها الرسائل:

هناك إشارات تدل على أن الكتاب عرف تحولاتٍ أكثر جوهرية. فأول كلمات سفر الرؤيا تعلن البرنامج الذي أراد الكاتب أن يتوسع فيه: أن يعلن ما سيحدث قريباً، ويستعيد العبارة عينها في الخاتمة ليبين أنه وصل إلى الهدف الذي وضعه نصب عينيه: لقد كرس الكتاب حقاً لإعلان ما سيحدث قريباً. وهذه علامة واضحة تدل على وحدة النص وكماله. إنه لا ينقصه شيء. ولكن ماذا نجد إذا تمعنا في الأمور؟ في 1: 19 تعود الكلمات عينها مع بعض التغيير: «أعلن ما يكون الآن وما سيكون فيما بعد».

(1) 22: 2.

وهذا النظام يجد كماله المباشر: هذه هي الرسالة إلى الكنائس منذ بداية فصل 2. وما إن تنتهي الرسالة السابعة حتى يتقبل الرائي وحي «ما سيحدث قريباً»[1]. نفهم إذن، أن الرسائل هي إعلان ما يكون الآن. وإن تصحح البرنامج الأول في 1: 19 و4: 1، فلكي يتيح للكاتب إقحام توسع غاب عن النص الأول. أجل، إن الرسائل إلى الكنائس زيدت فيما بعد.

ـ خاتمتان:

تبدأ خاتمة سفر الرؤيا في 22: 6 حيث نجد تذكيراً بشروط الوحي: إرسال ملاك من قبل الله. وهدفاً: أن يبين ما سيحصل قريباً. إلا أننا نلاحظ في 22: 16 عبارة مماثلة نكتشف فيها تبديلين مهمين: صاحب الوحي هو يسوع، وموضوع الوحي يعني الكنائس. فكأني بنا أمام خاتمة أولى استعيدت لتقدم إيضاحات جديدة ومهمة: ما عدته آية 6 ـ 7 وحي الله المتعلق بالمسيح ومجيئه، صار الآن كلمة المسيح عن الكنائس. غير أننا لا نجد إلا حصة واحدة في سفر الرؤيا تتحدث عن كلمة المسيح الموجهة إلى الكنائس، هي الرسائل السبع. فصل 2 و3 هما الفصلان الوحيدان اللذان يتحدث فيهما المسيح بصيغة المتكلم إلى الكنائس.

كل هذا يدفعنا إلى القول إن 22: 16 ي تشكل خاتمةً ثانيةً زيدت على النسخة الثانية لتبرر وجود الرسائل التي لم توجد في النسخة الأولى.

ب ـ المحيط الذي كتب فيه سفر الرؤيا:

1 ـ حالتان متتاليتان.

ما قلناه سابقاً يدل على أنه كان لسفر الرؤيا وجهتان مختلفتان ومتتاليتان. **الحالة الأولى**: نجدها في بداية الفصل الأول وصلب سفر الرؤيا[2]. اهتم الكاتب بالمسائل التي تطرحها على المسيحيين حياة يعيشونها وسط مملكة وثنية، وتهديدات تفرضها متطلبات العبادة للإمبراطور على الذين يرفضون أن يشاركوا فيها.

الحالة الثانية: تعالج الرسائل إلى الكنائس المسائل عينها ولكن من زاوية مختلفة:

---

(1) 4: 1.

(2) 4: 1 ـ 22: 15.

هي تتوجه إلى جماعات لم تقتنع كلياً بأمانة الرائي التي لا مساومة فيها. إذن، تحاول الرسائل أن تطبق استنتاجات الرؤى الأساسية على وضع محدد، وضع مسيحيين تجتذبهم سهولة المساومة والتسوية.

2 ـ عبادة الإمبراطور:

تضع أمامنا رؤية فصل 12 الشيطان والمرأة السماوية (التي هي صورة عن شعب الله) والمسيح. إنها قصة العداوة التي يحركها الشيطان ضد الله وأخصائه. ولكن قهر إبليس وطرده من عالم السماء، فانحدر على الأرض. غضب لأنه قُهر، فهاجم نسل المرأة أي الذين يعملون بوصايا الله ويحفظون شهادة يسوع. هكذا ينتهي فصل 12.

ويتابع فصل 13 فيورد كيف تظهر هذه العداوة. هذا يعني أن الوحش الذي برز هو خليفة الشيطان وأحد وكلائه على الأرض. الوحش هو واقع يجسد الشيطان في العالم المعاصر للرائي. يبقى علينا أن نحدد هوية الشخص الذي يختفي وراء هذه الصورة. ولهذا ننطلق من فصل 13.

أولاً: الوحش الأول.

ـ وكيل الشيطان:

يدل وجهه بوضوح على قرابته الوثيقة بالتنين الذي هو الشيطان[1]. إنه أداة إبليس ومفوضه. فلا نعجب بعد هذا أن يعمل الوحش الأول ليدفع الناس إلى عبادة التنين.

يستعيد الوحش سمات الوحوش الثلاثة الأولى في دا 7. إنها ترمز على التوالي إلى ممالك بابل وماداي وفارس. إذاً، لا تختلف الرمزية في نص الرؤيا، والوحش يدل أيضاً على مملكة. وما يثبت قولنا هو أن السلطة تميز عمل الوحش الأول الذي يأتي ليمارس السلطان باسم التنين. إنه قدير جداً وله عرش وسلطته تشمل الكون. وبما أننا أمام سلطة يعرفها الشيطان، فإنها تمارس بالطبع ضد المسيحيين الذين يضطهدهم ويقتلهم.

ونلاحظ أخيراً الإشارات التي تبرز طابع الوحش الديني. هو يحمل اسماً كله تجديف. ويتلفظ بتجاديف تدل على ادعائه بأن يرتفع إلى مستوى الله. يطلب هذا

---

(1) ق 12: 3 و13: 1.

الوحش أن يعبد وأن يزيح باحتفال. أما العبارة «من هو مثل الوحش» فهي منسوخة عن فعل إيمان شعب إسرائيل بالله الوحيد: من هو مثل الله.

ـ المملكة الرومانية:

كل هذه السمات ترسم صورةً عرفها حالاً قراء سفر الرؤيا: صورة المملكة الرومانية التي يتلون سلطانها الشامل بألوان شيطانية في عين من يعرف أن يميز الأساس الذي يرتفع فوقه البنيان. فالعقلية الشعبية تعتبر أن النظام الروماني الذي يتيح العيش في عالم عادي ومنظم هو نتيجة بركة الآلهة الموجودين وراء كل سلطة بشرية. لهذا فالملك الذي يجتمع فيه السلطان كله هو من مصاف الآلهة. عند ذاك استفاد الأباطرة الرومان من هذا الوضع ليركزوا سلطتهم على عرش منيع تاركين الناس يعتبرونهم كآلهة أو فارضين عليهم أن يؤلهوهم ويعبدوهم.

تصرف الأباطرة في القرن الأول المسيحي بطرق مختلفة. تحفَّظ بعضهم ولكنهم تركوا الناس ولاسيما في آسيا الصغرى يلتهبون حماساً بعبادة الإمبراطور. أما الآخرون ففرضوا لقباً دينياً رسمياً وشجعوا الناس على تشييد معابد لعبادة الإمبراطور وتنظيم كهنة لهذه المعابد. فيمكننا القول إن هذا المجتمع التوتاليتاري يستند إلى أساس وثني يتنافى والمسيحية.

ـ روما وبابل:

في هذا الإطار نقرأ فصل 17 ـ 18، فنجد فيهما دينونة بابل، الزانية الكبرى. نحن هنا أمام صورة تقليدية عند أنبياء العهد القديم الذين رأوا في صورة الزانية رمزاً إلى خيانة الشعوب والمدن لله[1]. ولكن من تكون هذه المدينة؟

اسم بابل يعطى لكل من يعارض الله وشعبه[2]. وقد احتفظ الكاتب بهذا اللقب ليدل على روما التي حكم الله عليها أيضاً[3]. وتتحدث 17: 9 عن التلال السبع فتدل على روما بتلالها السبع.

---

(1) هو 5: 3: إسرائيل؛ أش 1: 21: أورشليم؛ نا 3: 4: نينوى.
(2) أش 46: 1 ـ 3؛ 47: 1 ـ 15؛ إر 50: 29 ـ 32.
(3) آبط 5: 13.

- رؤوس الوحش السبعة:

تتوسع 17: 9 ـ 11 في مثل سري تدل بموجبه رؤوس الوحش السبعة على سبعة ملوك. خمسة منهم سقطوا، السادس لا يزال يملك. والسابع مر سريعاً. أما الثامن فهو يقابل الوحش وأحد الملوك السبعة السابقين. إذا كنا نعرف أن الوحش يدل على المملكة الرومانية في القرن الأول المسيحي، فهل نقدر بسهولة أن نتعرف إلى هؤلاء الملوك؟ الأمر صعب. لأنه يجب أن نعرف من هو الملك الأول. ثم هل نحسب حساباً لمغتصبين دام ملكهم بضعة أيام؟

إذاً، يبدأ الحساب من التاريخ كما يراه صاحب الرؤيا. فحسب فصل 12 قمة التاريخ هي هزيمة الشيطان والنصر الفصحي. فيقول: في أيام طيباريوس طُرد الشيطان من السماء فانحدر إلى الأرض. حينئذ بدأ يستعمل المملكة ليعمل بغضه في مؤمني يسوع. وهكذا يكون كاليغولا خلف طيباريوس أول إمبراطور شيطاني. وجاء بعده كلوديوس ونيرون. وإذا ترى جانباً كلاً من غلبا وأوتون وويتاليوس، يكون الرابع فسباسيانس والخامس تيطس والسادس دوميسيانس الذي في أيامه كتب سفر الرؤيا. ولا يزال الكاتب ينتظر الإمبراطور السابع. ثم يأتي الثامن الذي هو أحد السبعة ويقابل الوحش نفسه. نفهم إذاً أنه تجسيد كامل للمملكة الوثنية. كل هذا يوجهنا نحو الجواب: لقد خلب نيرون معاصريه بكثرة شره (قتل أمه، أحرق المدينة، تسلط على البلاد). إنه يرمز إلى مملكة يلهمها الشيطان ويوجهها. ويلاحظ أنه بعد موت نيرون انتشرت شائعات بأنه لم يمت، بأنه يختفي في الشرق ومن هناك سيأتي ليسحق خصومه. وقالت بعض هذه الشائعات: مات نيرون ولكنه سيعود. سيحيا من جديد وسيكون رجوعه العجيب رجوع المنتصرين.

هذا هو الإمبراطور الثامن الذي هو أحد السبعة والذي هو الوحش. هذا هو رأس الوحش الذي ضُرب فمات، ولكنه عاد إلى الحياة[1]. هذا هو الوحش الذي كان ولم يعد موجوداً ولكنه سيطلع من الهاوية[2].

من المفيد أن نلاحظ أن صاحب سفر الرؤيا لا يكتفي بأن يبعد باحتقار هذه

(1) 13: 3.
(2) 17: 8.

الآمال وهذه المخاوف: إنه يتوجه إلى أناس يشكل رجوع نيرون في نظرهم جزءاً من المستقبل. قال: أجل، سيعود ولكن ليذهب إلى الهلاك[1]. لن يدل رجوعه على انتصاره، بل سيكون مناسبة ليرى العالم كله، ليشاهد بصورةٍ نهائية هزيمة القوى الشيطانية.

ثانياً: الوحش الثاني.

نلاحظ أن بين الوحش الأول والوحش الثاني[2] نقاطاً مشتركة. الوجهان يختلفان. ولكن صوت الوحش الثاني يدل على طبيعته: ألقى الخطبة عينها التي ألقاها التنين. ثم إن عمله يرتبط بالوحش الأول: يمارس سلطانه ويخدمه دوماً.

يبرز فعل «صنع» سبع مرات وفاعله الوحش الثاني. وفي حالة ثامنة يكون الفاعل «البشر» الذين يصنعون، بناءً على أمره، تمثالاً للوحش الأول. وهكذا يتصل واقع هذه الصورة بحياة البشر ويحقق فيهم أعماله. وهذه الأعمال هي أولاً دينية: يصنع الوحش معجزات ويمارس السحر. وتتوجه هذه الأعمال نحو شعائر العبادة تجاه الوحش الأول. وسيعطي سفر الرؤيا فيما بعد[3] للوحش الثاني لقب النبي الكذاب. وهذا ما يثبت قولنا السابق: نحن أمام واقع يهدف إلى أن يعترف البشر بالطابع الإلهي للوحش الأول.

إذا بحثنا في عالم ذاك الزمان، عما دفع الإنسان للإقرار بالطابع الديني للإمبراطورية نجده في عبادة الأباطرة أو في الرغبات الدينية التي تشير إلى التأكيد الأساسي وهو أن الإمبراطورية تدل على طابعها الديني في شخص الإمبراطور.

تتحدث 13: 16 ـ 17 عن نتائج اجتماعية واقتصادية لعمل الوحش الثاني. ولكن هذا لا يعارض النتائج السابقة. يجب أن لا ننقل إلى عالم الزمن المبادئ التي توجه مجتمعاتنا الحديثة: فالإمبراطور في القرن الأول يجهل كل انفصال بين مجالات الدين والسياسة والحرب والاجتماع والاقتصاد. كل هذا يشكل وحدة تربط الديانة بين أجزائه وتوجهه. وهناك بعض الوقائع: وضعت مقاطعة آسيا الرومانية (غربي تركيا اليوم) تحت

---

(1) 17: 8، 11.

(2) 13: 11 ـ 18.

(3) 16: 13؛ 19: 20؛ 20: 10.

سلطة والٍ عيَّنه الإمبراطور. ولكن كان بقرب هذا الوالي مجلس مقاطعات يتمتع بسلطات محدودة. وكان هذا المجلس ينتخب كل سنة كاهناً أعظم لإقامة شعائر عبادة الإمبراطور. نقرأ نصين يذكراننا بقرار مجلس آسيا. نقرأ في الأول وهو كتابة وجدت في بريانيس: يشكل يوم ولادة الله (أي الإمبراطور أغوسطس الذي يحتفل بيوم مولده في 23 أيلول) بالنسبة إلى الناس بداية الأخبار السارة. وفي كتابة هليكرناسيس نقرأ: أعطت طبيعة الكون الأزلية والخالدة للبشر خيراً سامياً. فمنحت لحياتنا السعيدة أغوسطس قيصر، أبا وطننا الإلهي روما... ومخلص مجموعة الجنس البشري، إنه العناية التي لا تكتفي باستجابة صلاتنا، بل تسبقها.

في سنة 23 ب م، وفي عهد طيباريوس، اتخذ المجلس نفسه قراراً ببناء هيكل جديد في المقاطعة إكراماً للإمبراطور وأمه ومجلس الشيوخ الروماني. فلما قبل طيباريوس بالمبدأ تزاحمت إحدى عشرة مدينة لتحصل على إذنٍ ببناء المعبد الجديد، مشددة على أمانتها السابقة في إطار السياسة والحرب. واختيرت إزمير لتشيد هيكلاً إكراماً لمدينة روما. فحياة المقاطعات السياسية ونشاط رابطة النقابات وإدارة المدن والقرى، كل هذا تغلغلت فيه الديانة وانطبع بطابع العبادة للإمبراطور. مثلاً: قد تعود اللحوم التي تباع في السوق إلى ذبائح قدمت في هيكل الإمبراطور.

إذا كانت المملكة لا تزال ثابتة فتتيح الحياة والنشاط للأفراد والجماعات، فهذا عائد إلى الآلهة، وأولهم هو الإمبراطور. فمن عارض هذا الأساس الديني دل على أنه ثائر خطر يهدد موقفه أسس المجتمع عينها.

ـ الرقم 666:

تشير 13: 18 إلى صعوبة كبيرة: ماذا يعني رقم الوحش: 666؟ إنه يدل على الوحش، كما يقول الكاتب. فمن تحلى بالعقل والذكاء (الملهم) يقدر أن يحلل ويترجم.

نحن نعرف أن الحروف تدل على الأرقام والعكس صحيح. فإذا أخذنا اللغة العبرية وجدنا أن الحروف التي تؤلف اسم «قيصر نيرون» تساوي 666. هذا افتراض أول ممكن ومميز. وهناك افتراض ثان. فالرقم 7 يدل على فكرة كمالات الله، والرقم 12 يدل على الاثني عشر سبطاً أو رسلاً، وبالتالي على كل شعب الله (وهذا يصح في

الرقم 144000= 12 × 12 × 1000). أما الرقم 6 وهو قريب من 7، فهو يرمز إلى الشر والتمرد على الله،يرمز إلى العالم الوثني (يدل على النقص). نجد في الأقوال السيبيلية (كتاب منحول) أن اسم يسوع يساوي في اليونانية 888. فالرقم 8 هو فوق الرقم 7 ويدل على كمال إلوهية الابن.

3 ـ تعليم سفر الرؤيا:

إن الوضع كان أكثر تعقيداً من هذا العرض السريع والواضح، وقد اختبره معاصرو يوحنا فأحسوا بثقله. يجب أن نتذكر أن المملكة لم تعلن نفسها في ذلك الوقت عدو المسيحية اللدود. كانت للمسيحيين صعوباتهم مع السلطة الملكية أو ممثليها، ولكن الصعوبات وإن خطيرة، لم تكن تعبيراً عن تعارض مبدئي. وفي آسيا الصغرى مثلاً، لم تتخذ إجراءات لاضطهاد المسيحيين اضطهاداً منظماً. كانت هناك حالات من العداوة، ولكنها ارتبطت بظروف عابرة ومحلية كانت تتبدل مع الزمن. في هذا الإطار الصعب أسمعنا يوحنا تعليمه النبوي الذي نحدده في شكلين اثنين: المملكة الشيطانية والنصر.

ـ المملكة الشيطانية:

أوحى أولاً الطبيعة الحقيقية للمملكة. كانت هناك أصوات مسيحية تشدد على التوافق الممكن بين مثل العصر السياسية والأخلاقية وبين الإيمان المسيحي. وقلل آخرون من أهمية الصدامات التي جعلت سلطات المملكة تقف بوجه أعضاء الكنيسة الفتية واعتبروها تحولات بسيطة وأخطاء مؤسفة وعمل الأباطرة الأردياء. أما سفر الرؤيا فأعلن بقوة أن المملكة هي في خدمة الشيطان. والبرهان على ذلك العبادة الوثنية التي هي في أساس النظام. فلا نستطيع أن نأمل تحسناً في العلاقات بين الكنيسة والمملكة. لا تقدر المملكة إلا أن تضطهد المسيحيين. فعلى المسيحيين أن يعرفوا أنهم يسيرون نحو غدٍ صعب. سيتكاثر الشهداء. قُهر الشيطان على يد المسيح فقام بحملة على الكنيسة.

ـ النصر:

وما هو أخطر من هذا هو أن المملكة تنتصر، وهذا أمر طبيعي إذا قابلنا القوى الحاضرة: من جهة قبضة من المؤمنين بالمسيح لا سند لهم ولا جيش ولا تأثير. ومن

جهة ثانية قوة روما التي تسيطر على كل العالم المعروف. قال يوحنا[1]: «أعطي له أن يحارب القديسين ويغلبهم. وكل من يسجد لصورة الوحش يقتل». هذا ما يقوله عادة كتّاب الرؤى. ولكن نسمع هنا صوتاً جديداً. ترك يوحنا الطريقة التقليدية، فلم يعلن تدخل الله المقبل الذي سيأتي في النهاية ويعين أخصاءه ويسحق أعداءه. بل أكد: ليس الوضع الحاضر كما يبدو لعيونكم. لا تؤخذوا بالظواهر. انزعوا القناع عن الوجوه المستعارة: يمكنكم أن تؤخذوا إلى الشهادة، أن تموتوا وتغلبوا بطريقة نهائية. ولكن الواقع الصحيح والحقيقة الأزلية المؤسسة على الله تختلف عن هذا: فالوقت الذي فيه صلب يسوع كان وقت انتصاره. حينئذ قهر الشيطان وأنزل من السماء إلى الأرض وحصر في مكان لا يقدر منه أن يبدل مخطط الخلاص. وكل مرة يعترف أناس على الأرض بأن السلطان الوحيد الذي أمامه ننحني وإياه نطيع هو سلطان الله ومسيحه، وكل مرة يبرهن الناس في سلوكهم وفي استشهادهم على واقعية موت المسيح، ينتصرون هم أيضاً ويدلون على الحقيقة الوحيدة التي لا تطمسها ظلمة قط.

4 ـ الغنوصية:

أولاً: الرسائل إلى الكنائس.

لم يتضمن سفر الرؤيا في نسخته الأولى الرسائل إلى الكنائس. إنه أراد أن يعلن حضور المسيح القائم من الموت ورجوعه القريب، وأن يحتفل بنصره على العالم الوثني. ومهما استعملت المملكة الرومانية من قوة، ومهما جعل الشيطان هذه المملكة أداة بغضه على المسيحيين، فالمسيحيون هم المنتصرون الحقيقيون مع ربهم حتى ولو ماتوا مثله من أجل إيمانهم.

تبدو الرسائل كلمة نبوية يوجهها يوحنا إلى الكنائس من قبل يسوع. وهي تشير إلى ما هو حاضر الآن. لهذا سنبحث عن هذا الحاضر الذي سيلقي ضوءاً على جماعات آسيا الصغرى في نهاية القرن الأول المسيحي.

ـ الهراطقة:

تتحدث الرسائل عن مجابهات واضطهادات. ولكن ليس هذا هو همها الأول.

---

(1) رؤ 13: 5 ـ 7.

فإن تمعنا في فصل 2 ـ 3 اكتشفنا اهتمام الكاتب الأول: إنه يتوجه إلى كنائس تعالج خطراً خاصاً. لهذا يبدأ يسوع، ملهم هذه الرسائل، بأن يعلن أنه يعرض الوضع المحلي. فيوافق أو يحرض أو يندد حسب ردة فعل الكنيسة أمام ما يهددها. يكمن الطابع الجديد للوضع، في أن الخطر لا يأتي فقط من الخارج. إنه حاضر في قلب هذه الكنائس وهو يتزيا بالزي المسيحي ليطغي المؤمنين. هذا الخطر هو الهرطقة.

في أفسس: بدأت الكنيسة بطرد الهراطقة ثم تسامحت معهم. في سميرنة: لا مشاكل. في برغامس: التهديد ظاهر، ولكن لم يؤخذ بالأفكار الجديدة إلا بعض أعضاء الجماعة. في ثياتيرة: كانت ردة الفعل حسنة لدى الكنيسة. ولكن الكنيسة تسامحت مع نبية تضلل الناس بتعليمها الهرطوقي. في سارديس: الحالة مقلقة. لم يقاوم العدوى إلا عدد قليل من المسيحيين. أما في فيلادلفية فالوضع عكس ذلك. وتبقى كنيسة لاودكية التي مالت كلها إلى الهرطقة، على ما يبدو.

ـ النقولاويون:

يسمي يوحنا الهراطقة مرتين: إنهم النقولاويون[1]. ويمكننا أن نزيد النبية إيزابيل[2] التي لا يختلف تعليمها عن تعليمهم. ويبدو أن الخطر الذي يهدد سائر الكنائس هو خطر النقولاويين. لا تقول رسائل سفر الرؤيا شيئاً كثيراً عن هذه الهرطقة. ولكن حين نضع بعض المعلومات التي بين أيدينا في الإطار الذي يرسمه الكتّاب المسيحيون اللاحقون، نحصل على صورة متماسكة ومحددة. فهناك تقليد يعود بالحركة النقولاوية إلى الشماس نقولا أحد الهلينيين السبعة المذكورين في سفر الأعمال[3]. كان هذا الشماس متزهداً، فاهتم بجعل جسده في الدرجة الدنيا. هذا يعني أن النقولاويين يقولون بثنائية بين الجسد والروح. نحن إذاً أمام غنوصية، أي منهجٍ فكري يعرض فيه الخلاص على الناس بشكل وحي عن أصلهم وعن هويتهم.

يكتشف «المختار» أنه يحمل شعلة إلهية مخفية في جسده كما في سجن. بما أن

---

(1) 2: 6 ـ 15.

(2) ق 12: 14 ـ 15 و2: 20.

(3) 6: 5.

جسدنا ليس أنا الإنسان الحقيقي، نستطيع من دون خطر أن نغامر به ونأخذه إلى احتفالاتٍ وثنية. فالخلاص لا يتأثر بمثل هذه الأعمال التي هي أمور طفيفة. ولكن يوحنا يعتبر على خطى أنبياء العهد القديم، أن هذا العمل هو زنى مشين وخيانة لله الحي لا تغتفر. في هذه الأوقات التي صارت فيه الطاعة المسيحية أكثر صعوبةً وأكثر خطراً، وجب على المؤمنين أن يرذلوا هذه التجربة النافذة التي تجعلهم يعتبرون أن الاستشهاد هو عناد قصير النظر وليس اقتداءً بيسوع المسيح.

انطلق النقولاويون في فكرهم الثنائي إلى نتائجه الأخيرة، فأعلنوا أن المسيح لم يستطع أن يأخذ جسداً، لأن الجسد يرتبط بمبادئ المادة البغيضة. فجسد المسيح هو ظاهرٌ الجسد، وصلبه حيلة كاذبة. بما أن المعلم لم يتألم على الصليب، لماذا يجبر تلاميذه على تحدي الموت والاستشهاد.

ثانياً: تعليم الرسائل.

قد تكون اللوحة التي رسمناها عن النقولاويين سوداء. ولكن الهدف ليس أن نكتشف حقيقة هوية النقولاويين الروحية، بل أن نفهم جواب صاحب الرؤيا. لسنا أمام تنوع في التعليم المسيحي، بل أمام نهج شيطاني. فالنقولاويون يقفون على نقيض تعليم سفر الرؤيا: «إذا لم يعد لانتصار المسيح شهود في هذا العالم، فهذا يعني أن هذا الموت غير حقيقي».

لهذا أحس يوحنا أن المسيح يدفعه ليكتب إلى الكنائس ليحثها على طرد هؤلاء المسيحيين الكذبة، وعلى السير بثبات على خطى المسيح في طرق تحف بها المخاطر إذا أردنا أن نعترف بإيماننا. لهذا نجد في الرسائل تلميحات عديدة إلى الاعتراف باسم المسيح، إلى الابتعاد عن إنكار المسيح، إلى الأخطار التي تواجهنا. ويبدو أن هناك هرطقةً ثانية في هذه الكنائس، تتمثل في التيار اليهودي وهي حاضرة في كنيستي سميرنة وفيلادلفية. مهما يكن من أمر هذه الهرطقة الثانية، فيوحنا يعتبر أن الشيطان يلهم هاتين الهرطقتين اللتين تقودان إلى النتائج نفسها. في هذه الظروف يبدو من الفطنة أن نتكلم عن هرطقة واحدة هي الهرطقة النقولاوية: تلونت بلون الغنوصية، تغذت بالتقاليد اليهودية، واعتبرت أنها تقدم التفسير الحقيقي للعهد القديم.

ج ـ اللاهوت في سفر الرؤيا:

1 ـ فصل 11 أو رسالة الكنيسة النبوية:

أُمِر الرائي في نهاية فصل 10 أن يتنبأ على كثير من الشعوب والأمم والألسنة والملوك[1]. فجاءت رؤية فصل 11 تدل على أنه أتم المهمة: مارس شخصان رسالةً اعتبرت نبوية. الشاهدان هما اثنان: إذا أردنا أن نعرف السبب نعود إلى زك 4: 2 ـ 14 الذي يشكل خلفية 11: 3 ـ 4. يرى يوحنا في هذين النبيين تتمة نبوءة زكريا التي تتحدث بالصور عن خادمين لله. فالزيتونتان في رؤية زكريا تدلان على رئيسي شعب إسرائيل، رئيس الكهنة يشوع، وزربابل الرئيس المدني الذي أوكلت إليه مهمة السهر على مستقبل الشعب (أو الهيكل) الذي يمثله الشمعدان (أو المنارة).

حول سفر الرؤيا النبوءة: صار الشخصان منارتين. فأتاح له هذا التحويل أن يبرز الطابع النبوي للشاهدين: فالمنارة الحاملة السراج هي رمز الروح في رؤ 4: 5؛ 5: 6. ولقد حاول بعض الشراح أن يجدوا في المنارتين الرسولين بطرس وبولس. ولكن يبقى هم الرائي أن يشدد على الطابع النبوي (الملهم) للشاهدين. لم يتكلم عن زيتونتين كما فعل زكريا بل عن منارتين. ولكن يبقى أن الأعمال المنسوبة إلى هذين الشخصين تذكرنا بنماذج معروفة: فإيليا منع المطر[2] وموسى حول الماء إلى دم[3]. هذا يعني أن الشاهدين يتمان عملاً نبوياً عرفه العهد القديم.

أولاً ـ أنبياء وشهود:

من المفيد أن نلاحظ كيف يقدم لنا سفر الرؤيا هذه الخدمة النبوية. فإذا قرأنا فصل 11 وجدنا أنه لا يقول كلمة عن مضمون كرازة الشاهدين. يظهر الشاهدان فجأةً كما تصورهما نبوءة زكريا[4]. ثم يصور النص نشاطهما على مثال نشاط إيليا وموسى. بعد هذا يتحدث مطولاً عن موتهما وقيامتهما. وهكذا يبدو أن المهم ليس تعليم هذين النبيين بل موتهما وقيامتهما. ونلاحظ أيضاً أن الكاتب يقرب موتهما من موت ربهما[5]

(1) 10: 11.
(2) آمل 17: 1.
(3) خر 7: 17.
(4) 4: 2 ـ 14.
(5) 11: 8.

ويصور قيامتهما بكلمات تدل على قيامة المسيح. وإذا زدنا على كل هذا أنهما يقدمان كشاهدين أي كرجلين لا يترددان في أن يتبعا معلمهما، الشاهد الأمين[1]، نصل إلى الاستنتاج أن فصل 11 يريد أن يبين ماهية الرسالة النبوية في الكنيسة المسيحية، ويشدد على أننا نعيش هذه الرسالة بالاتحاد بموت يسوع وقيامته. إن هدف تعليم هذه الرؤية هو إعلان للمسيحيين العائشين وسط عالم معادٍ أن دعوتهم أن يكونوا شهوداً للمصلوب. أول ما يجب عليهم هو أن يعيشوا أو يموتوا مثل معلمهم لا أن يتكلموا.

ثانياً ــ 1260 يوماً:

يبقى علينا أن نوضح شروط هذه الدعوة وإطارها الزمني: يدوم زمن نبوءة الشاهدين 1260 يوماً[2]. نلاحظ أن هذا يساوي 42 شهراً مذكور في آية 2، إذا حسبنا الشهر 30 يوماً. إذاً، نحن أمام حقبةٍ تقليدية تعود بنا إلى حقبة صعبة من تاريخ شعب إسرائيل.

إذا عدنا إلى سفر دانيال، نرى أن اضطهاد أنطيوخس إبيفانيوس (الذي دنس الهيكل ومنع اليهود من ممارسة ديانتهم) دام ثلاث سنوات وبضعة أيام. ولكن دانيال قال: ثلاث سنوات ونصف السنة[3] متطلعاً إلى رمزية هامة. فالثلاث سنوات ونصف السنة تشكل نصف السنة السبعينية والأخيرة. هذا يعني أنه إن كان للاضطهاد مكانة في مخطط الله، فهذا المكان محدود تحديداً دقيقاً: إن الله لا يتخلى عن أخصائه. فالمحن لا تصيبهم يوماً واحداً يزيد عن إرادته، والرب لا يسمح أن تطول هذه الأيام الصعبة وحدة زمنية كاملة.

هذا هو المعنى الديني. لهذا يعود إليه الكاتب في فصل 12 ـ 13 من أجل مضمونه ومدلوله: إنه زمن المحنة وزمن الحماية الإلهية. وما يحدث في هذا الوقت يدل على ثنائية دائمة: فالنبيان الشاهدان يتمان مهمتهما دون أن يعترضهما أحد ولكنهما في النهاية سيقتلان. والمدينة المقدسة (ولاسيما الهيكل الذي هو أقدس مكان فيها) قد حمى الله قسماً منها[4]، وأسلم القسم الآخر للأمم ليدوسوه[5].

---

(1) 2: 13.

(2) 11: 3.

(3) زمان، زمانان ونصف زمان: دا 7: 25؛ 12: 7.

(4) هذا هو معنى قياس الهيكل في آ 1.

(5) 2: 11.

ثالثاً ــ واقعان اثنان.

يصور الوقت الذي فيه تمارس دعوة الكنيسة النبوية، وهو وقت الشهادة والوقت الحاضر، بشكلين مختلفين اختلافاً جذرياً: نرى فيه الوقت الذي فيه تكمل الكنيسة حياتها العابرة فتصل إلى نهايتها. ونرى فيه أيضاً الوقت الذي فيه يظهر الرب سلطانه ويمنح النصر لمؤمنيه. وهذا الشكل الثاني لا يحفظ للأيام المقبلة. فنحن نكتشف نصر الله في الواقع الحاضر، شرط أن يضيء نظرنا نور الإيمان. ونلاحظ أن الله يأتي من خارج هذه الحقبة من الزمن ويحمل إلينا الوحي: إنه يتدخل ويقيم شاهديه بعد انتهاء 1260 يوماً. وهذا أمر أساسي: فإذا ظهر موت الشاهدين كانتصار يتوِّجه الرب، لا فشلاً ذريعاً كما اعتبره الناس، فهذا الانتصار لا ينتمي إلى العالم الحاضر: فالشاهدان لم يكونا ضحية قضية نبيلة سيقتنع بها خصومهما. والنص لا يتكلم عن قداستهما التي لم تصل إلى القمة في العطاء. ما يقوله النص بوضوح هو أن مصيرهما أمر جديد لأن الله يرضى أن يكونا شاهديه. أوحى الله أن هذين الشاهدين كانا أمينين له مثل ابنه، فدلا على حقيقة العالم الجديد الذي دشنه يسوع المسيح.

رابعاً ــ ما هي النبوءة؟

نقرأ في 19: 10: «شهادة يسوع هي روح النبوءة». من يتنبأ يترك روح الله يتكلم فيه ويعمل فيه، هذا الروح الذي أعلن عبر أنبياء العهد القديم مجيء يسوع وشهادته. فعلينا أن نكتشف هدف النبوءات القديمة ونسير على خط هؤلاء الأنبياء على طريق شهادة يسوع وفي إثر يسوع. ونجد في فصل 11 ما يبرز هذا التحديد: العودة إلى نبوءة زكريا، الموازاة بين مصير الشاهدين ومصير ربهما. فالنبي هو وكيل المسيح على هذه الأرض، وهو يشهد بطريقة ملموسة وحتى في حياته وفي موته على موت المسيح. والله يشركه في قيامة ربه. لهذا كانت حياة الشهيد وموته علامة دينونة للعالم (لهذا يغضب سكان الأرض) وعلامة خلاص. لهذا السبب تقدم رسالة الكنيسة النبوية في هذا الموضع من الرؤيا كعنصر ضروري لتاريخ الخلاص. ولا يصل مخطط الله إلى تمامه، ولا ينفخ في البوق الأخير قبل أن تعطى الكنيسة الوقت الكافي لتقوم بدعوتها كشاهدة ليسوع في العالم.

خامساً ــ مسألة الأماكن:

هناك إشارات طبوغرافية في فصل 11 لا نفهم سرها. إن 11 ـ 2 اللتين تذكران

الهيكل والمدينة المقدسة تجعلان العمل يتم في أورشليم. ولكن استشهاد الشاهدين تم في المدينة العظيمة أي في روما الملقبة ببابل. وتسمت هذه المدينة رمزياً باسم سدوم ومصر: فروما تلعب دور أم الرذائل وأم المعارضين لله، الدور الذي لعبته سدوم ومصر الفرعون. ولكننا نندهش حين تحدد آية 8 أن المدينة العظيمة (روما) هي المكان الذي صلب فيه الرب. فكيف نجيب على هذه الصعوبة؟ هنا نعود إلى النظرة إلى الزمن في سفر الرؤيا: كما أن طرق تحديد الزمن ترتبط كلها بالحقبة ذاتها، حقبة زمن الحاضر الذي بعد الفصح، كذلك تحدد كل الإشارات الطبوغرافية فقط الموضوع الذي تعيش فيه زمن الشهادة في العالم.

فالعالم هو حقاً مملكة الشر، وروما هي اليوم شعار هذا العالم كما كان شعاره في الماضي سدوم ومصر. هناك كانت المقاومة لله وابنه على الجلجلة. فأقدس أمكنة مكرسة لله ليست بمنأى عن محاولات سكان البشر الشريرة، فحظها حظ الشاهدين. فالناس يقتلون النبيين ويهدمون أقدس الأماكن وحتى هذا المعبد الذي هو الكنيسة (كشعب الله). ومع ذلك، هناك هيكل ومذبح ومدينة مقدسة وعباد. إن الله يسهر على أخصائه فلا يترك المضطهدين يدنسونهم. فالمكان والزمان هما في يده ولا شيء يفلت من إرادته.

ـ فصل 12 وولادة الإنسان الجديد:

أولاً: تصميم الفصل.

يحتل فصل 12 قلب سفر الرؤيا. إنه مقطع صعب وها نحن نبدأ بتلخيص المراحل المميزة: ظهرت امرأة في السماء متجلببة بحلى عجيبة. ولدت ولداً أراد التنين أن يفترسه. أفلت الولد وأخذ إلى قرب الله. أما المرأة فالتجأت إلى الصحراء 1260 يوماً تحت حماية الله. وقهر ميخائيل الشيطان فسقط على الأرض. واحتفل نشيد بنتائج هذه الهزيمة المذهلة. ويرد هرب المرأة مرةً ثانية في كلمات واضحة: لسنا أمام هرب ثان، بل أمام تقديم ثان للهرب عينه: فشلت محاولات التنين ضد المرأة فنقل بغضه على سائر أولاد المرأة.

لا يكفي هذا الملخص لإفهامنا النص. وها نحن نكمله ببعض ملاحظات: نلاحظ أولاً العلاقات بين فصل 11 وفصل 12: نحن في الزمن الواحد. حين حدد الكاتب أن

زمن إقامة المرأة في الصحراء هو 1260 يوماً (آ 6) فهو يشدد على أن ليس لهذا الحدث إطار زمني مختلف عن ذلك الذي جرى فيه نشاط الشاهدين. نحن دوماً في الزمن الحاضر، زمن ما بعد الفصح. ورقم آية 14 لا يختلف عن سابقه. فالأزمنة الثلاثة ونصف الزمن (ثلاث سنوات ونصف) تقابل 1260 يوماً و42 شهراً في 11: 2. وكلها تأتينا من نبوءة دانيال. لهذه الأرقام مدلول واحد: إن الزمن الذي تتحدث عنه هو زمن محنة يسمح بها الله،ولكنه يحدد مداها. نحن أمام معترضة زمنية لا أمام نهاية حب الله الذي يحمي أخصاءه. قلنا سابقاً إن هذا الزمن هو زمن الاضطهاد والموت، وإنه أيضاً زمن حماية الله. وهكذا نقول أيضاً عن الرؤية الجديدة، وهذا ما يثبته مصير المرأة ومصير أبنائها.

ـ هدف الفصل 12:

هل هذا يعني أن فصل 12 هو استعادة فصل 11؛ نبدأ فنجيب نعم، ولكن نفهم أن موضوع الاضطهاد لا يحتل قلب الفصل.

إذا قرأنا فصل 12 وجدنا أن الشخص الذي نتحدث عنه كثيراً في هذه الرؤية هو التنين الذي يرتبط به كل شيء: يراقب ولادة الولد، يفشل في محاولته، يلاحق المرأة، يقهره ميخائيل. ولما حُرم من ثمار بغضه ضد المرأة هاجم أبناءها. ونشيد آية 10 يحتفل بنتائج هذه الهزيمة. إذاً هناك التنين الذي قهر، وهناك انتصار قد تم في شخص الابن الذي هو المسيح. وهكذا نستطيع أن نلج إلى أسرار هذه الرؤية ونميز تعليمها الأساسي: صور فصل 11 الزمن الحاضر كزمن للشاهدين، وصور فصل 12 الزمن عينه كزمنٍ قام فيه التنين المقهور بآخر هجماته على المسيحيين. قهر العدو، وهذا يعني أن النصر يخص الذين هاجمهم. وهذا سيكون موضوع النشيد.

ثانياً ـ الخلفية الرمزية:

ونتساءل: من أين جاءت هذه الصور؟ قال بعض الشراح: عاد الكاتب إلى عالم الأساطير الوثنية. ولكن هذا الرأي مرفوض لأننا نعرف عقلية يوحنا المتصلبة في طرد كل ما هو وثني. لهذا نعود إلى العهد القديم. فموضوع المرأة التي تدل آلامها على ولادة المسيح متأثر بنص أشعيا 66: 7 ـ 9. يتنبأ هذا النص عن ولادة شعب جديد تلده صهيون المرموز عنها بامرأة. وكلمات الترجمة اليونانية في نص أشعيا هي هي في

نص الرؤيا. وفوق هذا يحدد تقليد يهودي قديم (ترجوم أشعيا) أن هذا الولد هو الملك المسيح. وهرب المرأة إلى الصحراء حيث تقات بطريقة عجيبة، يعرضه فصل 12 بكلمات قريبة من الخروج ومعجزتي المن والسلوى. وتحدد آية 14 أن جناحي النسر أعطيا للمرأة كما أعطيا لشعب الخروج[1]. وهناك زينة المرأة التي نجد ما يقابلها في التقاليد اليهودية. ويشير النص إلى هوية التنين الحقيقية، حية البدايات: إله الشيطان وإبليس[2]، وصورته بشكل حية تذكرنا بالرمزية التي طبقها الأنبياء على فرعون (أو مصر)[3] الذي كان عدو شعب الله في زمن الخروج الأول. أجل، عاد يوحنا إلى العهد القديم فاستقى كلماته وصوره كما استقى الإنباء النبوي لعملٍ إسكاتولوجي يتم فيه الله مخططه الخلاصي.

ثالثاً ــ الأشخاص:

المرأة ترمز عادة إلى جماعة المؤمنين. تتكلم النصوص النبوية عن امرأة حبلى، عن أم لها أولاد عديدون (هم أعضاء الشعب). أما هوية الابن فليست واضحة: بما أنه يتم النبوءة المسيحانية في مزمور 2: 9[4] فهو المسيح. ويكشف الرائي هوية التنين فيسميه إبليس والشيطان.

ولكن تبقى صعوبات عديدة. المرأة (أو الشعب المقدس) تلد المسيح أي يسوع. ما تعودنا أن نتكلم هكذا عن عيد الميلاد. وماذا نقول عن مصير الولد المسيح؟ إنه يتلخص في ولادة وفي ارتفاع إلى السماء. فهل نستطيع أن نقدم هكذا حياة يسوع؟

رابعاً ــ الميلاد أو الفصح؟

نحن لسنا أمام مذود بيت لحم. ثم إن الصليب هو هنا. وننطلق من ملاحظة أولى: اعتادت الأناشيد التي في سفر الرؤيا أن تقدم تفسيراً أو تطبيقاً للقارئ. فكأني بها تقول: هذا ما تعنيه لكم الأمور يا مسيحيي آسيا الصغرى، وهذه هي النتائج التي تستخلصونها. الأناشيد دليل تفسير تساعدنا على أن نرفض تأويلاً أو أن نوحي بآخر،

---

(1) خر 19: 4؛ تث 32: 11.
(2) 12: 9.
(3) أش 51: 9؛ خر 29: 3؛ 32: 2.
(4) رج رؤ 12: 5.

أو أن نشير إلى تأويل ثالث. أما في فصل 12 فالنشيد موسع وتعليمه واضح: إنه يحتفل بانتصار يحرزه الشهداء حين يموتون وهم متحدون بربهم المصلوب[1]. إذاً يجب أن يكون الخبر الذي ورد قد أعلن بصورة أو بأخرى موت المسيح كانتصار على الشيطان. فيمكننا إذاً أن نقرأ فصل 12 على الشكل التالي: هكذا ينبئ يو 16: 19 ـ 22 أن جماعة التلاميذ ستكون في وقت الصلب مثل امرأة تلد في الأوجاع. ولكنها ستعرف يوم الفصح الفرح مثل المرأة التي تفرح بولادة ابنها. لا يمكن أن نتكلم عن نصر على الشيطان (حتى ولو توقفنا عند أساسه الكرستولوجي) دون أن نذكر حالاً الدور الذي يدعى البشر إلى أن يلعبوه.

لقد اشتركت أول جماعة مسيحية على الأرض، وبعدها كنيسة القرن الأول، ثم كنيسة كل زمن، في عمل الله الحاسم في يسوع المسيح بحيث نستطيع أن نقول إنها أم المصلوب. ليست أماً طبيعية، بل حسب شرائع الإيمان التي تجعل الإنسان مشاركاً للمسيح الذي هو المنتصر الأكبر. لهذا يمارس ميخائيل في النص لا دور المنتصر بل دور المنفِّذ. وتدخله المسلح يحقق على الأرض شروطاً فرضها عمل سابق.

خامساً ـ تعليم فصل 12:

ذكَّرنا فصل 11 أن المسيحيين مدعوون إلى الشهادة في الزمن الحاضر. إنها دعوة خطرة والقيام بها يقود ظاهرياً إلى الفشل والموت. ولكن يرى الله فيها أمانة نعيشها بالاتحاد مع يسوع، ويعطي الحياة الجديدة. ويتابع فصل 12 الموضوع ذاته فيشدد على الأساس الكرستولوجي: يمكن أن يكون الوقت الحاضر وقت الاستشهاد. ولكن الموت الذي نتحد فيه بالمخلص هو نصر على الشيطان. إذ يتلقى المسيحيون هجمات الشيطان، يعرفون أنهم جزء من شعب الله،من الكنيسة التي تلد الإنسان الجديد، ذلك القائم من الموت في قلب آلام المسيح وفي الأوجاع والأخطار التي هي امتداد لهذه الآلام. والوقت الذي فيه يقترب الشيطان من النصر النهائي، هو في الحقيقة الوقت الذي فيه ينتقل النصر إلى يد الضحية. نحن أمام وحي لانقلاب أساسي في سلم القيم: لقد قرر الله أن ما يسميه العالم وسلطانه نصراً ليس النصر الحقيقي الذي ينكشف فقط في هزيمة المصلوب وموته. هنا يتدشن نظام جديد، إنسان جديد، وحياة جديدة وأبدية. حينئذ

---

(1) 12: 11.

يسقط الشيطان حقاً ولم يعد له مكان في السماء، أي لم يعد في مصاف القيم السامية والأخيرة. لا يستطيع الشيطان من بعد أن يعطي معنى لحياة البشر. يقدر أن يؤذي حتى الموت، ولكن أذيته لا تحمل بعداً أبدياً، عكس الانتصار والحياة التي منحها لنا الله في يسوع المسيح. والبرهان على ذلك هو أنه لم يعد يقدر أن يتهم البشر أمام الله[1].

3 ـ الكرستولوجيا:

نجد في بداية سفر الرؤيا عبارة تبدو كملخص للكرستولوجيا في الكتاب: «عليكم النعمة والسلام... من يسوع المسيح الشاهد الأمين وبكر من قام من بين الأموات وملك ملوك الأرض: هو الذي أحبنا وحررنا (أو غسلنا) بدمه من خطايانا، وجعل منا ملكوتاً وكهنةً لله أبيه، فله المجد...».

نلاحظ أولاً ثلاثة ألقاب كرستولوجية: ملك ملوك الأرض، وهذا يرتبط بالسيادة. بكر الأموات، وهذا يرتبط بالقيامة. والشاهد الأمين يرتبط بالصلب. وفي 2: 13، الإنسان الذي دعي هو أيضاً الشاهد الأمين، قد قتل أيضاً من أجل إيمانه.

أولاً: شاهد لله في العالم.

يختم المسيح شهادته بدمه. وتقابل هذه الذبيحة بنحر حمل الفصح[2]، وتؤكد فداءً شاملاً بمغفرة الخطايا[3]. إذن، ليس الصليب هزيمةً بل شهادة في العالم لنصر الله الذي ينجينا بحبه. ويمكن أن يدعى أناس إلى هذه الشهادة التي تقوم بأن تعلن وسط عالم معادٍ لسيادة الله وحده، وتقود هذه الشهادة منطقياً إلى الاستشهاد: فشهيدا فصل 11 (يرمزان إلى رسالة الكنيسة النبوية) قتلا مثل ربهما. ولكن 12: 11 يؤكد أن الشهود يؤونون في استشهادهم انتصار المسيح، يثبتون أنهم تعلموا من الله كيف يقيمون الحياة والموت، النجاح والفشل، لا من العالم الذي يقدم معنىً غشاشاً.

ثانياً: بكر المائتين.

لقد قام المسيح. عرف الموت، ولكنه حي الآن[4]. فالحمل المذبوح يقف

---

(1) 12: 10.

(2) 5: 6.

(3) 1: 5؛ 7: 14.

(4) 1: 18؛ 2: 8.

أمام الله[1]. للمرة الأولى تراجع الموت وجاءت هزيمته بصورة نهائية: إن المسيح يمسك بيديه مفاتيح الموت. هذا يعني أنه يعطي أخصائه حياة لا يصل إليها الموت الطبيعي. إنها حياة قائم من الموت لا يخاف شيئاً حتى ولو كانت الدينونة الأخيرة التي يمكن أن تقود إلى الموت الثاني، إلى الموت الكلي[2].

منذ الآن يملك المسيح وهو يجلس مع الله على عرشه[3]. إنه يمارس سلطاناً على الأمم[4] ويفوز بالغلبة. هذه الفكرة سنجدها في صورة الحمل الملكي المنتصر والغالب كما تبدو في كتب الرؤى اليهودية. ولا يصل إلى هذه الحقيقة إلا المؤمن. أما الإنسان الطبيعي فيعتبر أن الشيطان ووكلاءه (الوحشان) يمارسون اليوم السلطان على العالم. وأن ملك الله ومسيحه واقعي بحيث إننا نقدر أن نتحقق منه ونختبره منذ الآن: حين نقر بأنه يحق لله وحده بأن يملك ويدين ويحيي، نلج في عالمٍ جديد حيث الإنسان الجديد يشارك في هذا السلطان الجديد الذي لا يشبه التسلط الذي يميل إليه كل سلطان بشري[5]. أما الآن، فالظواهر تعارض الواقع. لهذا تتحدث عنه الرؤيا كواقع عابر ومحدود[6].

المسيحيون هم شهود لله في المسيح، أحياء بحياته، مشتركون في ملكه. إذاً، هم في العالم شعب كهنة يشهدون لحضور الله وعمله[7]. ونحن هنا أيضاً أمام وظيفة عابرة. فمخطط الله يصل إلى التمام، إلى عالم يكون فيه الله والمسيح حاضرين بحيث لا نحتاج بعد إلى هيكل ولا إلى كهنة. ونلاحظ أخيراً أن الألقاب المعطاة للمسيح في سفر الرؤيا هي ألقاب محفوظة تقليدياً لله نفسه (الأول والآخر، الألفة والياء، البداية والنهاية، الحي، الرب، ملك الملوك...) هذا يعني أن الله يكشف عن نفسه في يسوع المسيح.

---

(1) 5: 6.

(2) 2: 11؛ 20: 4، 5، 6.

(3) 3: 21.

(4) 2: 27 ـ 28.

(5) 1: 6؛ 2: 26؛ 3: 21؛ 5: 10؛ 12: 11.

(6) ملك ألف سنة: 20: 1 ـ 6.

(7) 1: 6؛ 5: 10؛ 20: 6.

ثالثاً: الروح.

يتكلم سفر الرؤيا مراراً عن الأرواح السبعة[1]. يجب أن نفهم: الروح في ملئه. فالروح هي الوسيلة المميزة للعلاقات بين الله والبشر. فهو يجعل الرائي يرى وهو يكشف له الأسرار[2]. إنه روح نبوي. وهنا تختلف الرؤيا عن غيرها من الكتب. فالنبوءة هي شهادة يسوع. وهنا نميز وجهتين في هذا الكلام. الأولى: أن الروح الذي يلهم الأنبياء يرتبط دوماً بشخص يسوع وعمله وصليبه. الوجهة الثانية: أن الروح يدفع المؤمنين إلى شهادة شبيهة بشهادة المسيح. لهذا نجد في الرسائل إلى الكنائس أن الروح يجعل يسوع نفسه يتكلم[3] ليدعو المسيحيين إلى أمانة مجسدة في العالم رغم ما يحيط بها من أخطار.

4 ـ الدينونة:

أولاً: إنباءات متعددة.

حين نقرأ سفر الرؤيا نجد أن النص ينبئنا بالدينونة في كل رؤية. وهو يقول بأن هذه الدينونة قد تحققت أو هي في طريق التحقيق. وهذا يدعونا إلى الاستنتاج أن الرؤيا تتكلم عن سلسلة دينونات تضرب أعداء الله وأعداء مؤمنيه في نظام محدد سلفاً. ولكن إذا تمعنا في القراءة، اكتشفنا أن هذه الإشارات التي تدل على دينونات مزعومة ليست إلا مقدمات مختلفة لمشهد واحد هو الدينونة الأخيرة.

هكذا نجد أن سفر الرؤيا يذكر ثلاث مرات[4] حرب المسيح الإسكاتولوجية ضد القوى المعادية. الأعداء هم هم. ونحن لسنا أمام ثلاث حروب متتالية، بل أمام ثلاثة تلميحات إلى الانقلاب نفسه. هكذا أنبأ الكاتب بعقابٍ كواقع حاضر منذ 14: 8. ولكن فصل 18 يورد حدوثه كنتيجة حاضرة للنبوءات.

ثانياً: الدينونة الأخيرة.

ونلاحظ أيضاً أن الإنباءات بالدينونة ترتبط كلها بالمسيح: إنه يقود المعركة

---

(1) 1: 4، 3: 1؛ 4: 5؛ 5: 6.

(2) 1: 10؛ 4: 2؛ 17: 3؛ 21: 10.

(3) 2: 7، 11، 17، 29؛ 3: 6، 13، 22.

(4) 14: 16 ي؛ 14: 17؛ 19: 11 ي.

الحاسمة التي تصل إلى سحق الأعداء مع رئيسهم. وإنه في قلب الحدث الرئيسي الذي يدل على منعطف رئيسي في تاريخ الخلاص. وهكذا يتجاوب الاحتفال الأول بآنية الدينونة[1] مع اعتراف الإيمان الذي يقر بآنية ملك الله ومسيحه. ونجد التوازي عينه في فصل 14: يرافق 144000 الحمل حيثما ذهب. هذه هي ساعة سقوط بابل. وكذلك في فصل 15: ينشد المنتصرون نشيد الحمل ويحتفلون بظهور دينونات الله.

وأبرز تصوير ممارسة الدينونة[2] الطابع الإلهي للمسيح الديان: إنه يحمل صفاتٍ وأسماء خاصة بالله (الأمين، الحقيقي، ملك الملوك، رب الأرباب). إنه يتم النبوءات التي أنبأت أن الله يدين[3]. إنه كلمة الله بالذات.

لهذا لن نجد إلا دينونة واحدة هي الدينونة الأخيرة والإسكاتولوجية التي يمارسها الله في يسوع المسيح. ولهذا تدل الرؤى التي تورد الدينونة على الوحدة العميقة: نحن أمام دينونة يقوم بها يسوع المسيح ويعلن يوحنا أنها شجب للشيطان ولأخصائه[4] وخلاص للذين يقبلون يسوع[5]. والكتاب الذي هو أساس هذه الدينونة يسمى كتاب الحياة، كتاب الحمل المذبوح: إنه يتضمن أسماء الناس الذين يأخذ يسوع مصيرهم على عاتقه.

ـ الكشف عن الدينونة:

هذا اللاهوت اليوحناوي يفسر أن تكون الدينونة (كالخلاص) موضوع كشفٍ إلهي لا واقعاً نتحقق منه بالاختبار. هنا نعود إلى قراءة فصل 16: فالكؤوس الست تثير كوارث لا بد من النظر إليها. نلاحظ أولاً توازناً بين سباعية سلسلة الأبواق وإرادةً للتشديد على القرابة بين هذه الآفات وضربات مصر. هذا يعني أننا أمام علامات تقليدية عن غضب الله ودينونته العاملة في الكون. فكما في سفر الخروج، الله هو في الوقت ذاته الديان والمخلص: إذ يخرج شعبه من أرض العبودية يضرب الظالمين. إذن،

---

(1) 11: 18.

(2) 19: 11 ـ 12.

(3) أش 63: 1 ـ 6.

(4) يو 12: 31؛ 16: 11.

(5) يو 12: 47 ي.

لن نكتشف الإله الديان ولا نتميز علامات الدينونة في العالم قبل أن نكتشف علامات الخلاص. لهذا تشدد الرؤيا (خاصة فصل 16) على النداء إلى التوبة الذي يدوي في آيات الدينونة وفي تقسية قلوب «سكان الأرض». فمن رفض الخلاص وجد في التاريخ مصيراً أعمى تتوزعه كوارث لا يفهمها.

ـ آنية الدينونة:

الدينونة هي كالخلاص، موضوع وحي وموضوع إيمان. ولكن هذا لا يعني أن واقعه يبعدنا إلى مستقبل غير ثابت. ولكي نقتنع من هذا القول نعود إلى المقاطع التي تنبئ بتتمة الدينونة: فحين يخضع المسيحيون لدعوتهم النبوية ويكونون في هذا العالم شهوداً أمناء للمسيح الذي مات وقام، يستطيعون حينئذ أن يعلنوا آنية الدينونة[1]. وحين يدل المنتصرون على الوحش على أن هناك في هذا العالم أناساً يعتبرون أن خلاص الله في يسوع المسيح هو الواقع النهائي الذي يتعدى بأهميته كل واقع، يقدرون أن ينشدوا نشيد المفديين، نشيد موسى والحمل. فيعلنون الدينونة ويتيحون للكؤوس السبع بأن تبين علاماتها. وبكلام آخر، حين يقر البشر بالله كمخلص لهم، يصبحون على هذه الأرض شهوداً أحياء للدينونة: يبينون حقيقة متطلبات الله ويتبعونها، ويرفضون ما يرفضه الله ويشجبه.

تبرز كل هذه الوجهات في إطار الإعلانات الليتورجية، وهذا أمر طبيعي: فالعبادة هي الموضع المفضل الذي فيه يؤون الوحي، لأن الليتورجيا تحتفل بالله كالمخلص والملك، وبالتالي كالديان.

ـ الدينونة الآتية:

إن الدينونة هي موضوع الوحي وهي تدعو المؤمنين لكي يتحققوا من حقيقتها في حياتهم الملموسة. لهذا تعرض كحدث من الماضي أو الحاضر .الله يخلص أيضاً وهو لا يزال يدين، فيتوب أناس ويعيشون من الخلاص. وأناس آخرون يرفضون أي ارتداد. إذن، نستطيع أن نواصل الكلام عن الدينونة في المستقبل[2]. ويتواصل تاريخ الخلاص. ولكن سفر الرؤيا يعلن أن الله لا يترك هذه الحالة تدوم إلى ما لا نهاية.

---

(1) 11: 18.

(2) 14: 9 ـ 10.

فكرازة الدينونة لا تحصر في نداء بسيط إلى التوبة. فهناك أساس كرستولوجي للدينونة: تمت الغلبة على الشر، وهذا الانتصار يعلن حالةً لن يعود فيها من وجود للشر، ولن يخاف فيها الإنسان عداوة الشيطان. فحياة الشهود الحاضرة هي نبوءة عن الحياة الأبدية وعلامة للملكوت وتذوُّق مسبق لما يؤول إليه تاريخ الخلاص.

5 ـ فصل 20 أو كشف عن الزمن:

أولاً: تفاسير فصل 20.

هناك نموذجان لتأويل هذا الفصل. النموذج الأول يعتبر أن الله وعد بالألف سنة وهي ستأتي. سيحقق الله يوماً على الأرض شروط سعادة كاملة. نستطيع أن نأخذ هذه الشروط بحرفيتها (1000 سنة من الخيرات الملموسة) أو بطريقة روحية (سيبين الله سيادته على الأرض خلال فترة من الزمن). ولكن أساس التفسير هو هو. وتقول اختلافة لهذا التفسير: نحن أمام فترة آتية بالنسبة إلى الرائي وحده الذي يتنبأ بمجيء زمن سلام للكنيسة بعد زمن الاضطهاد. في هذا المجال نستطيع أن نعتبر أن النبوءة تمت في قسم منها. ويستند النموذج الثاني إلى الاعتبار أن الألف سنة هي الفترة التي دشنها مجيء المسيح. إنها الفترة الحاضرة. ولكن يقول قائل: إن الشيطان لم يربط، فكيف نقول إن الألف سنة هي الفترة الحاضرة. نجيب: ما يقوله سفر الرؤيا يعود إلى نطاق الإيمان لا إلى نطاق الملاحظة الخارجية.

ثانياً: نهاية الشيطان.

التأكيد الأساسي في هذا الفصل هو نهاية الشيطان. حين نعرف أن هذا هو هدف النص، نفهم أن مصير الشيطان يذكرنا بمصير التنين والوحش الأول وبابل ـ روما: فالمراحل التي تدل على تاريخ رؤساء الحزب الشيطاني تتوازى لا بفعل الصدفة وتتلخص في الرسمة التالية: سلطان، هزيمة، نهوض، نهاية.

إن التنين هو قوي بحيث يكنِّس نجوم السماء. طُرد إلى الأرض فاضطهد المرأة وأولادها، ولكن وقته صار قصيراً. والوحش لم يعد موجوداً، ثم عاد، ولكنه سيذهب في النهاية إلى الهلاك. والشيطان طغى الأمم، ربط ثم فك رباطه، وفي النهاية زال. وتبرز هذه الموازاة حين نلاحظ أن الوقت الرئيسي الذي فيه يبدأ التطور (أعني الهزيمة) يرتبط بعمل المسيح: قُيِّد الشيطان ساعة كان يسوع يملك. طُرد التنين حين تدخل

المسيح في العالم. ونجد أيضاً هذا التحديد الكرستولوجي حين نبحث عن نتائج هذا النظر بالنسبة إلى المسيحيين. ففي الفترة المشار إليها (1260 يوماً = 42 شهراً = 3 سنوات ونصف) سيهدد المؤمنون بل سيقتلون مثل معلمهم. ولكنهم يعودون مثله إلى الحياة. مثله سينتصرون ويملكون. كل هذا يفهمنا أن الألف سنة هي ملاحظة لاهوتية أكثر منها زمنية على مثال سائر الأزمنة المذكورة.

وباختصار الكلام، يمكننا القول إن تاريخ الظهورات الشيطانية في العالم وضع في قالب واحد مطبوع بالواقع الكرستولوجي. يجب أن لا نأخذ هذه العروض المتتالية على أنها تصاوير متعاقبة بل ككشوف تلقي ضوءاً على وجهات العالم المتنوعة بالنور الوحيد الذي ينير الناس في كل زمان ومكان. وهذا النور هو انتصار يسوع المسيح. هذا لا يعني أن فصل 12، 13، 17، 20 تتكرر. ففي فصل 20 نقرأ أن إبليس قُيِّد لألف سنة، وأن المؤمنين يدينون ويعيشون ويملكون مع المسيح. هذه هي القيامة الأولى.

ثالثاً: الدينونة، الملك والقيامة.

من يدين؟ هم الشهداء (قطعت رؤوسهم من أجل شهادة يسوع كلمة الله) والمعترفون (الذين لم يعبدوا الوحش ولم يقبلوا وجهه). كان فصل 19 قد قدم لنا المسيح الديان يرافقه أخصاؤه. وها نحن نجدهم يشاركونه في الدينونة. ونستخلص الشيء عينه بالنسبة إلى الملك: إن المؤمنين يشاركون المسيح في سيادته. يعني التأكيد لمستقبل الوعد في 5: 10 و 2: 26 ولكنه يعني حاضر الحياة المسيحية في 1: 5، بل حاضر حياة يوحنا، صاحب سفر الرؤيا في 1: 9.

لا توجه هاتان الميزتان للألف سنة التفسير نحو تتمة في المستقبل. وهكذا نقول أيضاً عن القيامة. تكلم الشراح منذ القرن الثاني عن قيامتين: قيامة المؤمنين، ثم قيامةٍ ثانيةٍ هي القيامة العامة. ولكن سفر الرؤيا لا يتكلم أبداً عن قيامة ثانية. ومن جهة ثانية، فهو يؤكد أن المؤمنين يقدرون منذ الآن أن ينالوا خلاصهم الأبدي ويحيوا هذه الحياة التي وعد بها مواطنو ملكوت الله. وحين يقدم النص هؤلاء الناس الذين عادوا من الموت إلى الحياة فهو لا يقول «عادوا إلى الحياة»، بل «حيوا» أو «نالوا الحياة»[1]. يجب أن نفهم: عاشوا الحياة التي هي أقوى من الموت والحياة التي

---

(1) 20: 4.

هي أبعد من الدينونة، الحياة الحقيقية التي يتحدث عنها الإنجيل الرابع: يستطيع الموتى أن يسمعوا في المسيح الصوت الذي يحيي[1]. إذاً، نحن أمام أناسٍ يقدرون أن يسمعوا يسوع ويمكنهم أن يموتوا: «من عاش ومات في لن يموت أبداً». هذه هي الحياة التي يعطيها الله لأخصائه: يجعل منهم قائمين من الموت. وهكذا يتكلم يوحنا عن قيامة واحدة.

رابعاً: وقُيِّد الشيطان ألف سنة.

هناك تأكيدان: الأول: قيد الشيطان، وهذا ما يقوله تعليم المثل الإنجيلي[2] عن الرجل القوي (إبليس) الذي قَيَّده يسوع وانتزع منه ملكه (أي البشر). فمجيء المسيح يعني بالنسبة إلى الشيطان هزيمةً كبيرة. بعد هذا لا يطغي الأمم كما كان يفعل منذ تدخله الأول في بستان السقوط[3]. ضعفت قوته وسقط سلطانه فما عاد يملك، وطرد من السماء.

والتأكيد الثاني: ألف سنة. ويتحدث بعض الناس عن تفسير مستقبلي، ولكنهم يخطئون. إن الألف سنةٍ تحتل في سيرة قوى الشيطان المكان الذي احتلته 1260 يوماً أو 42 شهراً أو ثلاث سنوات ونصف السنة، أي وقتاً قصيراً[4] يتركه انتصار المسيح للعدو المقهور. إذاً، نحن أمام ملاحظاتٍ ذات بعد رمزي لا زمني. وسنأخذ مثلاً: تعطي نبوءة أشعيا 65: 22 للمملكة المسيحانية زمناً يشبه الحقبة السابقة. مثلاً: إن الإقامة في الفردوس دامت أقل من ألف سنة. فالله نبه آدم أنه سيموت يوم يأكل من الثمرة المحرمة. ولكن يوم الرب يساوي ألف سنة[5]. وفي الواقع مات آدم وهو أبن 930 سنة، أي قبل نهاية يوم الفردوس. وحين نعلن أن الشيطان لا يقدر أن يملك على الأمم ألف سنة، فهذا يعني في لغة تقليدية مصورة، أنه قد أعيدت شروط القرب والثقة التي كانت تنظم علاقات الله بالإنسان في الفردوس قبل السقطة. وهذا ما يؤكده سفر الرؤيا: فهزيمة الحية الأصلية تمنعها من إغواء الأمم كما فعلت مع الإنسان الأول.

(1) يو 5: 25.
(2) مت 12: 29.
(3) 12: 9.
(4) 12: 12.
(5) مز 90: 4.

وقدمت ثمرة شجرة الحياة إلى الذين انتصروا على الشيطان مع المسيح[1]. ويستطيع هؤلاء المؤمنون منذ الآن أن يدخلوا في جنة الله ويحيوا حياة القيامة دون أن يخافوا الموت المباشر أو الأخير.

خامساً: هدف فصل 20.

لا يكتفي فصل 20 بتكرار ما قالته الفصول السابقة عن هزيمة القوى الشيطانية. فإذا أردنا أن نفهمه نقابل تعليمه الأساسي مع تأكيدات فصل 11، 12، 13، 17. ففي فصل 11 تدل 42 شهراً أو 1260 على الزمن الحاضر: إنه زمن الشهادة ليسوع وسط عالم وثني يهدد المؤمنين. لقد سلم الشهود إلى خصومهم، ولكن القدرة الإلهية حمتهم. ولكن هذا الالتباس أزيل بتدخل الله الذي أقامهم فكشف المعنى الحقيقي لحياتهم. حينئذ دوى في السماء نشيد يعلن ملك الله والمسيح. ويستعمل فصل 12 الرمز العددي نفسه ليدل على الزمن الحاضر الذي دشنه موت وقيامة المسيح المنتصر على الشيطان. غلب العدو الأصلي، فلن يستطيع أن يؤثر على مخطط خلاص الله. فانحصر عمله بالاضطهاد. ولكن الله لا يتخلى عن أخصائه، بل يعدهم بين المنتصرين حتى ولو أجبروا على الموت مثل ربهم.

ونجد في فصل 13 الرمزية عينها تصور الزمن الحاضر الذي تسوده تهديدات الوحشين الشيطانيين واضطهاداتهم. ويبدو أن المملكة تمارس سلطاناً لا حدود له بحيث تؤثر على إمكانية عيش حياة مسيحية في هذا المجتمع. ولكن المؤمنين يعرفون أن يميزوا الطابع الظاهر للسلطان البشري. ويتحدث فصل 17 عن الزمن الحاضر وما فيه من علامات تدل على الدينونة التي ستتم.

وأخيراً في فصل 20 تدل الألف سنة على الزمن الحاضر كزمن يربط فيه المسيح الشيطان ويمنعه من ممارسة عمله المدمر. ويملك المؤمنون مع المسيح ويكون انتصارهم مشاركة في دينونة العالم. إنه شعب كهنوتي لإلهٍ لا يحتاج بعد إلى وسطاء. وبعد الألف سنة يطلق الشيطان ثم يفنى: ليس الزمن الحاضر النهاية الأخيرة لتاريخ الخلاص. فالله وحده يبين، في تدخل يتعدى الإطار الزمني المحدد، أن مخططه يعني عالماً لن يكون فيه مكان للشيطان.

---

(1) 2: 27؛ 22: 14، 19.

سادساً: وحي الرؤيا.

نجد في قلب الكاتب يقيناً: إن الله الذي هو فوق الزمان والمكان جاء يخلصنا في يسوع المسيح. منذ الآن تبدل كل شيء. فعمل يسوع في الماضي هو الشرط الوحيد الذي يفتح الحاضر على أبدية الله. وهكذا نستطيع القول إن المسيحيين، وإن مضطهدين، يملكون في السماء مع المسيح فيعبرون عن واقع الخلاص. ونزيد: هذا الملك هو المستقبل الموعود به الذي يدل على أن الله وحده يحقق مجيئه. ولهذا يجب أن نواصل استعمال كلمات تجاوزها الوحي: الآن وبعد الآن، سابقاً وليس بعد، هنا وهناك، الأرض والسماء. إنها محاولات بشرية تعبر عن وحي لا تستطيع كلمات البشر أن تحيط به. فالحاضر يحمل الأبدية، والأرض زارتها السماء، والحياة هي مثل عن الحياة الأبدية. والنصر الذي يعتد به عظماء هذا العالم ليس إلا ظاهراً. فالسلطان الحقيقي هو بين يدي الله. لقد انقلب كل شيء فصار عالم القيم الإنسانية موضوع وحيٍ يكشف معاييره الجديدة.

لا تستطيع لغة البشر أن تعبر إلا عما يكتنهه المنطق البشري. وإذ أراد الرائي أن يحدثنا عن معجزة الإنجيل لجأ إلى مقولتي الزمان والمكان، واستعملهما بحرية مبيناً أنهما ليستا إطاراً يسيطر على عمل الله. يسكن الماضي في الحاضر. ويدل الحاضر على وجود شحنة من الأبدية فيه. نستطيع أن نعيش على الأرض وأن نكون أيضاً بين رفاق الحمل في السماء أمام عرش الله.

6 ـ سفر الرؤيا وشعائر العبادة:

أولاً: أهمية العبادة.

نلاحظ أولاً تلميحاً إلى قراءة ليتورجية وإلى سامعين للأقوال النبوية. فالعبادة في المجمع كانت تتضمن قراءة الشريعة والأنبياء. واستلهمت المسيحية الأولى هذا النموذج وزادت عليه قراءات من أسفار مسيحية[1]. وهكذا يبدو سفر الرؤيا كتاباً معداً للعبادة.

إنه يتكلم عن الصلوات وشعائر العبادة، عن كؤوس ومبخرة ومذابح. والأبواق

(1) كو 4: 16؛ 1 تسا 5: 27.

هي في التقليد اليهودي أدوات عبادية. ومشاهد السجود عديدة، ونسمع إعلانات وأناشيد دينية. ونلاحظ وقفتين ليتورجيتين خلال التوسع الجلياني: ففي سلسلة الختوم تتوالى الختوم الستة بتواتر منتظم. ولكن قبل أن يفتح الختم السابع، يتوقف الخبر ليقدم شعب المختارين المنشغل في تقديم عبادته لله والاحتفال بخلاص حققه له. هذا يعني أن علامات النهاية لا تتم قبل أن تسمع عبادة الكنيسة في هذا العالم صوت البشر الذين يريدون أن يعيشوا منذ الآن من الخيرات الأبدية التي يهبها الله.

ونجد ظاهرةً مماثلة في فصل 16: قبل أن تصب الكأس الرابعة فتطلق الكوارث التي هي علامة الدينونة، يسمع حوار بين الملاك والمذبح ليشكر الله على عدالته في دينونته. وتنال سلسلة الكؤوس مدلولها الحقيقي: فالضربات لا تدل على قساوة قدر أعمى ولا على انتقام إله مغاظٍ، بل على تدخل مخلصٍ يحرر أخصاءه ويقاتل أعداءه، كما فعل في مصر.

ثانياً: آثار ليتورجية في فصل 4 ــ 5.

يشكل هذان الفصلان بداية صلب سفر الرؤيا ويقدمان مشهد سجود سماوي. يصور يوحنا هذه العبادة بكثير من التفاصيل، وتتوالى الهتافات الاحتفالية والأعمال. يمكننا أن نعجب بجمال هذه الرؤية وننسحر بهذه الليتورجيا التي تستلهم ليتورجيا واقعية عرفها المسيحيون الذين يتوجه إليهم سفر الرؤيا.

نجد نشيد الله الخالق مبنياً على رؤية حزقيال (رأى الله الجالس على الكائنات الحية) وعلى نشيد قدوس في أشعيا 6: 3. ثم نجد مديحاً للشريعة. يقدم فصل 5 الكتاب الختوم الذي يقدر الحمل وحده أن يفتحه. إذاً، نحن أمام تلميح إلى الشريعة (هنا العهد القديم) التي يعطي المسيح وحده مدلولها الحقيقي. ونجد أخيراً نشيداً للإله الفادي. هذا هو موضوع النشيد الجديد في قلب الرؤيا[1].

ــ ليتورجيا إفخارستية:

نستطيع أن نقابل نهاية سفر الرؤيا[2] مع نصين مسيحيين قديمين ونستنتج من

---

(1) 5: 9ـ 10.

(2) 22: 17 ـ 21.

هذه المقابلة أن رؤية الشهود الثلاثة تعود إلى حوار ليتورجي مأخوذ من ليتورجيا إفخارستية عرفها المسيحيون في الأجيال الأولى. نقرأ في 22: 20: تعال أيها الرب (ماراناتا) الذي نجده في 1 كور 16: 22 وفي مؤلف يعود إلى نهاية القرن الأول. إنه الديداكيه (أو تعليم) الرسل الاثني عشر. إليك الحوار الليتورجي في الديداكيه: تمنيات، دعوة وتحذير، (إن كان أحدٌ مقدساً فليأت، وإلا فليتب). ماراناتا. آمين.

وفي 1 كور 16 22 ـ 23: دعوة وتحذير (من يحب الرب فليأت). من لا يحب الرب فليكن محروماً. ماراناتا. تمن: لتكن نعمة الرب يسوع. وفي سفر الرؤيا: دعوة: من كان عطشاناً فليأت. تحذير: من لا يأخذ بالشروط الموضوعة لا يشارك في شجرة الحياة (رمز إفخارستي). آمين. تعال أيها الرب (ماراناتا). تمن: فلتكن نعمة ربنا يسوع معكم أجمعين.

في قلب هذه النصوص نجد «ماراناتا» التي تترجم «تعال أيها الرب» أو «الرب أتى»، وفي كلتا الحالتين نحن أمام حضور المسيح. فالرب الذي نقدر أن نلتقي به هو المخلص الذي يدعو: تعال. وهو يقدم خيراته، والإفخارستيا هي العلامة الملموسة. ولكنه أيضاً الإله العادل والقدوس، إنه الديان الذي لا يتحمل الشر. لا نستطيع أن نقترب منه دون أن نعطيه. وإلا اختفى عنا وما اتحدنا به، فيبقى علينا أن نواجه الشر وحدنا.

بدأ سفر الرؤيا بالليتورجيا وانتهى بتلميح إلى ليتورجيا إفخارستية. فالكتاب يريد أن يعلن مجيء المسيح الأخير. ولكننا لا نتكلم عن المجيء المستقبلي إلا لندل على أن البشر لا يميزون في حياتهم نتائج مجيء يسوع الأخيرة. ولكن يوجد مكان على الأرض ويوجد ظرف في حياة البشر يعلن فيه عمل الخلاص ويتحقق: إنه العبادة. ففي العبادة يتخذ الناس الموقف اللائق بهم: موقف الساجدين الذين يقرون أن لله السلطة بأن يخلق كل شيء، ويعيد خلق كل شيء في يسوع، بما في ذلك حياتهم. إن الليتورجيا هي التي تربط الناس بالأبدية، بالسماء، بالله. وإنها تجعلهم يختبرون هذه المعجزة. لا في انخطاف يبعدهم عن العالم، بل في نعمة تساعدهم على الأمانة التي يفرضها الإله القدوس.

7 ـ من كتب سفر الرؤيا؟

اسمه يوحنا[1]. إنه شاهد يسوع المسيح ونبي[2]. وتبين 1: 2 ـ 3 أن الشهادة والنبوءة هما أمر واحد. وهذا يفترض نظرةً خاصةً إلى النبوءة: فالنبي ليس أولاً من ينبئ بالمستقبل، بل من يكشف معنى مجيء يسوع في هذا العالم. وهذا الكشف يأخذ طابع الشهادة المجسدة.

المسيحي هو شاهد للمسيح المصلوب، وقد يدعى إلى أن يتبع معلمه في طرق تمر في الاضطهاد: نفي يوحنا إلى جزيرة بطمس بسبب الإنجيل، وسار شهودٌ آخرون على طريق الاستشهاد.

ماذا يقول التقليد؟ يقول يوستينوس إن يوحنا بن زبدى هو الذي كتب الإنجيل الرابع وسفر الرؤيا. ويعلن أبوكريفون يوحنا (كتاب غنوصي من القرن الثاني) أن رؤ 1: 19 هي من تأليف يوحنا الرسول. أما غايوس (كاهن روماني في نهاية القرن الثاني) فقال إن قرنتيس الهرطوقي المتأثر بالأفكار اليهودية هو الذي دون سفر الرؤيا. وقابل ديونيسيوس الإسكندراني لغة الإنجيل الرابع وسفر الرؤيا وأفكارهما، وأعلن أننا أمام كاتبين مختلفين. وتبعه في ذلك أوسابيوس القيصري. ولكن هذه التحفظات تبقى قليلة. وكاتب سفر الرؤيا هو يوحنا الرسول نفسه. ومع ذلك سيخاف الشرق المسيحي من كتاب أحس بغرابته فما أدخله بين أسفاره القانونية حتى القرن الخامس.

ـ خاتمة:

قدمنا لأسفار العهد الجديد، فبان لنا غنى تعليم لا ينفد. وما اكتشفناه في الواقع هو وحدة العهد الجديد أولاً. ثم وحدة العهدين، حيث العهد الجديد يغرز جذوره في العهد القديم، والعهد القديم يجد كماله في العهد الجديد.

لا بد لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار تنوع الكتّاب الذين دوَّنوا أسفار العهد الجديد. أراد الله أن يقدم وحيه إلينا فأفاد من أناس تختلف طباعهم وتتنوع مواهبهم. أفاد منهم ولم يستعملهم كأداة تنفعل ولا تفعل، كآلة يحركها ولا تتحرك. فكل واحد له

(1) 1: 1، 4، 9؛ 22: 8.

(2) 1: 1؛ 22: 9.

طريقته الشخصية في نقل كلمة الله. فالقديس بولس ليس القديس يوحنا. والإزائيون الذين قدموا صورة مماثلة عن حياة يسوع وأعماله وأقواله، أبرزوا أيضاً الاختلافات العديدة بين إنجيل وآخر. فلا بد إذن من الأخذ بعين الاعتبار نظرة كل واحد منهم. هذا ما يصبو إليه البحث البيبلي الحالي. إن المسيح لم يكتب بيده، ولكنه سلم تعليمه إلى تقليد حي. ولم تصل إلينا التعابير عن هذا التعليم إلا بعد عشرات السنين من التوارث والتناقل. والإلهام لا يكفل شهادة شخص واحد، بل عدة أشخاص تعرفوا إلى مختلف وجهات التعليم الأساسي في أوساط وأوضاع ملموسة. ولم يصل بنا الإلهام إلى نص نموذجي واحد أنزل علينا فلا نحيد عنه. إن تنوع الشهادات هو علامة عن الغنى التعليمي الذي وصل إلينا. فلا نجمع هذه الأقوال المتنوعة في بوتقة ضيقة تخنق الحياة التي في كلمة الله وتعيدنا إلى قاسم مشترك لا يحمل شيئاً من زخم الإنجيل. أجل، التنوع هو سمة أسفار العهد الجديد.

ولكن نود أن لا تنسينا هذه الملاحظة الأولى، على أهميتها، الوحدة الأساسية في تعليم الخلاص كما نقرأها في العهد الجديد. فكم من كاتب حول تنوع وجهات النظر إلى تناقضات، وجعل يسوع يعارض الكنيسة، أو يعارض القديس بولس. فكأن هناك إنجيل المسيح وإنجيلاً آخر دونته الجماعات الأولى! توقف هؤلاء الشراح عند التفاصيل ونسوا المعطيات الأساسية التي فيها يجد التعليم المسيحي وحدته.

هناك نواة أساسية في أسفار العهد الجديد: كرستولوجيا واحدة، إكليزيولوجيا واحدة، سوتيريولوجيا واحدة. كرستولوجيا واحدة، أي تعليم واحد عن يسوع المسيح. فأسفار العهد الجديد كلها تقول لنا أن يسوع هو إله وإنسان. فلا سفر يشك في لاهوت المسيح حتى سفر الأعمال وإنجيل مرقس. ولا سفر يهمل التشديد على ناسوت المسيح حتى الرسالة إلى العبرانيين وإنجيل يوحنا.

إكليزيولوجيا واحدة، أي تعليم واحد عن الكنيسة. فالأناجيل الأربعة تخبرنا عن يسوع الذي أراد حقاً أن يؤسس جماعة، أن يؤسس كنيسة. ووعى المسيحيون الأولون مع رؤسائهم، ولا سيما بطرس وبولس، أنهم يشكلون هذا الشعب الجديد المرتبط بالله.

سوتيريولوجيا واحدة، أي تعليم واحد عن الخلاص. لكل شاهد وجهته الخاصة وطريقته الشخصية في عرض شقاء الإنسان (على المستوى الأخلاقي) وسر الفداء الذي

حمله يسوع. غير أنهم كلهم مقتنعون أن لموت يسوع وقيامته بعداً خلاصياً، أنهما يتمان الكتب. ويشهد القديس بولس الذي توقف عند لاهوت الفداء، على هذه الوحدة العميقة بين مختلف النظريات، فيقول: «سواء أنا (بولس)، سواء هم (بطرس، يعقوب، يوحنا)، هذا ما نكرز به، وهذا ما به آمنتم»[1].

2 ـ وحدة العهدين:

حين عرضنا مختلف الأسفار البيبلية شددنا على رباط العهد الجديد بالعهد القديم. وحين تصرفنا بهذه الطريقة، اتبعنا ما أشار إليه الكتّاب الملهمون الذين ما فتئوا يعودون إلى الأسفار السابقة بصورة واضحة أو ضمنية. فهناك صفحات، بل أسفار، مثل سفر الرؤيا، تبدو بشكل تأمل في أسفار العهد القديم. كل هذا يدل على الوحدة العميقة بين العهدين. وهذا ما سوف نتوقف عنده. هذه الوحدة ليست تماثلاً وتماهياً. فإيمان إبراهيم ليس إيماناً بالمسيح في معنى صريح. وأكل المن لدى العبرانيين ليس تناولاً إفخارستياً ومشاركة في جسد المسيح ودمه. فإن نحن نسينا هذا المبدأ ألغينا تاريخ الخلاص كما فهمه الكتّاب الملهمون أنفسهم. فهؤلاء يفترضون بين العهدين تواصلاً وانقطاعاً.

نحن أمام تواصل حيوي، لأننا أمام المخطط الإلهي الواحد. استشففناه منذ البداية وسار إلى كماله مع يسوع المسيح. لقد أبرز الأنبياء هذا التواصل وهذا النمو، وأولهم أشعيا. ففي القسم الأول من كتابه، نرى تاريخ شعب الله يسير حسب مخطط إله قدير، فكر بكل شيء وقاد كل شيء إلى هدف يعرفه وحده. وسيستعيد أشعيا في القسم الثاني من كتابه فلسفة التاريخ هذه المطبوعة بالطابع الديني، فيظهر أن التحرر من عبودية مصر هو صورة مسبقة عن خلاص يتعداه عمقاً وروحانية. وسنجد هذا الخلاص بشكل آخر في سفر دانيال ورؤيا القديس يوحنا، كما سنجده في الأناجيل ورسائل القديس بولس.

ينتج عن هذا أن حقائق العهد الجديد لا تمتلك بعدها الحقيقي إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار النبوات المسيحانية ومجمل التيار الديني الذي نكتشفه في التوراة. وهناك نتيجة أخرى: إن عدنا إلى الوراء وقرأنا نصوص العهد القديم كما تمت في نهاية الزمن، فهي

(1) 1 كور 21: 15.

تستضيء بنور جديد. إنها شاهدة لديانة تجاوزتها المسيحية، ولكنها لا تزال حالية بفضل الحدث الأول الذي يشكل أساسها، وهو خبرة الخلاص التي تجد قمتها في خلاص حمله إلينا يسوع المسيح.

تواصل وانقطاع. فكتّاب العهد الجديد الذين يعودون دوماً إلى العهد القديم، يشددون على التمايز والتفاصل بين التدبيرين. فتدبير العهد الجديد مفصول عن تدبير العهد القديم. وإن كان يسوع يتم الكتب، فهو يتمها بسلطان لا سلطان فوقه. فلا نتخيل النبوءات ديناً يدفعه ابن الإنسان، أو أمراً مكتوباً ومحتوماً يخضع له ابن الله المتجسد. فعمل يسوع هو خلق إلهي يرفض كل تقابل آلي مع إنباءات وردت في العهد القديم. وهنا نورد كلمة أوريجانس بما فيها من صورة موحية: «حين جاء المخلص إلينا وأعطى للإنجيل جسداً، صير بالإنجيل كل شيء شبيهاً بالإنجيل».

أعمال الرسل

عُرف أعمال الرسل (أو أعمال بعض الرسل) منذ القرن الثاني، وهو يلخص بعضاً من مضمون كتاب عن أعمال وأقوال المسؤولين الأولين في الكنيسة، ولا سيما بطرس وبولس. ولكنه يشدد لا على بعض الأبطال ليذكرنا بسيرتهم، بل على الروح القدس، مبدأ الكلمة، وعلى الجماعة الرسولية التي ينعشها الروح. إذاً لا يشبه سفر الأعمال «أعمالاً» عُرفت في العالم الهليني فقدمت لنا سيرة هنيبعل أو الإسكندر، كما لا يشبه ما نسميه أعمال الشهداء.

سفر الأعمال هو امتداد لإنجيل لوقا، والاثنان توجها إلى تاوفيلوس. تذكرنا المقدمة باختصار برسالة يسوع دون أن تعلن مضمون الجزء الثاني. إلا أنها تشير في 1: 4 ـ 5، 8 إلى حدث العنصرة. كما نرى أن يسوع القائم من الموت يعطي التلاميذ برنامج رسالتهم الذي هو برنامج سفر الأعمال: «ستكونون لي شهودًا في أورشليم، في كل اليهودية والسامرة وإلى أقاصي الأرض». هكذا يحدد الكاتب مقصده. ويبرز تعارض ظاهر بين خبر الصعود في نهاية إنجيل لوقا (ليلة الفصح، في بيت عنيا) وخبر الصعود في سفر الأعمال (بعد أربعين يومًا، على جبل الزيتون). فحسب بعض الشراح، إن هذين النصين (أي لو 24: 50 ـ 53 وأع 1: 1 ـ 5) زيدا فيما بعد ليفصلا بين جزءي الكتاب. لقد اعتبروا أن السفرين ألفا في البداية كتابًا واحدًا. ولكن هذا الرأي لا يثبت، لأن الرباط المقترح بين لو 24: 49 وأع 1: 6 (بعد إزالة المقطعين) ليس كاملاً. إن أع 1: 6 ـ 12 تجعلنا على جبل الزيتون لا في داخل بيت. ثم إن هذا الكتاب سيكون طويلاً فلا يمكن استعماله بسهولة في الليتورجيا. وكما دأبت الترجمة السبعينية على قسمة كتب صموئيل والملوك والأخبار، هكذا قسم لوقا كتابه إلى

إنجيل وأعمال رسل يكادان يكونان متساويين. يتألف الإنجيل من 19404 كلمات وأعمال الرسل من 18374 كلمة.

إذاً، دوَّن لوقا كتاباً في جزءين ضمّنهما حياة يسوع والكنيسة الأولى. تحدث الجزء الأول وهو الإنجيل الثالث عن زمن يسوع. أما الجزء الثاني فهو سفر أعمال الرسل، يدخلنا في زمن الكنيسة، ويحدثنا عن بطرس وبولس وإسطفانُس وفيليبس... ولكنه يحدثنا بصورة خاصة عن عمل الروح في انتشار الإنجيل وعن انطلاق الكلمة من أورشليم واليهودية والسامرة إلى روما، إلى أقاصي الأرض.

ويتابع لوقا في هذا الكتاب ما كان قد دوَّنه في الإنجيل الذي يحمل اسمه، منطلقاً من ظهور المسيح لتلاميذه آخر مرة قبل ارتفاعه إلى السماء. ففي «أعمال الرسل» يمكننا أن نتتبَّع آثار أعمال المسيح وهو في سماء المجد بواسطة الرسل، بعدما نالوا القوة بانسكاب الروح القدس عليهم إتماماً لوعد المسيح بإرسال «المُعِين» الذي ينوب عنه في قيادتهم وتشجيعهم.

ويمكن اعتبار هذا الكتاب سجلاً تاريخيّاً لنشأة الكنيسة وامتدادها، نتيجة لتنفيذ الرسل وصية الرب بنشر بشارة الإنجيل «في أورشليم ومنطقة اليهودية كلها، وفي السامرة، وإلى أقاصي الأرض». فقد استمرَّت الكنيسة في نشاطها ونموها رغم الاضطهاد الشديد الذي كان يهدف إلى خنق المسيحية في مهدها؛ حتى إننا نرى بولس الذي كان من أكثر المُضطهدين حماسة، يتحول إلى رسول للأمم يحمل الإنجيل في أرجاء الإمبراطورية الرومانية. وهكذا، خرجت المسيحية من النطاق اليهودي، فشملت الكنيسة المُهتدين إلى المسيح من بين اليهود وغير اليهود على السواء.

ويبدأ لوقا بكتابه بالقول: رويت لك في كتابي الأول، يا ثاوفيلس، جميع أعمال يسوع وتعاليمه، منذ بدء رسالته حتى اليوم الذي ارتفع فيه إلى السماء، بعدما قدم وصاياه، بالروح القدس، إلى الرسل الذين اختارهم. وخلال فترة أربعين يوماً بعد آلامه، ظهر لهم مرات عديدة، وأثبت لهم أنه حي ببراهين كثيرة قاطعة، وحدثهم عن ملكوت الله. وبينما كان مجتمعاً معهم، قال: «لا تتركوا أورشليم، بل ابقوا فيها منتظرين إتمام وعد الآب، الذي سبق أن حدثتكم عنه. فإن يوحنا عمّد الناس بالماء؛ أما أنتم فستتعمدون بعد أيام قليلة بالروح القدس!»

ـ صعود المسيح إلى السماء:

وقد سأله المجتمعون: «يا رب، أفي هذا الوقت تعيد الملك إلى إسرائيل؟» فأجابهم: «ليس لكم أن تعرفوا المواعيد والأوقات التي حددها الآب بسلطته. ولكن حينما يحل الروح القدس عليكم تنالون القوة، وتكونون لي شهوداً في أورشليم واليهودية كلها، وفي السامرة، وإلى أقاصي الأرض». قال هذا وارتفع إلى السماء بمشهد منهم. ثم حجبته سحابةٌ عن أنظارهم.

وبينما هم يحدقون إلى السماء وهو ينطلق إليها، إذا رجلان قد ظهرا لهم بثياب بيض، وقالا لهم: «أيها الجليليون، لماذا تقفون ناظرين إلى السماء؟ إن يسوع، هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيعود منها مثلما رأيتموه منطلقاً إليها!»

ـ اختيار خلف ليهوذا:

ثم رجع الرسل إلى أورشليم من الجبل المعروف بجبل الزيتون، وهو بالقرب من أورشليم على مسافة يجوز قطعها يوم السبت. ولما وصلوا صعدوا إلى غرفة في الطبقة العليا كانوا يقيمون فيها، وهم: بطرس ويوحنا، ويعقوب وأندراوس، وفيلبس وتوما، وبرثلماوس ومتى، ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور، ويهوذا أخو يعقوب. وكانوا جميعاً يداومون على الصلاة بقلب واحد، ومعهم بعض النساء، ومريم أم يسوع، وإخوته.

وكان قد اجتمع ذات يوم نحو مئة وعشرين من الإخوة فوقف بطرس بينهم وخاطبهم قائلاً: «أيها الإخوة، كان لابد من أن تتم النبوءة التي قالها الروح القدس بلسان النبي داود، عن يهوذا الذي انقلب دليلاً للذين قبضوا على يسوع. وكان يهوذا يعتبر واحداً منا، وقد شاركنا في خدمتنا. ثم إنه اشترى حقلاً بالمال الذي تقاضاه ثمناً للخيانة، وفيه وقع على وجهه، فانشق من وسطه واندلقت أمعاؤه كلها. وعلم أهل أورشليم جميعاً بهذه الحادثة، فأطلقوا على حقله اسم «حقل دمخ» بلغتهم، أي حقل الدم. فتمت النبوءة الواردة في كتاب المزامير: لتصر داره خراباً، ولا يسكنها ساكنٌ. وأيضاً: ليستلم وظيفته آخر! فعلينا إذن أن نختار واحداً من الرجال الذين رافقونا طوال المدة التي قضاها الرب يسوع معنا، منذ أن عمده يوحنا إلى يوم ارتفاعه عنا إلى السماء، ليكون معنا شاهداً بقيامة يسوع».

فرشح الحاضرون رجلين هما: يوسف الذي يدعى بارسابا ويلقب بيستس، ومتياس. ثم صلوا قائلين: «أيها الرب العارف قلوب الناس جميعاً، بين لنا أي هذين الرجلين تختار ليشاركنا في الخدمة والرسالة بدلاً من يهوذا الذي ذهب إلى المكان الذي يستحقه». ثم ألقوا القرعة، فوقعت على متياس، فضموه إلى الرسل الأحد عشر.

ـ الامتلاء من الروح القدس:

ولما جاء اليوم الخمسون، كان الإخوة مجتمعين معاً في مكان واحد، وفجأةً حدث صوتٌ من السماء كأنه دوي ريح عاصفة، فملأ البيت الذي كانوا جالسين فيه. ثم ظهرت لهم ألسنةٌ كأنها من نار، وقد توزعت وحلت على كل واحد منهم، فامتلأوا جميعاً من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات أخرى، مثلما منحهم الروح أن ينطقوا.

وكانت أورشليم في ذلك الوقت مزدحمةً باليهود الأتقياء الذين جاءوا إليها من أمم العالم كلها. فلما دوى الصوت، توافدت إليهم الجموع، وقد أخذتهم الحيرة لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته. واستولت الدهشة عليهم. فأخذوا يتساءلون: «أليس هؤلاء المتكلمون جميعاً من أهل الجليل؟ فكيف يسمع كل واحد منا لغة البلد الذي ولد فيه؟ فبعضنا فرتيون، وماديون، وعيلاميون. وبعضنا من سكان ما بين النهرين واليهودية، وكبدوكية، وبنتس، وأسيا، وفريجية، وبمفيلية، ومصر، ونواحي ليبيا المواجهة للقيروان. وبيننا كثيرون من الرومانيين الزائرين، يهوداً ومتهودين، وبعض الكريتيين والعرب. وها نحن نسمعهم يكلموننا بلغاتنا عن أعمال الله العظيمة». وأخذ الجميع يسألون بعضهم بعضاً في دهشة وحيرة: «ما معنى هذا كله؟» أما بعضهم فقالوا ساخرين: «ما هم إلا سكارى!»

ـ عظة بطرس الأولى:

وقف بطرس مع الرسل الأحد عشر، وخاطب الحاضرين بصوت عال، وقال: «أيها اليهود، ويا جميع المقيمين في أورشليم! أصغوا إلى كلامي لتعلموا حقيقة الأمر! ليس هؤلاء سكارى كما تتوهمون، فالناس لا يسكرون في الساعة التاسعة صباحاً. ولكن هذا ما قيل بلسان النبي يوئيل: يقول الله: في الأيام الأخيرة سأسكب روحي على

جميع البشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً. في تلك الأيام أفيض من روحي على عبيدي كلهم، رجالاً ونساءً، فيتنبأون. سأجري عجائب فوق في السماء وعلامات تحت على الأرض، حيث يكون دمٌ ونارٌ ودخانٌ كثيفٌ! وقبل أن يأتي يوم الرب، ذلك اليوم العظيم الشهير، ستظلم الشمس، ويتحول القمر إلى لون الدم. ولكن كل من يدعو باسم الرب يخلص!

فيا بني إسرائيل، اسمعوا هذا الكلام: إن يسوع الناصري رجلٌ أيده الله بمعجزات وعجائب وعلامات أجراها على يده بينكم، كما تعلمون. ومع ذلك فقد سمح الله،وفقاً لمشيئته المحتومة وعلمه السابق، أن تقبضوا عليه وتصلبوه وتقتلوه بأيدي الأثمة. ولكن الله أقامه من بين الأموات ناقضاً أوجاع الموت، فما كان يمكن للموت أن يبقيه في قبضته!

فإن داود يقول فيه: كنت أرى الرب أمامي دائماً فإنه عن يميني لئلا أتزعزع. لذلك فرح قلبي وتهلل لساني. حتى إن جسدي سيرقد على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في هوة الأموات، ولن تدع وحيدك القدوس يرى فساداً، هديتني سبل الحياة، وستملأني سروراً برؤية وجهك!

أيها الإخوة، دعوني أقول لكم صراحةً إن أبانا داود مات ودفن، وقبره مازال عندنا حتى اليوم. لأن داود كان نبياً، وعارفاً أن الله أقسم له يميناً بأن يجيء المسيح من نسله ويجلس على عرشه، فقد تكلم عن قيامة المسيح كما رآها مسبقاً، فقال إن نفسه لم تترك في هوة الأموات، ولم ينل من جسده الفساد. فيسوع هذا أقامه الله من الموت، ونحن جميعاً شهودٌ لذلك. وإذ رفع إلى يمين الله،وأخذ من الآب الروح القدس الموعود به، أفاضه علينا. وما ترونه الآن وتسمعونه هو نتيجة لذلك. فإن داود لم يرتفع بجسده إلى السماء. ثم إنه هو نفسه يقول: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. فليعلم يقيناً بنو إسرائيل جميعاً، أن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسيحاً!»

ـ المسيحيون الأولون:

فلما سمع الحاضرون هذا الكلام، وخزتهم قلوبهم، فسألوا بطرس وباقي الرسل: «ماذا نعمل أيها الإخوة؟» أجابهم بطرس: «توبوا، وليتعمد كل واحد منكم باسم يسوع

المسيح، فيغفر الله خطاياكم وتنالوا هبة الروح القدس، لأن الوعد هو لكم ولأولادكم وللبعيدين جميعاً، يناله كل من يدعوه الرب إلهنا!» ثم شهد بطرس للحاضرين ووعظهم بكلام كثير آخر، قائلاً: «اخلصوا من هذا الجيل المنحرف!» فالذين قبلوا كلامه منهم تعمدوا. وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس. وكان الجميع يداومون على تلقي تعليم الرسل، وعلى حياة الشركة، وكسر الخبز، والصلوات.

ولما أجريت عجائب وعلامات كثيرة على أيدي الرسل، استولت الرهبة على كل نفس. وكان المؤمنون كلهم متحدين معاً، فكانوا يتشاركون في كل ما يملكون، ويبيعون أملاكهم ومقتنياتهم ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم، ويداومون على الحضور إلى الهيكل يومياً بقلب واحد، ويكسرون الخبز في البيوت، ويتناولون الطعام معاً بابتهاج وبساطة قلب، مسبحين الله،وكانوا يلاقون استحساناً لدى الشعب كله. وكان الرب، كل يوم، يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون.

ـ شفاء كسيح:

ذات يوم ذهب بطرس ويوحنا إلى الهيكل لصلاة الساعة الثالثة بعد الظهر. وعند باب الهيكل الذي يسمى الباب الجميل، كان يجلس رجلٌ كسيحٌ منذ ولادته، يحملونه كل يوم ويضعونه هناك ليطلب صدقةً من الذين يدخلون الهيكل. فلما رأى بطرس ويوحنا داخلين، طلب منهما صدقةً، فنظرا إليه ملياً، وقال له بطرس: «انظر إلينا!» فتعلقت عيناه بهما، منتظراً أن يتصدقا عليه بشيء. فقال بطرس: «لا فضة عندي ولا ذهب، ولكني أعطيك ما عندي: باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش!» وأمسكه بيده اليمنى وأقامه، فدبت القوة حالاً في رجليه وكعبيه، فوقف قافزاً وبدأ يمشي، ودخل معهما إلى الهيكل وهو يمشي ويقفز فرحاً ويسبح الله. ورآه جميع الحاضرين ماشياً يسبح الله،وعرفوا أنه المستعطي الكسيح الذي تعود أن يقعد أمام الباب الجميل، فأخذتهم الدهشة والحيرة مما حدث له!

ـ عظة بطرس في الهيكل:

وبينما كان في قاعة الهيكل المعروفة بقاعة سليمان ملازماً بطرس ويوحنا، أسرع كثيرون من الشعب واجتمعوا حولهم مدهوشين، فقال لهم بطرس إذ رأى ذلك: «يا بني

إسرائيل، لماذا تتعجبون مما حدث، ولماذا تحدقون إلينا كأننا بقدرتنا أو بتقوانا جعلنا هذا الرجل يمشي؟ إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إله آبائنا، قد مجد فتاه يسوع، الذي أسلمتموه أنتم للموت وأنكرتموه أمام بيلاطس، في حين كان يريد أن يطلقه. أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم العفو عن رجل قاتل، وقتلتم واهب الحياة. ولكن الله أقامه من بين الأموات ونحن شهودٌ لذلك. وبفضل الإيمان باسمه، أعاد اسمه القوة إلى هذا الرجل الذي ترونه وتعرفونه. فالإيمان بيسوع هو الذي أعطاه هذه الصحة الكاملة بمشهد منكم جميعاً.

إني أعلم أيها الإخوة أنكم ورؤساءكم عاملتم المسيح بجهل، ولكن الله أتم بذلك ما كان قد أوحى به إلى جميع أنبيائه من أن المسيح سيلاقي الآلام. فتوبوا وارجعوا ليمحو الله خطاياكم، وتأتيكم أيام الفرج من قبل الرب، إذ يرسل إليكم يسوع المسيح ثانيةً، الذي سبق أن عينه لكم، إذ لابد أن يبقى المسيح في السماء حتى يأتي الزمن الذي يتم فيه الإصلاح الشامل لكل شيء كما أوحى الله إلى أنبيائه الأتقياء منذ القدم. وقد قال موسى: سيبعث الله فيكم من بين إخوتكم نبياً مثلي فاسمعوا له في كل ما يكلمكم به. أما من لا يسمع له فيباد من وسط الشعب. وكذلك تنبأ بهذه الأزمنة جميع الأنبياء، من صموئيل إلى الذين جاءوا بعده. وأنتم أحفاد هؤلاء الأنبياء، وأبناء العهد الذي أبرمه الله لآبائنا عندما قال لإبراهيم: بنسلك تنال البركة شعوب الأرض كلها. فمن أجلكم أولاً أقام الله فتاه يسوع وأرسله ليبارككم برد كل واحد منكم عن شروره».

ـ بطرس ويوحنا في المجلس:

بينما كان بطرس ويوحنا يخاطبان الحاضرين، أقبل إليهما بعض الكهنة، وقائد حرس الهيكل والصدوقيين، متضايقين لأنهما كانا يعلمان الناس ويعلنان أن قيامة الأموات حقيقة تؤكدها قيامة يسوع، فقبضوا عليهما وألقوهما في السجن إلى اليوم التالي، لأن المساء كان قد حل. وكان كثيرون ممن سمعوا الكلمة قد آمنوا فصار عدد المؤمنين من الرجال نحو خمسة آلاف.

وفي صباح اليوم التالي اجتمع في أورشليم رؤساء اليهود والشيوخ والكتبة، ومعهم حنان رئيس الكهنة، وقيافا، ويوحنا، والإسكندر، وجميع المنتمين إلى عشيرة رؤساء

الكهنة. واستدعوا بطرس ويوحنا وسألوهما: «بأية قوة، وباسم من فعلتما هذا؟» فامتلأ بطرس من الروح القدس وأجابهم: «يا رؤساء الشعب ويا شيوخه، إن كنتم تستجوبوننا اليوم بسبب الإحسان إلى إنسان مريض لتعرفوا كيف شفي، فاعلموا جميعاً، وليعرف شعب إسرائيل كله، أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم، والذي أقامه الله من بين الأموات، باسمه يقف هذا الكسيح أمامكم في تمام الصحة! يسوع هذا هو الحجر الذي رفضتموه أيها البناة، وهو نفسه صار حجر الزاوية الأساسي، وليس بأحد غيره الخلاص، إذ ليس تحت السماء اسمٌ آخر قدمه الله للبشر به يجب أن نخلص!»

فتعجب المجتمعون من جرأة بطرس ويوحنا، لما عرفوا أنهما غير متعلمين وأنهما من عامة الشعب، فأدركوا أنهما كانا مع يسوع. ولكن إذ رأوا الكسيح الذي شفي واقفاً معهما، لم يجدوا شيئاً يعارضون به! فأمروهما بالخروج من المجلس، ليتشاوروا فيما بينهم. وقالوا: «ماذا نعمل بهذين الرجلين؟ فمن الواضح أمام أهل أورشليم جميعاً أن معجزةً عظيمةً قد جرت على أيديهما، ولا نستطيع أن ننكر! ولكن لئلا يزداد هذا الأمر انتشاراً بين الشعب، فلنهددهما ألا يذكرا هذا الاسم لأحد من الناس بعد الآن». ثم أحضروهما وأمروهما ألا ينطقا باسم يسوع ولا يعلما الناس به.

ولكن بطرس ويوحنا قالا: «احكموا أنتم: أمن الحق أمام الله أن نطيع أمركم لا أمر الله؟ لا نستطيع أن نكف عن التحدث بما رأينا وسمعنا». فشدد المجلس إنذاره لهما، دون أن يجد طريقةً لمعاقبتهما، وأمر بإطلاقهما خوفاً من ثورة الشعب، فقد كان الجميع يمجدون الله على تلك المعجزة، لأن الرجل الذي جرت فيه علامة الشفاء هذه قد جاوز الأربعين عاماً!

ـ صلاة المؤمنين:

وما إن أطلق بطرس ويوحنا حتى رجعا إلى رفاقهما، وأخبراهم بكل ما قاله لهما رؤساء الكهنة والشيوخ، فتوجهوا بقلب واحد إلى الله بالدعاء، قائلين: «يا رب، يا خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، يا من قلت بالروح القدس على لسان عبدك داود: لماذا ضجت الأمم؟ ولماذا تآمرت الشعوب باطلاً؟ اجتمع ملوك الأرض ورؤساؤها، وتحالفوا ليقاوموا الرب ومسيحه!

وقد تحققت هذه الكلمات فعلاً، إذ تحالف هيرودس، وبيلاطس البنطي، والوثنيون وأسباط إسرائيل، لمقاومة فتاك القدوس يسوع، الذي جعلته مسيحاً، وعملوا به كل ما سبق أن رسمت يدك وقضت مشيئتك أن يكون. والآن انظر، يا رب، إلى تهديدهم، وهبنا نحن عبيدك أن نعلن كلامك بكل جرأة، ومد يدك للشفاء، كي تجرى معجزاتٌ وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع». وفيما هم يصلون ارتج المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلأوا جميعاً بالروح القدس، فأخذوا يعلنون كلمة الله بكل جرأة!

ـ الحياة المسيحية في الجماعة الأولى:

كانت جماعة المؤمنين قلباً واحداً ونفساً واحدةً، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً مما عنده هو له وحده، بل كان كل شيء عندهم مشتركاً. وكان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع وقوة عظيمة تصحبها، ونعمة عظيمة تحل على جميعهم. فلم يكن فيهم محتاجٌ، لأن جميع من كان لهم حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بثمنها، فيضعونه عند أقدام الرسل، وهم يوزعونه على كل محتاج بقدر حاجته. ومن هؤلاء يوسف، الذي دعاه الرسل برنابا أي ابن التشجيع، وهو من سبط لاوي، ويحمل الجنسية القبرصية. فإنه كان يملك حقلاً، فباعه وجاء بثمنه ووضعه عند أقدام الرسل!

ـ حنانيا وسفيرة:

ولكن رجلاً اسمه حنانيا، اتفق مع زوجته سفيرة فباع حقلاً كان يملكه، واحتفظ لنفسه بجزء من الثمن بعلم من زوجته، وجاء بما تبقى ووضعه عند أقدام الرسل. فقال له بطرس: «يا حنانيا، لماذا سمحت للشيطان أن يملأ قلبك، فكذبت على الروح القدس، واحتفظت لنفسك بجزء من ثمن الحقل؟ أما كان بقي لك لو لم تبعه؟ وبعد بيعه أما كان لك حق الاحتفاظ بثمنه؟ لماذا قصدت في قلبك أن تغش؟ إنك لم تكذب على الناس، بل على الله!» فما إن سمع حنانيا هذا الكلام حتى سقط أرضاً ومات! فاستولت الرهبة الشديدة على جميع الذين عرفوا ذلك. وقام بعض الشبان وكفنوا حنانيا، وحملوه إلى حيث دفنوه.

وبعد نحو ثلاث ساعات حضرت زوجة حنانيا وهي لا تدري بما حدث، فسألها

بطرس: «قولي لي: أبهذا المبلغ بعتما الحقل؟» فأجابت: «نعم، بهذا المبلغ». فقال لها بطرس: «لماذا اتفقت مع زوجك على امتحان روح الرب؟ ها قد وصل الشبان الذين دفنوا زوجك إلى الباب، وسيحملونك أيضاً!» فوقعت حالاً عند قدمي بطرس وماتت! ولما دخل الشبان وجدوها ميتةً، فحملوا جثتها ودفنوها إلى جوار زوجها. فاستولت الرهبة الشديدة على الكنيسة كلها، وعلى كل من سمعوا ذلك الخبر.

ـ حياة الرسل والمسيحيين:

جرت على أيدي الرسل معجزات وعجائب كثيرة بين الشعب. وكانوا كلهم يجتمعون بقلب واحد في قاعة سليمان بالهيكل. ولم يجرؤ أحد من خارج على الانضمام إليهم، بل كان الشعب يشيد بهم. وأخذ عدد المؤمنين بالرب يزداد بانضمام جماعات من الرجال والنساء. وكان الناس يحملون المرضى على فرشهم وأسرَّتهم إلى الشوارع، لعل ظل بطرس عند مروره يقع على أحد منهم فينال الشفاء. بل كانت الجموع من المدن والقرى المجاورة يأتون إلى أورشليم حاملين المرضى والمعذبين بالأرواح النجسة، فكانوا جميعاً يبرأون.

إلا أن رئيس الكهنة وجماعته المنتمين إلى مذهب الصدوقيين ملأتهم الغيرة من الرسل، فقبضوا عليهم وألقوهم في السجن العام. ولكن ملاكاً من الرب فتح أبواب السجن في الليل وأطلقهم، وقال لهم: «اذهبوا إلى الهيكل، وقفوا معلنين للناس بشارة الحياة الجديدة كاملةً!» فأطاعوا وذهبوا إلى الهيكل باكراً عند الفجر وبدأوا يعلمون. بينما عقد المجلس اجتماعاً، بدعوة من رئيس الكهنة وجماعته، حضره شيوخ إسرائيل جميعاً، وأمروا بإحضار الرسل من السجن، ولكن الحرس لم يجدوهم! فرجعوا يخبرون قائلين: «وجدنا أبواب السجن مغلقةً بإحكام، والحراس واقفين أمامها، ولكن لما فتحناها لم نجد في الداخل أحداً!»

فسيطر الذهول على قائد حرس الهيكل وعلى رؤساء الكهنة عندما سمعوا هذا الكلام، وتساءلوا: «إلام سينتهي هذا الأمر؟» ثم جاء رجل إلى المجلس يقول: «إن الرجال الذين ألقيتم في السجن هم الآن واقفون في الهيكل يعلمون الناس». فذهب قائد الحرس ورجاله، وجاءوا بالرسل بغير عنف، خوفاً من أن يرجمهم الشعب. فلما مثلوا أمام المجلس استجوبهم رئيس الكهنة قائلاً: «أمرناكم بشدة ألا تعلموا بهذا

الاسم، ولكنكم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم، وتريدون أن تحملونا مسؤولية سفك دمه!» فأجاب بطرس والرسل: «ينبغي أن يطاع الله لا الناس! إن إله آبائنا أقام يسوع، الذي قتلتموه أنتم معلقين إياه على الخشبة! ولكن الله رفعه إلى يمينه وجعله رئيساً ومخلصاً ليمنح إسرائيل التوبة وغفران الخطايا؛ ونحن نشهد على هذا، وكذلك يشهد الروح القدس الذي وهبه الله للذين يطيعونه».

ولما سمع المجتمعون هذا الكلام اشتد غضبهم، وقرروا أن يقتلوا الرسل. ولكن أحد أعضاء المجلس، واسمه غمالائيل، وهو معلم للشريعة يتبع المذهب الفريسي، ويحترمه جميع الشعب، وقف وأمر أن يخرج الرسل بعض الوقت، ثم قال للمجتمعين: «يا بني إسرائيل، حذار أن تنفذوا ما تنوون أن تعملوه بهؤلاء الرجال. فمنذ مدة قصيرة قام ثوداس وادعى أنه شخص عظيم، فتبعه نحو أربع مئة رجل، ولكنه قتل وتفرق أتباعه، وانتهى أمره. ثم قام يهوذا الجليلي في زمن الإحصاء واستمال عدداً كبيراً من الناس ليتبعوه، ولكنه هلك أيضاً وتشتت أتباعه. فالآن أنصحكم أن تبتعدوا عن هؤلاء الرجال وتتركوهم وشأنهم. فإن كان هذا المبدأ أو هذا العمل من عند الناس، فلابد أن يتهدم، ولكن إن كان من عند الله فلن تتمكنوا أبداً من الوقوف في وجهه، وإلا جعلتم من أنفسكم أعداءً لله أيضاً».

فعمل أعضاء المجلس بهذه النصيحة، واستدعوا الرسل، فجلدوهم وأمروهم ألا يعلموا باسم يسوع، ثم أطلقوهم. ولكن الرسل خرجوا من المجلس فرحين، لأنهم اعتبروا أهلاً لأن يلقوا الإهانة من أجل اسم يسوع. وكانوا كل يوم، في الهيكل وفي البيوت، يعلمون ويبشرون بالمسيح يسوع بلا انقطاع.

ـ اختيار سبعة لمساعدة الرسل:

تكاثر التلاميذ في تلك الأيام، احتج اليهود اليونانيون على العبرانيين، لأن أراملهم لم يكن يحصلن على نصيب من الإعانات اليومية. فدعا الرسل الاثنا عشر جماعة التلاميذ وقالوا لهم: «لا يصح أن نترك نحن كلمة الله لنقوم بتوزيع الإعانات! فاختاروا، أيها الإخوة، سبعة رجال منكم، لهم شهادة حسنة، ممتلئين من الروح القدس والحكمة، فنعينهم ليقوموا بهذه المهمة. أما نحن، فنداوم على الصلاة وخدمة الكلمة». فاستحسنت الجماعة كلها هذا الرأي؛ ووقع الاختيار على استفانوس، وهو

رجل مملوء من الإيمان والروح القدس، وفيلبس، وبروخورس، ونيكانور، وتيمون، وبرميناس، ونيقولاوس الأنطاكي المتهود. وقدموهم للرسل، فصلوا ووضعوا أيديهم عليهم. فزادت كلمة الله انتشاراً، وتكاثر عدد التلاميذ في أورشليم، وأذعن للإيمان مجموعة كبيرة من الكهنة.

ـ القبض على إستفانوس:

كان إستفانوس مملوءاً بالإيمان والقوة، وكان يعمل عجائب ومعجزات عظيمةً بين الشعب. فعارضه بعض المنتمين إلى جماعة العبيد المحررين، يساندهم بعض اليهود من القيروان والإسكندرية، وغيرهم من مقاطعتي كيليكيا وأسيا، وأخذوا يجادلونه. ولكنهم لم يتمكنوا من مقاومة حكمته والروح الذي كان يتكلم به. فما كان منهم إلا أن دفعوا رشوةً لبعض الأشخاص ليقولوا: «سمعنا إستفانوس يتكلم بالتجديف على موسى وعلى الله!» فأثارت هذه التهمة الشعب والشيوخ والكتبة على إستفانوس، فألقوا القبض عليه وجاءوا به إلى المجلس، وأقاموا عليه شهود زور ادعوا أنه: «لا يكف عن التعرض بكلامه للهيكل المقدس وللشريعة فقد سمعناه يقول إن يسوع الناصري سيهدم هذا الهيكل ويغير الطقوس التي تسلمناها من موسى». فلما نظر إليه جميع الحاضرين في المجلس رأوا وجهه كأنه وجه ملاك.

ـ خطبة إستفانوس:

سأل رئيس الكهنة إستفانوس: «هل هذه الاتهامات صحيحة؟» فأجاب: «أيها الإخوة والآباء، اسمعوا: ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في بلاد ما بين النهرين، قبل أن يرحل ليسكن في حاران، وقال له: اترك أرضك وعشيرتك، وارحل إلى الأرض التي أرشدك إليها. فأطاع ورحل من بلاد الكلدانيين، وسكن في حاران، وبقي فيها إلى أن مات أبوه، فجاء الله به إلى هذا البلد الذي تسكنون فيه الآن، ولم يعطه هنا ملكاً، ولا موطئ قدم. ومع أنه كان وقتئذ بلا ولد، فإن الله وعده بأن يعطي هذا البلد له ولنسله من بعده. فقد قال الله: إن أحفاده سيقاسون الغربة في بلاد ليست لهم، مدة أربع مئة سنة يلاقون خلالها العبودية وسوء المعاملة؛ ولكني أنزل العقاب بالشعب الذي يستعبدهم. وبعد ذلك يخرجون ويجيئون ليعبدوني في هذا المكان. وطلب الله إلى إبراهيم أن يختتن الذكور في عائلته علامةً على العهد الذي أبرمه له. فختتن إبراهيم

إسحاق في اليوم الثامن من عمره. وختن إسحاق ابنه يعقوب، وختن يعقوب أولاده الاثني عشر، الذين هم الآباء الأولون. وحسد الآباء الأولون يوسف وباعوه، فأصبح عبداً في مصر. ولكن الله كان معه، وأنقذه من جميع المحن التي مر بها، ووهبه نعمةً وحكمةً عند فرعون ملك مصر، فولاه على مصر، وعلى شؤون بيته.

وحدثت بعد ذلك مجاعة في مصر وكنعان، فقاسى آباؤنا من ضيق شديد، إذ لم يجدوا الطعام. ولما سمع يعقوب أن في مصر قمحاً أرسل إليها آباءنا أول مرة. وعندما أرسلهم مرةً ثانيةً عرفهم يوسف بنفسه، وتبين لفرعون أصل يوسف. واستدعى يوسف والده يعقوب، وإخوته وعائلاتهم، إلى مصر وكانوا خمسةً وسبعين شخصاً. فجاء يعقوب وآباؤنا إلى مصر، وأقاموا فيها إلى أن ماتوا، فنقلوا إلى شكيم حيث دفنوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم من قبيلة حمور أبي شكيم ببعض الفضة. وفيما كان يقترب إتمام الوعد الذي قطعه الله لإبراهيم، كان الشعب في مصر يتكاثرون ويزدادون عدداً. ثم قام على مصر ملك جديد لم يكن يعرف أمر يوسف. فغدر بشعبنا، وأساء معاملة آبائنا، حتى أجبرهم على التخلي عن أطفالهم ليموتوا.

في تلك الفترة ولد موسى. وكان جميلاً جداً، فرباه والداه في بيتهما ثلاثة أشهر، ولكنهما اضطرا أخيراً إلى التخلي عنه، فأنقذته ابنة فرعون وتبنته وربته. فتثقف موسى بعلوم مصر كلها، حتى صار مقتدراً في القول والعمل. ولما بلغ الأربعين من العمر خطر بقلبه أن يتفقد أحوال إخوته من بني إسرائيل، فرأى واحداً منهم يعتدي عليه مصري، فتدخل ليدافع عن المظلوم، وانتقم له فقتل المصري، على أمل أن يدرك إخوته أن الله سينقذهم على يده. غير أنهم لم يدركوا! وفي اليوم التالي وجد اثنين من إخوته يتعاركان، فحاول أن يصلح بينهما، قائلاً: أنتما أخوان، فلماذا يعتدي أحدكما على الآخر؟ فما كان من المعتدي على قريبه إلا أن دفعه بعيداً، وقال: من أقامك رئيساً وقاضياً علينا؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري أمس؟ وهنا هرب موسى من مصر إلى بلاد مديان، وعاش فيها غريباً. وهناك أنجب ولدين.

وبعدما مضت أربعون سنةً كان موسى في صحراء جبل سيناء، عندما ظهر له ملاك الرب في لهيب نار من عليقة تشتعل وأثار المنظر دهشة موسى، فاقترب ليستطلع الأمر، وإذا صوت الرب يناديه: أنا إله آبائك، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب! فارتعد موسى ولم يعد يجرؤ على أن ينظر. فقال له الرب: اخلع نعليك لأن المكان الذي تقف عليه

هو أرض مقدسة! إني رأيت العذاب الذي يعانيه شعبي في مصر، وسمعت أنينهم، فنزلت لأنقذهم. والآن، هيا أرسلك إلى مصر!

فموسى الذي رفضه شعبه قائلين: من أقامك رئيساً وقاضياً علينا؟ هو نفسه أرسله الله رئيساً ومحرراً، يؤيده الملاك الذي ظهر له في العليقة! وقد أخرج الشعب من مصر وهو يجري عجائب ومعجزات فيها، وفي البحر الأحمر، وفي الصحراء مدة أربعين سنةً.

وموسى هذا هو الذي قال لبني إسرائيل: سيبعث الله لكم من بين إخوتكم نبياً مثلي. وهو الذي كان يقود جماعة الشعب في الصحراء، وقد قام بدور الوسيط بين الملاك الذي كلمه على جبل سيناء وآبائنا، فنقل إليكم وصايا الله الحية. ولكن آباءنا رفضوا أن يطيعوا موسى، ولم يعترفوا بقيادته، وحنت قلوبهم للرجوع إلى مصر، وقالوا لهرون: اصنع لنا آلهةً تهدينا في سيرنا، فإننا لا نعلم ماذا جرى لموسى هذا الذي أخرجنا من بلاد مصر! فصنعوا صنماً على صورة عجل في تلك الأيام وقدموا له ذبيحةً، وابتهجوا بما صنعت أيديهم. فتحول الله عنهم وتركهم يعبدون كواكب السماء، كما جاء في كتاب الأنبياء:

يا بني إسرائيل، هل قربتم لي ذبائح وتقدمات طوال أربعين سنةً في الصحراء؟ لا، بل حملتم خيمة الصنم مولوك، وكوكب الإله رمفان، التمثالين اللذين صنعتم لتسجدوا لهما! لذلك سأنفيكم إلى أبعد من بابل!

وقد حمل آباؤنا معهم في الصحراء خيمة الشهادة. وكان الله قد أوصى موسى أن يقيمها على المثال الذي أطلعه عليه؛ ثم دخلوا بها إلى هذه البلاد التي فتحوها بقيادة يشوع، بعدما طرد الله من أمامهم الشعوب الساكنة فيها. وظل آباؤنا يعبدون الله في الخيمة حتى أيام داود، الذي نال قبولاً لدى الله، فسعى أن يجد بيتاً لإله يعقوب. وتحققت هذه الرغبة على يد سليمان الذي بنى الهيكل. إلا أن العلي لا يسكن في هياكل تصنعها أيدي البشر، كما قال النبي:

السماء عرشي، والأرض موطئ قدمي... فأي بيت تبنون لي؟ يقول الرب، وأي مكان تعدون لراحتي؟ أليست يدي قد صنعت هذه الأشياء كلها؟»

ثم قال إستفانوس: «يا أصحاب الرقاب الصلبة والقلوب والآذان غير المختونة!

إنكم دائماً تقاومون الروح القدس. وكما فعل آباؤكم تفعلون! فأي نبي نجا من اضطهادهم وقد قتلوا الذين أنبأوا بمجيء البار الذي سلمتموه أنتم وقتلتموه! فأنتم أخذتم الشريعة من أيدي الملائكة، ولكنكم لم تطيعوها!»

ـ استشهاد إستفانوس:

لما سمع المجتمعون كلام إستفانوس، ملأ الغيظ قلوبهم، وأخذوا يصرون بأسنانهم توعداً. فرفع إستفانوس نظره إلى السماء، وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع واقفاً عن يمين الله،فقال: «إني أرى السماء مفتوحةً وابن الإنسان واقفاً عن يمين الله!» فصاحوا صياحاً شديداً، وسدوا آذانهم وهجموا عليه هجمةً واحدةً، ودفعوه إلى خارج المدينة، وأخذوا يرجمونه بالحجارة. وخلع الشهود ثيابهم عند قدمي شاب اسمه شاول لكي يحرسها. وبينما كانوا يرجمون إستفانوس، كان يدعو: «أيها الرب يسوع، إقبل روحي!» ثم ركع وصرخ بصوت عال: «يا رب، لا تحسب عليهم هذه الخطيئة!» وإذ قال هذا رقد.

ـ شاول يضطهد الكنيسة:

كان شاول موافقاً على قتل إستفانوس. وفي ذلك اليوم نفسه وقع اضطهاد شديد على الكنيسة التي في أورشليم. فتشتت الإخوة جميعاً في نواحي اليهودية والسامرة، ولم يبق في أورشليم إلا الرسل. وأما إستفانوس فقد دفنه بعض الرجال الأتقياء، وناحوا عليه كثيراً. أما شاول فكان يحاول إبادة الكنيسة، فيذهب من بيت إلى بيت ويجر الرجال والنساء ويلقيهم في السجن.

ـ فيلبس في السامرة:

إن الذين تشتتوا كانوا ينتقلون من مكان إلى مكان مبشرين بالكلمة. فذهب فيلبس إلى مدينة في منطقة السامرة، وأخذ يبشر أهلها بالمسيح. فأصغت الجموع إلى كلامه بقلب واحد، إذ سمعوا بالعلامات التي أجراها، أو رأوها بأنفسهم، فقد كان يأمر الأرواح النجسة، فتصرخ بصوت عال وتخرج من المسكونين بها، كما شفى كثيرين من المشلولين والعرج، فعمت الفرحة أنحاء المدينة.

وكان قبل ذلك في تلك المدينة ساحر اسمه سيمون، يمارس السحر فيذهل أهل السامرة ويدعي أنه رجل عظيم. فأصغى إليه الجميع من الصغير إلى الكبير، قائلين: «هذا الرجل هو قدرة الله العظمى!» وإنما أصغوا إليه لأنهم كانوا قد انخدعوا مدةً طويلةً بحيله السحرية! فلما آمنوا بكلام فيلبس الذي بشرهم بملكوت الله وباسم يسوع، تعمدوا رجالاً ونساءً. وسيمون نفسه آمن وتعمد، فألصق نفسه بفيلبس، وإذ شاهد الآيات والمعجزات التي أجريت على يده، استولت عليه الدهشة.

سمع الرسل في أورشليم أن أهل السامرة قبلوا كلمة الله،فأرسلوا إليهم بطرس ويوحنا. فصليا لأجلهم لكي ينالوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم، إلا أنهم كانوا قد تعمدوا باسم الرب يسوع. ثم وضعا أيديهما عليهم، فنالوا الروح القدس. ولما رأى سيمون أن الروح القدس قد حل على المؤمنين لما وضع الرسولان أيديهما عليهم، عرض على بطرس ويوحنا بعض المال، وقال لهما: «أعطياني أنا أيضاً هذه السلطة لكي ينال الروح القدس من أضع عليه يدي». فقال له بطرس: «لتبق لك فضتك لهلاكك! لأنك ظننت أنك تقدر أن تشتري هبة الله بالمال! لا قسمة لك في هذا الأمر ولا نصيب، لأن قلبك ليس مخلصاً تجاه الله. فتب عن شرك هذا واطلب إلى الله،عسى أن يغفر لك نية قلبك، لأني أراك تتخبط في مرارة العلقم وقيود الخطيئة!» فقال سيمون: «صليا أنتما إلى الرب من أجلي حتى لا ينزل بي شيء مما تشيران إليه». وبعدما شهد بطرس ويوحنا بكلمة الرب وأعلناها هناك، رجعا إلى أورشليم وقد بشرا قرىً كثيرة في منطقة السامرة.

ـ فيلبس يُعمِّد وزير ملكة الحبشة:

ثم إن ملاكاً من عند الرب كلم فيلبس فقال له: «قم اذهب نحو الجنوب، ماشياً على الطريق البرية بين أورشليم وغزة». فقام وذهب. وإذا رجل حبشي، خصي، يعمل وزيراً للشؤون المالية عند كنداكة ملكة الحبشة، كان قد حج إلى أورشليم للسجود فيها، وهو راجع إلى الحبشة راكباً في عربته، يقرأ في كتاب النبي إشعياء. فقال الروح لفيلبس: «تقدم ورافق هذه العربة!» فأسرع فيلبس وسمع الخصي يقرأ نبوءة إشعياء، فسأله: «أتفهم ما تقرأ؟» فأجاب: «كيف يمكنني ذلك إن لم يشرح لي أحد؟» ودعا فيلبس أن يصعد إلى العربة ويجلس معه. وكان الخصي قد وصل في فصل الكتاب

الذي يقرأه إلى القول: «مثل شاة سيق إلى الذبح، ومثل الحمل الصامت بين يدي من يجزه، هكذا لم يفتح فاه! في أثناء تواضعه عومل بغير عدل. من يخبر عن نسله؟ فإن حياته قد انتزعت من الأرض!»

وسأل الخصي فيلبس: «قل لي: إلى من يشير النبي بهذا القول؟ إلى نفسه أو إلى شخص آخر؟» فتكلم وأخذ يبشره بيسوع انطلاقاً من كتاب النبي هذا.

وبينما كانت العربة تسير بهما، وصلا إلى مكان فيه ماء، فقال الخصي: «ها هو الماء، فماذا يمنع أن أتعمد؟» فأجابه فيلبس: «هذا جائز إن كنت تؤمن من كل قلبك». فقال الخصي: «إني أومن بأن يسوع المسيح هو ابن الله». وأمر أن تقف العربة، فنزلا إلى الماء معاً، وعمد فيلبس الخصي. وما إن طلعا من الماء حتى خطف روح الرب فيلبس، فلم يعد الخصي يراه. فتابع سفره بفرح. أما فيلبس فقد شوهد في أشدود، ثم سار يبشر كل مدينة حتى وصل إلى قيصرية.

ـ اهتداء شاول:

أما شاول فكان لا يزال يفور بالتهديد والقتل على تلاميذ الرب. فذهب إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى مجامع اليهود في دمشق لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق من الرجال والنساء، حيثما يجدهم، ليسوقهم مقيدين إلى أورشليم. وفيما هو منطلق إلى دمشق، وقد اقترب منها، لمع حوله فجأةً نور من السماء، فوقع إلى الأرض وسمع صوتاً يقول له: «شاول! شاول! لماذا تضطهدني؟» فسأل: «من أنت يا سيد؟» فجاءه الجواب: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس المناخس». فقال وهو مرتعد ومتحير؛ «يا رب ماذا تريد أن أفعل؟» فقال له الرب: «قم، وادخل المدينة فيقال لك ما يجب أن تفعله». وأما مرافقو شاول فوقفوا مذهولين لا ينطقون، فقد سمعوا الصوت ولكنهم لم يروا أحداً. وعندما نهض شاول عن الأرض، فتح عينيه فوجد أنه لا يبصر، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، حيث بقي ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ولا يشرب.

وكان في دمشق تلميذ للرب اسمه حنانيا، ناداه الرب في رؤيا: «يا حنانيا!» فقال: «لبيك يا رب!» فقال له الرب: «اذهب إلى الشارع المعروف بالمستقيم واسأل في بيت يهوذا، عن رجل من طرسوس اسمه شاول. إنه يصلي هناك الآن. وقد رأى

في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا يدخل إليه ويضع يده عليه، فيبصر». فقال حنانيا للرب: «ولكني، يا رب، قد سمعت من كثيرين بالفظائع التي ارتكبها هذا الرجل بقديسيك في أورشليم، وقد خوله رؤساء الكهنة السلطة ليلقي القبض على كل من يدعو باسمك». فأمره الرب: «اذهب! فقد اخترت هذا الرجل ليكون إناءً يحمل اسمي إلى الأمم والملوك وبني إسرائيل. وسأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي!» فذهب حنانيا ودخل بيت يهوذا، ووضع يديه على شاول وقال: «أيها الأخ شاول، إن الرب يسوع، الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيها، أرسلني إليك لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس». وفي الحال تساقط من عيني شاول ما يشبه القشور، فأبصر، ثم قام وتعمد. وتناول طعاماً فاستعاد قوته وبقي بضعة أيام مع التلاميذ في دمشق.

ـ شاول يبشر بالمسيح في دمشق:

وفي الحال بدأ يبشر في المجامع بأن يسوع هو ابن الله. وأثار كلامه دهشة السامعين، فتساءلوا: «أليس هذا هو الذي كان يبيد جميع الداعين بهذا الاسم في أورشليم؟ أما جاء إلى هنا ليلقي القبض عليهم ويسوقهم مقيدين إلى رؤساء الكهنة؟» وأما شاول فقد صار أكثر حماسةً في وعظه، فكان يفحم اليهود الساكنين في دمشق ببراهينه التي كان يبين بها أن يسوع هو المسيح. وبعد عدة أيام، حاك اليهود في دمشق مؤامرةً لقتل شاول، فعلم بها. وكانوا يراقبون أبواب المدينة نهاراً وليلاً ليقتلوه وهو يخرج منها. فأخذه بعض التلاميذ ليلاً ووضعوه في سل، وأنزلوه بالحبال من على سور المدينة.

ـ شاول في أورشليم:

ولما وصل شاول إلى أورشليم، حاول أن ينضم إلى التلاميذ هناك، فخافوا منه، إذ لم يصدقوا أنه صار تلميذاً للرب. فتولى برنابا أمره وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف ظهر الرب له في الطريق وكلمه، وكيف بشر بجرأة باسم يسوع في دمشق. فأخذ يذهب ويجيء معهم في أورشليم، مبشراً باسم الرب بجرأة. وكان يخاطب اليهود اليونانيين ويجادلهم، فحاولوا أن يقتلوه. فلما علم الإخوة بذلك أنزلوه إلى ميناء قيصرية. ومن هناك أرسلوه إلى طرسوس.

في أثناء ذلك كانت الكنيسة في مناطق اليهودية والجليل والسامرة تتمتع بالسلام. وكانت تنمو وتسير في تقوى الرب، بمساندة الروح القدس.

ـ بطرس في لدة ويافا:

وبينما كان بطرس ينتقل من مكان إلى مكان، زار الساكنين في مدينة لدة، ووجد هناك مشلولاً اسمه إينياس، مضت عليه ثماني سنوات وهو طريح الفراش. فقال له: «يا إينياس، شفاك يسوع المسيح. قم ورتب سريرك بنفسك!» فقام في الحال. ورآه سكان لدة وشارون جميعاً، فرجعوا إلى الرب. وكان في مدينة يافا تلميذة اسمها طابيثا، ومعنى اسمها: غزالة، كان يشغلها دائماً فعل الخير ومساعدة الفقراء. وحدث في ذلك الوقت أنها مرضت وماتت، فغسلوها ووضعوها في غرفة بالطبقة العليا. وسمع التلاميذ في يافا أن بطرس في لدة. وإذ كانت يافا قريبةً من لدة، أرسلوا إليه رجلين يطلبان إليه قائلين: «تعال إلينا ولا تتأخر!» فقام وذهب. ولما وصل قادوه إلى الطبقة العليا، فتقدمت إليه جميع الأرامل باكيات، يعرضن بعض الأقمصة والثياب مما كانت غزالة تخيطه وهي معهن. فطلب بطرس إلى جميع الحاضرين أن يخرجوا من الغرفة، وركع وصلى، ثم التفت إلى الجثة وقال: «يا طابيثا، قومي!» ففتحت عينيها. ولما رأت بطرس جلست، فمد يده إليها وساعدها على النهوض، ثم دعا القديسين والأرامل، وردها إليهم حيةً. وانتشر خبر هذه المعجزة في يافا كلها، فآمن بالرب كثيرون. وبقي بطرس في يافا عدة أيام عند دباغ اسمه سمعان.

ـ بطرس وكرنيليوس:

كان يسكن في قيصرية قائد مئة اسمه كرنيليوس، ينتمي إلى الكتيبة الإيطالية، وكان تقياً يخاف الله،هو وأهل بيته جميعاً، يتصدق على الشعب كثيراً، ويصلي إلى الله دائماً. وذات نهار نحو الساعة الثالثة بعد الظهر، رأى كرنيليوس في رؤيا واضحة ملاكاً من عند الله يدخل إليه ويقول: «يا كرنيليوس!» فنظر إلى الملاك وقد استولى عليه الخوف، وسأل: «ماذا يا سيد؟» فأجابه: «صلواتك صعدت أمام الله تذكاراً. والآن أرسل بعض الرجال إلى يافا واستدع سمعان الملقب بطرس. إنه يقيم في بيت سمعان الدباغ عند البحر». فما إن ذهب الملاك الذي كان يكلم كرنيليوس، حتى دعا اثنين من خدمه، وجندياً تقياً من مرافقيه الدائمين، وروى لهم الخبر كله، وأرسلهم إلى يافا.

وفي اليوم التالي، بينما كان الرجال الثلاثة يقتربون من مدينة يافا، صعد بطرس نحو الظهر إلى السطح ليصلي. وأحس جوعاً شديداً، فاشتهى أن يأكل. وبينما الطعام يعد له، وقعت عليه غيبوبة، فرأى رؤيا: السماء مفتوحةً، ووعاءً يشبه قطعةً كبيرةً من القماش مربوطةً بأطرافها الأربعة يتدلى إلى الأرض، وهو مليء بأنواع الحيوانات الدابة على الأرض والوحوش والزواحف وطيور السماء جميعاً. وناداه صوت: «يا بطرس، قم اذبح وكل!» ولكن بطرس أجاب: «كلا يا رب، فأنا لم آكل قط شيئاً محرماً أو نجساً». فقال له الصوت أيضاً: «ما طهره الله لا تحسبه أنت نجساً!» وتكرر هذا ثلاث مرات، ثم ارتفع الوعاء إلى السماء.

تحير بطرس وأخذ يساءل نفسه عن معنى الرؤيا التي رآها. وإذا الرجال الذين أرسلهم كرنيليوس قد سألوا عن بيت سمعان الدباغ ووقفوا بالباب يستخبرون: «هل سمعان الملقب بطرس مقيم هنا؟» في هذه الأثناء كان بطرس يواصل التفكير في معنى الرؤيا، فقال له الروح: «بالباب ثلاثة رجال يطلبونك فانزل إليهم ورافقهم بلا تردد، فإني أنا أرسلتهم». فنزل إليهم وقال: «أنا الذي تطلبون. فما سبب حضوركم؟» فأجابوه: «قائد المئة كرنيليوس رجل صالح يتقي الله،ويشهد له بذلك شعب اليهود جميعاً. وقد أوحى الله إليه بواسطة ملاك طاهر أن يستدعيك إلى بيته ليسمع ما عندك من كلام». فدعاهم بطرس ليمضوا الليلة ضيوفاً بذلك البيت. وفي الصباح ذهب معهم، يرافقه بعض الإخوة من يافا، فوصلوا قيصرية في اليوم الثاني. وكان كرنيليوس ينتظر وصولهم، وقد دعا أقاربه وأصدقاءه المقربين. فما إن دخل بطرس حتى استقبله كرنيليوس ساجداً له، فأنهضه بطرس وقال: «قم! ما أنا إلا إنسان مثلك!» ودخل بطرس وهو يحادثه، فرأى جمعاً كبيراً من الناس، فقال لهم: «أنتم تعلمون أنه محرم على اليهودي أن يتعامل مع الأجنبي أو يزوره في بيته. غير أن الله أراني ألا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس. فلذلك جئت من غير اعتراض، تلبيةً لدعوتكم. فما هو سبب دعوتكم لي؟» فأجاب كرنيليوس: «منذ أربعة أيام، في مثل هذه الساعة كنت أصلي في بيتي صلاة الساعة الثالثة بعد الظهر فظهر أمامي فجأةً رجل يلبس ثوباً براقاً وقال لي: يا كرنيليوس، سمع الله صلاتك وذكر صدقاتك. والآن أرسل رجالاً إلى يافا، واستدع سمعان الملقب بطرس. إنه يقيم في بيت سمعان الدباغ عند البحر. فأرسلت حالاً أدعوك، وقد أحسنت بمجيئك. ونحن الآن جميعاً حاضرون أمام الله لنسمع كل ما أمرك به الرب».

ـ عظة بطرس في بيت كرنيليوس:

بدأ بطرس كلامه قائلاً: «تبين لي فعلاً أن الله لا يفضل أحداً على أحد، بل يقبل من يتقيه ويعمل الصلاح مهما كانت جنسيته. وقد أرسل كلمته إلى بني إسرائيل، وبشرهم بالسلام بواسطة يسوع المسيح، رب الجميع. ولابد أنكم عرفتم بكل ما جرى في بلاد اليهود، وكان بدء الأمر في الجليل بعد المعمودية التي نادى بها يوحنا. فقد مسح الله يسوع الناصري بالروح القدس وبالقدرة، فكان يتنقل من مكان إلى مكان يعمل الخير، ويشفي جميع الذين تسلط عليهم إبليس، لأن الله كان معه. ونحن شهود على كل ما قام به في بلاد اليهود وفي أورشليم، وقد قتلوه حقاً، معلقاً على خشبة. ولكن الله أقامه من الموت في اليوم الثالث، وجعله يظهر، لا للشعب كله، بل للشهود الذين اختارهم الله من قبل، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من بين الأموات. ثم أمرنا أن نبشر شعبنا به، ونشهد أنه هو الذي عينه الله دياناً للأحياء وللأموات. له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا».

ـ حلول الروح القدس على غير اليهود:

وبينما كان بطرس يتكلم بهذا الكلام، حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون. فدهش المؤمنون اليهود الذين جاءوا برفقة بطرس، لأن هبة الروح القدس فاضت أيضاً على غير اليهود، إذ سمعوهم يتكلمون بلغات، ويسبحون الله. فقال بطرس: «أيستطيع أحد أن يمنع الماء فلا يتعمد أيضاً هؤلاء الذين نالوا الروح القدس مثلنا؟» وأمر أن يتعمدوا باسم يسوع المسيح. ثم دعوه أن يقيم عندهم بضعة أيام.

سمع الرسل والإخوة في اليهودية أن غير اليهود أيضاً قبلوا كلمة الله،فما إن عاد بطرس إلى أورشليم حتى جادله دعاة الختان، وعارضوه قائلين: «كيف دخلت بيت رجال غير مختونين، وأكلت معهم؟» فشرح لهم بطرس ما حدث على التوالي، وقال: «كنت أصلي في مدينة يافا، فوقعت علي غيبوبة، فرأيت في رؤيا وعاءً يشبه قطعةً كبيرةً من القماش مربوطةً بأطرافها الأربعة، وقد تدلى إلي من السماء. وعندما تأملته ملياً وجدت فيه أنواع الحيوانات الدابة على الأرض والوحوش والزواحف وطيور السماء جميعاً، وسمعت صوتاً يقول لي: يا بطرس، قم اذبح وكل! فأجبت: كلا يا رب، فلم يدخل فمي قط شيء محرم أو نجس. فقال لي الصوت السماوي أيضاً: ما طهره الله

لا تحسبه أنت نجساً. وتكرر هذا ثلاث مرات، ثم سحب الوعاء بما فيه إلى السماء. وإذا ثلاثة رجال مرسلون إلي من قيصرية وصلوا إلى البيت الذي كنت مقيماً فيه، فأمرني الروح أن أذهب معهم بلا تردد، فذهبت، ورافقني هؤلاء الإخوة الستة. وعند دخولنا بيت الرجل، أخبرنا كيف رأى الملاك في بيته واقفاً وقائلاً له: أرسل رجالاً إلى يافا، واستدع سمعان الملقب بطرس، وهو يكلمك كلاماً به تخلص أنت وأهل بيتك جميعاً. ولما ابتدأت أتكلم، حل الروح القدس عليهم كما حل علينا في البداية فتذكرت ما قاله الرب لنا: إن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس. فإن كان الله قد ساواهم بنا فأعطاهم الهبة التي أعطانا، إذ آمنا بالرب يسوع المسيح، فمن أكون أنا حتى أعيق الله ؟» فلما سمع المعارضون هذا، سكتوا، ومجدوا الله قائلين: «إذن، قد أنعم الله أيضاً على غير اليهود بالتوبة لنوال الحياة».

ـ كنيسة أنطاكية:

أما المؤمنون الذين تشتتوا بسبب الاضطهاد الذي وقع عليهم بعد موت إستفانوس، فمروا بفينيقية وقبرص وأنطاكية، وهم لا يبشرون بالكلمة إلا اليهود. غير أن بعضاً منهم، وهم أصلاً من قبرص والقيروان، وصلوا أنطاكية، وأخذوا يبشرون اليونانيين أيضاً بالرب يسوع. فكانت يد الرب معهم، فآمن عدد كبير واهتدوا إلى الرب.

وصل خبر ذلك إلى الكنيسة في أورشليم، فأرسلوا برنابا إلى أنطاكية. فلما وصل ورأى النعمة التي منحها الله،امتلأ فرحاً، وحث الجميع على الثبات في الرب بعزم القلب. فقد كان برنابا رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان. وانضم إلى الرب جمع كبير. وتوجه برنابا إلى طرسوس يبحث عن شاول. ولما وجده جاء به إلى أنطاكية، فكانا يجتمعان مع الكنيسة هناك سنةً كاملةً، ويعلمان جمعاً كبيراً. وفي أنطاكية أطلق على تلاميذ الرب أول مرة اسم المسيحيين. وفي تلك الأيام جاء إلى أنطاكية بعض الأنبياء من أورشليم، وبينهم نبي اسمه أغابوس، تنبأ بوحي من الروح أن مجاعةً عظيمةً ستحدث في البلاد كلها. وقد وقعت هذه المجاعة فعلاً في عهد القيصر كلوديوس. لذلك قرر التلاميذ في أنطاكية أن يتبرع كل منهم بما يتيسر له، ويرسلوا إعانةً إلى الإخوة المقيمين في اليهودية. ففعلوا ذلك، وأرسلوا الإعانة إلى الشيوخ بيد برنابا وشاول.

ـ استشهاد يعقوب:

في ذلك الوقت بدأ الملك هيرودس يضطهد بعض أفراد الكنيسة، فقتل يعقوب شقيق يوحنا بالسيف. ولما رأى أن هذا يرضي اليهود، قرر أن يقبض على بطرس أيضاً، وكان ذلك في أيام عيد الفطير. فلما قبض عليه، أودعه السجن تحت حراسة أربع مجموعات من الحراس، تتكون كل مجموعة منها من أربعة جنود. وكان ينوي أن يسلمه إلى اليهود بعد عيد الفصح، فأبقاه في السجن. أما الكنيسة فكانت ترفع الصلاة الحارة إلى الله من أجله.

ـ إنقاذ بطرس من السجن:

في الليلة التي كان هيرودس قد نوى أن يسلم بطرس بعدها، كان بطرس نائماً بين جنديين، مقيداً بسلسلتين، وأمام الباب جنود يحرسون السجن. وفجأةً حضر ملاك من عند الرب، فامتلأت غرفة السجن نوراً. وضرب الملاك بطرس على جنبه وأيقظه وقال: «قم سريعاً!» فسقطت السلسلتان من يديه. فقال له الملاك: «شد حزامك، والبس حذاءك!» ففعل. ثم قال له: «البس رداءك واتبعني!» فخرج بطرس يتبع الملاك وهو يظن أنه يرى رؤيا، ولا يدري أن ما يجري على يد الملاك أمر حقيقي. واجتازا نقطة الحراسة الأولى ثم الثانية. ولما وصلا إلى باب السجن الحديدي الذي يؤدي إلى المدينة انفتح لهما من ذاته، فخرجا. وبعدما عبرا شارعاً واحداً، فارقه الملاك حالاً.

عندئذ استعاد بطرس وعيه، فهتف: «الآن أيقنت أن الرب أرسل ملاكه فأنقذني من قبضة هيرودس، ومن توقعات شعب اليهود!» وإذ أدرك ذلك، اتجه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس، حيث كان عدد كبير من المؤمنين مجتمعين يصلون. ولما وصل قرع الباب الخارجي، فجاءت خادمة اسمها رودا لتتسمع. فلما عرفت صوت بطرس لم تفتح لشدة الفرح، بل أسرعت إلى داخل البيت تبشر الحاضرين بأن بطرس بالباب. فقالوا لها: «أنت تهذين!» ولكنها أكدت لهم الخبر، فقالوا: «لعله ملاك بطرس!» أما بطرس فواصل قرع الباب حتى فتحوا له. فلما رأوه استولت عليهم الدهشة! فأشار بيده أن يسكتوا، وحدثهم كيف أخرجه الرب من السجن، وقال: «أخبروا يعقوب والإخوة بهذا». ثم خرج وذهب إلى مكان آخر.

لما طلع الصباح حدثت بلبلة عظيمة بين الجنود، وأخذوا يتساءلون: «ما الذي

جرى لبطرس؟» ولما أمر هيرودس باستدعائه ولم يجده، أجرى تحقيقاً مع الحراس، وأمر بإعدامهم.

ـ موت هيرودس:

انتقل هيرودس من منطقة اليهودية إلى قيصرية، وأقام فيها. وكان ناقماً على أهل صور وصيدا. فاتفقوا وأرسلوا وفداً منهم يستعطفون بلاستس حاجب الملك طالبين الأمان، لأن منطقتهم كانت تكسب رزقها من مملكة هيرودس. وفي اليوم المعين لمقابلة الوفد، ارتدى هيرودس ثوبه الملوكي، وجلس على عرشه يخاطبهم. فهتف الشعب قائلين: «هذا صوت إله لا صوت إنسان!» فضربه ملاك من عند الرب في الحال لأنه لم يعط المجد لله، فأكله الدود ومات! أما كلمة الرب فكانت تنمو وتزداد انتشاراً.

وكان برنابا وشاول قد أنجزا المهمة في أورشليم، فرجعا إلى أنطاكية ومعهما يوحنا الملقب مرقس.

ـ برنابا وشاول:

كان في الكنيسة التي في أنطاكية بعض الأنبياء والمعلمين؛ ومنهم برنابا؛ وسمعان الذي يدعى الأسود؛ ولوكيوس من القيروان؛ ومناين الذي تربى في طفولته مع هيرودوس حاكم الربع؛ وشاول. وذات يوم، وهم صائمون يتعبدون للرب، قال لهم الروح القدس: «خصصوا لي برنابا وشاول لأجل العمل الذي دعوتهما إليه». فبعدما صاموا وصلوا ووضعوا عليهما أيديهم أطلقوهما.

ـ في قبرص:

وإذ أرسل الروح القدس برنابا وشاول، توجها إلى ميناء سلوكية، وسافرا بحراً باتجاه قبرص. ولما وصلا الجزيرة نزلا في سلاميس، وأخذا يبشران بكلمة الله في مجامع اليهود، وكان يرافقهما يوحنا معاوناً لهما. واجتازا الجزيرة كلها حتى وصلا بافوس. وهناك قابلا ساحراً يهودياً نبياً دجالاً، اسمه باريشوع، وكان مقرباً من سرجيوس بولس حاكم قبرص. وكان الحاكم ذكياً، فاستدعى برنابا وشاول، وطلب إليهما أن يكلماه بكلمة الله. فعارضهما الساحر عليم، وهذا معنى اسمه،

ساعياً أن يحول الحاكم عن الإيمان. أما شاول، وقد صار اسمه بولس، فامتلأ من الروح القدس، ونظر إلى الساحر وقال: «أيها الممتلئ غشاً وخبثاً! يا ابن إبليس! يا عدو كل بر! أما تكف عن تعويج طرق الرب المستقيمة؟ الآن ستمتد يد الرب عليك، فتصير أعمى لا تبصر النور إلى حين». وفي الحال سقطت على عينيه غمامة مظلمة، فأخذ يدور طالباً من يقوده بيده! ولما رأى الحاكم ما جرى آمن مدهوشاً من تعليم الرب.

ـ في أنطاكية بيسيدية:

أبحر بولس ورفيقاه من بافوس إلى برجة في بمفيلية. وهناك فارق يوحنا بولس وبرنابا ورجع إلى أورشليم. أما هما فسافرا من برجة إلى أنطاكية التابعة لمقاطعة بيسيدية. ودخلا المجمع اليهودي يوم السبت، وجلسا. وبعد قراءة من الشريعة وكتب الأنبياء، أرسل إليهما رؤساء المجمع يقولون: «أيها الأخوان، إن كان عندكما ما تعظان به المجتمعين، فتكلما». فوقف بولس، وأشار بيده، وقال: «اسمعوا: إن إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا، ورفع من شأن شعبنا طوال غربتهم في مصر، ثم أخرجهم منها بقدرة ذراعه الفائقة. وعالهم في الصحراء نحو أربعين سنةً، ثم أزال سبعة شعوب من بلاد كنعان، وأورثهم أرضها، نحو أربع مئة وخمسين سنةً. بعد ذلك، أقام لهم قضاةً كان آخرهم النبي صموئيل. فطلب إليه بنو إسرائيل أن يولي عليهم ملكاً، فأقام الله عليهم شاول بن قيس، من سبط بنيامين، فملك عليهم أربعين سنةً. ثم عزله الله،وعين بدلاً منه داود الذي شهد له بقوله: إني وجدت داود بن يسى رجلاً يوافق قلبي، سيعمل كل ما أشاء. وقد بعث الله إلى إسرائيل من نسل داود مخلصاً هو يسوع، إتماماً لوعده. وقد سبق يوحنا مجيء يسوع، فدعا شعب إسرائيل جميعاً إلى معمودية التوبة. ولما أوشك يوحنا أن ينهي مهمته، قال: من تظنونني؟ لست أنا (المخلص)، بل إنه آتٍ بعدي. ولست أستحق أن أحل رباط حذائه!

أيها الإخوة، يا بني جنس إبراهيم، ويا كل من يتقي الله من الحاضرين هنا: إلينا أرسل الله كلمة هذا الخلاص! فإن أهل أورشليم ورؤساءهم عملوا على إتمام ما يقرأ عليكم كل يوم سبت من نبوءات، وهم لا يعلمون. إذ حكموا على يسوع بالموت، ومع أنهم لم يثبتوا عليه أي جرم يستحق الموت، طلبوا من بيلاطس أن يقتله. وبعدما نفذوا فيه كل ما كتب عنه، أنزلوه عن الصليب، ودفنوه في قبر. ولكن الله أقامه من بين

الأموات، فظهر عدة أيام للذين رافقوه من منطقة الجليل إلى أورشليم. وهم الآن يشهدون بذلك أمام الشعب. وها نحن الآن نبشركم بأن ما وعد الله به آباءنا، قد أتمه لنا نحن أبناءهم، إذ أقام يسوع من الموت وفقاً لما كتب في المزمور الثاني: أنت ابني؛ أنا اليوم ولدتك. وأما أن الله قد أقام يسوع من بين الأموات ولن يدع الفساد ينال منه فيما بعد، فقد ورد في قوله: سأمنحكم البركات المقدسة الصادقة التي وعدت بها داود. ويقول داود في مزمور آخر: لن تدع وحيدك القدوس يرى فساداً. وقد مات داود بعدما خدم شعبه في عصره وفقاً لمشيئة الله،ودفن فلحق بآبائه، ونال منه الفساد. أما الذي أقامه الله فلم ينل منه الفساد قط. فاعلموا، أيها الإخوة، أنه بيسوع تبشرون بغفران الخطايا، وأنه به يتبرر كل من يؤمن من كل ما عجزت شريعة موسى أن تبرره منه. فاحذروا لئلا يحل بكم ما قيل في كتب الأنبياء: انظروا أيها المتهاونون، وتعجبوا واهلكوا! فإني أعمل في أيامكم عملاً لو حدثكم به أحد لما صدقتم!»

وفيما الحاضرون ينصرفون، طلبوا إلى بولس وبرنابا أن يعودا في السبت التالي ويحدثاهم بهذا الأمر. وتبعهما بعد الاجتماع كثيرون من اليهود والمتهودين العابدين، فأخذا يكلمانهم ويشجعانهم على الثبات في نعمة الله. وفي السبت التالي اجتمع أهل المدينة كلهم تقريباً ليسمعوا كلمة الله. فلما رأى اليهود الجموع ملأت الغيرة صدورهم، وأخذوا يعارضون كلام بولس مجدفين. فخاطبهم بولس وبرنابا بجرأة قائلين: «كان يجب أن نبلغكم أنتم أولاً كلمة الله،ولكنكم رفضتموها فأظهرتم أنكم لا تستحقون الحياة الأبدية. وها نحن نتوجه إلى غير اليهود! فقد أوصانا الرب قائلاً: قد جعلتك نوراً للأمم، لتكون سبيل خلاص إلى أقصى الأرض!»

فلما سمع غير اليهود ذلك، فرحوا جداً، ومجدوا كلمة الرب. وآمن جميع من أعدهم الله للحياة الأبدية. وهكذا انتشرت كلمة الرب في المنطقة كلها. ولكن اليهود حرضوا النساء النبيلات والمتعبدات ووجهاء المدينة، وأثاروا الاضطهاد على بولس وبرنابا، حتى طردوهما من بلدهم، فنفضا عليهم غبار أقدامهما وتوجها إلى مدينة إيقونية. أما التلاميذ، فقد امتلأوا من الفرح ومن الروح القدس.

ـ في إيقونية:

في إيقونية دخل بولس وبرنابا إلى المجمع اليهودي كعادتهما، وأخذا يتكلمان حتى آمن جمع كبير من اليهود واليونانيين. ولكن اليهود الذين لم يؤمنوا أثاروا غير

اليهود على الإخوة، وأفسدوا عقولهم. إلا أن بولس وبرنابا بقيا هناك فترةً طويلةً يبشران بالرب بكل جرأة، وأيدهما الرب شاهداً لكلمة نعمته بما أجراه على أيديهما من آيات وعجائب. فانقسم أهل إيقونية فريقين: فمنهم من كان مع اليهود، ومنهم من كان مع الرسولين. ولما أوشك غير اليهود واليهود ورؤساؤهم أن يهينوا الرسولين ويرجموهما بالحجارة، علما بذلك فهربا إلى مدينتي لسترة ودربة الواقعتين في مقاطعة ليكأونية، وإلى المنطقة المحيطة بهما، وأخذا يبشران هناك.

ـ في لسترة ودربة:

كان يقيم في مدينة لسترة كسيح مقعد منذ ولادته لم يمش قط. فإذ كان يصغي إلى حديث بولس فرأى فيه إيماناً بأنه سيشفى، فناداه بأعلى صوته: «انهض واقفاً على رجليك!» فقفز الرجل وبدأ يمشي. فلما رأى الحاضرون ما قام به بولس هتفوا باللغة الليكأونية: «اتخذ الآلهة صورة بشر ونزلوا بيننا!» ثم دعوا برنابا زفس وبولس هرمس، لأنه كان يدير الحديث. وكان عند مدخل المدينة معبد للصنم زفس، فجاء كاهنه على رأس جمع من المدينة، وهم يحملون أكاليل الزهور ويجرُّون الثيران ليقدموها ذبيحةً لبولس وبرنابا. فلما سمع الرسولان بذلك مزقا ثيابهما، وأسرعا إلى المجتمعين وهما يصرخان: «لماذا تفعلون هذا أيها الناس؟ ما نحن إلا بشر ضعفاء مثلكم، نبشركم بأن ترجعوا عن هذه الأشياء الباطلة إلى الله الحي صانع السماء والأرض والبحر، وكل ما فيها، وقد ترك الأمم في العصور الماضية يسلكون في طرقهم، مع أنه لم يتركهم دون شاهد يدلهم عليه. فهو مازال ينعم عليكم بالخير، ويرزقكم من السماء أمطاراً ومواسم مثمرةً، ويشبعكم طعاماً ويملأ قلوبكم سروراً». بهذا الكلام تمكنا بعد جهد من إقناع الجموع بعدم تقديم الذبائح لهما. بعد ذلك جاء بعض اليهود من أنطاكية وإيقونية، واستمالوا الجموع، فرجموا بولس حتى ظنوا أنه مات، وجروه إلى خارج المدينة. ولما أحاط به التلاميذ، قام وعاد إلى المدينة. وفي اليوم التالي سافر مع برنابا إلى دربة، وبشرا أهلها، فصار كثيرون منهم تلاميذ للرب. ثم رجعا إلى لسترة، ومنها إلى إيقونية، وأخيراً إلى أنطاكية. وفي هذه الأماكن كلها كانا يشددان عزيمة التلاميذ، ويحثانهم على الثبات في الإيمان، مؤكدين لهم أن دخول ملكوت الله يقتضي أن نقاسي صعوبات كثيرة. وعينا للتلاميذ شيوخاً في كل كنيسة. ثم صليا بأصوام وأسلما الجميع وديعةً بين يدي الرب الذي آمنوا به.

ـ العودة إلى أنطاكية في سورية:

ثم سافرا من مقاطعة بيسيدية، ووصلا إلى بمفيلية. وبشرا بكلمة الله في برجة، ثم سافرا إلى أتالية. ومن هناك عادا بحراً إلى مدينة أنطاكية، حيث كان المؤمنون قد أسلموهما إلى نعمة الله ليقوما بالعمل الذي قد أنجزاه. ولما وصلا، استدعيا الكنيسة إلى الاجتماع، وأخبرا بكل ما فعل الله بواسطتهما، وبأنه فتح باب الإيمان لغير اليهود. وأقاما مع التلاميذ هناك مدةً طويلةً.

ـ مشكلة في أنطاكية:

جاء بعض اليهود (الذين كانوا قد آمنوا بالمسيح) من منطقة اليهودية إلى أنطاكية، وأخذوا يعلمون الإخوة قائلين: «لا يمكنكم أن تخلصوا ما لم تختتنوا حسب شريعة موسى» فجادلهم بولس وبرنابا جدالاً عنيفاً. وبعد المناقشة قرر مؤمنو أنطاكية أن يذهب بولس وبرنابا مع بعض المؤمنين ليقابلوا الرسل والشيوخ في أورشليم، ويبحثوا معهم في هذه القضية. وبعدما ودعتهم الكنيسة، سافروا إلى أورشليم مروراً بمدن فينيقية والسامرة، مخبرين الإخوة فيها بأن غير اليهود أيضاً قد اهتدوا إلى المسيح، فأشاعوا بذلك فرحاً كبيراً بين الإخوة جميعاً. ولما وصلوا إلى أورشليم، رحبت بهم الكنيسة بمن فيها من رسل وشيوخ، فأخبروهم بكل ما فعل الله بواسطتهم. ولكن بعض الذين كانوا على مذهب الفريسيين، ثم آمنوا، وقفوا وقالوا: «يجب أن يختتن المؤمنون من غير اليهود ويلزموا أن يعملوا بشريعة موسى».

ـ مجمع أورشليم وخطبة بطرس:

عقد الرسل والشيوخ اجتماعاً لدراسة هذه القضية. وبعد نقاش كثير، وقف بطرس وقال: «أيها الإخوة، أنتم تعلمون أنه منذ مدة طويلة شاء الله أن يسمع غير اليهود كلمة البشارة على لساني ويؤمنوا. وقد شهد الله العليم بما في القلوب على قبوله لهم إذ وهبهم الروح القدس كما وهبنا إياه. فهو لم يفرق بيننا وبينهم في شيء، إذ طهر بالإيمان قلوبهم. فلماذا تعارضون الله فتحملون تلاميذ الرب عبئاً ثقيلاً عجز الآباء وعجزنا نحن عن حمله؟ فنحن نؤمن بأننا نخلص، كما يخلصون هم، بنعمة الرب يسوع». عندئذ توقف الجدال بين الحاضرين، وأخذوا يستمعون إلى برنابا وبولس وهما يخبرانهم بما أجراه الله بواسطتهما من علامات وعجائب بين غير اليهود.

بعد انتهائهما من الكلام، قال يعقوب: «استمعوا لي أيها الإخوة: أخبركم سمعان

كيف تفقد الله منذ البداية غير اليهود ليتخذ من بينهم شعباً يحمل اسمه؛ وتوافق هذا أقوال الأنبياء، كما جاء في الكتاب. سأعود من بعد هذا وأبني خيمة داود المنهدمة ثم أقيم أنقاضها وأبنيها من جديد، لكي يسعى إلى الرب باقي الناس وجميع الشعوب التي تحمل اسمي، يقول الرب، فاعل هذه الأمور المعروفة لديه منذ الأزل. لذلك أرى أن لا نضع عبئاً على المهتدين إلى الله من غير اليهود، بل نكتب إليهم رسالةً نوصيهم فيها بأن يمتنعوا عن الأكل من الذبائح النجسة المقربة للأصنام، وعن ارتكاب الزنى، وعن تناول لحوم الحيوانات المخنوقة، وعن الدم. فإن لموسى، منذ القدم، أتباعاً في كل مدينة، يقرأون شريعته ويبشرون بها في المجامع كل سبت».

عند ذلك أجمع الرسل والشيوخ والجماعة كلها على اختيار رجلين من الإخوة يرسلونهما إلى أنطاكية مع بولس وبرنابا. فاختاروا يهوذا، الملقب برسابا، وسيلا، وكان لهما مكانة رفيعة بين الإخوة. وسلموهم قرار المجمع.

ـ قرار المجمع:

«من الرسل والشيوخ والإخوة، إلى الإخوة المؤمنين من غير اليهود في مقاطعات أنطاكية وسورية وكيليكية: سلام! علمنا أن بعض الأشخاص ذهبوا من عندنا إليكم، دون تفويض منا فأثاروا بكلامهم الاضطراب بينكم وأقلقوا أفكاركم. ،فأجمعنا برأي واحد على أن نختار رجلين قد كرسا حياتهما لاسم ربنا يسوع المسيح نرسلهما إليكم مع أخوينا الحبيبين برنابا وبولس. فأرسلنا يهوذا وسيلا، ليبلغاكم الرسالة نفسها شفاهاً. فقد رأى الروح القدس ونحن، أن لا نحملكم أي عبء فوق ما يتوجب عليكم. إنما عليكم أن تمتنعوا عن الأكل من الذبائح المقربة للأصنام، وعن تناول الدم ولحوم الحيوانات المخنوقة، وعن ارتكاب الزنى. وتحسنون عملاً إن حفظتم أنفسكم من هذه الأمور. عافاكم الله!»

فانطلق حاملو الرسالة، وسافروا إلى أنطاكية، حيث دعوا الجماعة إلى الاجتماع، وقدموا إليهم الرسالة. ولما قرأوها فرحوا بما فيها من تشجيع. وكان يهوذا وسيلا نبيين أيضاً، فوعظا الإخوة كثيراً، وشددا عزيمتهم. وبعد مدة من الزمن صرفهما الإخوة في أنطاكية بسلام إلى الذين أرسلوهما. ولكن سيلا استحسن البقاء في أنطاكية، فعاد يهوذا وحده. وبقي هناك أيضاً بولس وبرنابا يعلمان ويبشران بكلمة الرب، يعاونهما آخرون كثيرون.

ـ بولس وبرنابا يفترقان:

بعد بضعة أيام قال بولس لبرنابا: «هيا نرجع لنتفقد الإخوة ونطلع على أحوالهم في كل مدينة بشرنا فيها بكلمة الرب». فاقترح برنابا أن يأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس. ولكن بولس رفض أن يأخذاه معهما، لأنه كان قد فارقهما في بمفيلية، ولم يرافقهما في الخدمة. فوقعت بينهما مشاجرة حتى انفصل أحدهما عن الآخر. فأخذ برنابا مرقس وسافر بحراً إلى قبرص، واختار بولس أن يرافقه سيلا. فأسلمه الإخوة إلى نعمة الله،فسافر في مقاطعتي سورية وكيليكية يشدد الكنائس.

ـ تيموثاوس يرافق بولس وسيلا:

وصل بولس إلى دربة، ثم إلى لسترة، وكان فيها تلميذ اسمه تيموثاوس، أمه يهودية كانت قد آمنت بالمسيح، وأبوه يوناني. وكان الإخوة في لسترة وإيقونية يشهدون لتيموثاوس شهادةً حسنةً. فأحب بولس أن يصحبه في التبشير. ولأن يهود تلك المنطقة كانوا يعرفون أن أباه يوناني، فقد أخذه بولس وختنه. وأخذ بولس ورفاقه ينتقلون من مدينة إلى أخرى، يبلغون المؤمنين التوصيات التي أقرها الرسل والشيوخ في أورشليم، لكي يعملوا بها. فكانت الكنائس تتقوى في الإيمان، ويزداد عددها يوماً بعد يوم.

ـ اعبر إلى مقدونية وانجدنا:

منعهم الروح القدس من التبشير في مقاطعة أسيا، فسافروا في مقاطعتي فريجية وغلاطية. ولما وصلوا حدود مقاطعة ميسيا، اتجهوا نحو مقاطعة بيثينية، ولكن روح يسوع لم يسمح لهم بالدخول إليها، فتوجهوا إلى مدينة ترواس مروراً بميسيا. وفي تلك الليلة رأى بولس في رؤيا رجلاً من أهل مقدونية يتوسل إليه ويقول: «اعبر إلى مقدونية وأنجدنا!»

ـ بولس وسيلا في فيلبي:

عندئذ تأكدنا أن الرب دعانا للتبشير في مقدونية. فاتجهنا إليها في الحال. فأبحرنا من ميناء ترواس إلى جزيرة ساموثراكي. وفي اليوم التالي تابعنا السفر إلى ميناء نيابوليس، ومنها إلى مدينة فيلبي، وهي كبرى مدن مقاطعة مقدونية، ومستعمرة للرومان. فبقينا فيها بضعة أيام. وفي يوم السبت ذهبنا إلى ضفة نهر في إحدى ضواحي المدينة حيث جرت العادة أن تقام الصلاة. فجلسنا نكلم النساء المجتمعات، ومن بينهن تاجرة

أرجوان من مدينة ثياتيرا، متعبدة لله، اسمها ليدية، كانت تسمع ففتح الله قلبها لتقبل كلام بولس. فلما تعمدت هي وأهل بيتها، دعتنا بإلحاح لقبول ضيافتها قائلةً: «إن كنتم قد حكمتم أني مؤمنة بالرب، فانزلوا ضيوفاً ببيتي». فاضطرتنا إلى قبول دعوتها.

- إخراج روح عرافة:

ذات يوم كنا ذاهبين إلى الصلاة، فالتقت بنا خادمة يسكنها روح عرافة، كانت تكسب سادتها ربحاً كثيراً من عرافتها، فأخذت تسير وراء بولس ووراءنا صارخةً: «هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي، يعلنون لكم طريق الخلاص». وظلت تفعل هذا أياماً كثيرةً، حتى تضايق بولس كثيراً، فالتفت وقال للروح الذي فيها: «باسم يسوع المسيح، آمرك أن تخرج منها!» فخرج حالاً.

- بولس وسيلا في السجن:

لما رأى سادتها أن مورد رزقهم قد انقطع، قبضوا على بولس وسيلا، وجروهما إلى ساحة المدينة للمحاكمة، وقدموهما إلى الحكام قائلين: «هذان الرجلان يثيران الفوضى في المدينة؛ فهما يهوديان يناديان بتقاليد لا يجوز لنا نحن الرومانيين أن نقبلها أو نعمل بها!» فثار الجمع عليهما، ومزق الحكام ثيابهما وأمروا بجلدهما، فجلدوهما كثيراً وألقوهما في السجن، وأمروا ضابط السجن بتشديد الحراسة عليهما. ونفذ ضابط السجن هذا الأمر المشدد. فزج بهما في السجن الداخلي، وأدخل أرجلهما في مقطرة خشبية. ونحو منتصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله،والمسجونون يسمعونهما، وفجأةً حدث زلزال شديد هز أركان السجن، فانفتحت جميع أبوابه حالاً، وسقطت قيود السجناء كلهم. وأيقظ الزلزال ضابط السجن. فلما رأى الأبواب مفتوحةً ظن أن السجناء هربوا، فاستل سيفه ليقتل نفسه، ولكن بولس صاح به بأعلى صوته: «لا تمس نفسك بسوء، فنحن جميعاً هنا!» فطلب ضوءاً، واندفع إلى الداخل وهو يرتجف خوفاً، وارتمى أمام بولس وسيلا، ثم أخرجهما خارجاً وسألهما: «يا سيدي، ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟» فأجاباه: «آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك!» ثم بشراه وأهل بيته جميعاً بكلمة الرب. فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسل جراحهما وتعمد حالاً هو وأهل بيته جميعاً. ثم ذهب بهما إلى بيته وبسط لهما مائدةً. وابتهج مع أهل بيته جميعاً، إذ كان قد آمن بالله.

ولما طلع الصباح أرسل الحكام بعض رجال الشرطة ليبلغوا ضابط السجن أمر الإفراج عن بولس وسيلا. فأخبر الضابط بولس بالأمر، قائلاً: «أرسل الحكام أمراً بالإفراج عنكما فاخرجا الآن واذهبا بسلام!» فاحتج بولس قائلاً: «جلدونا أمام الناس بغير محاكمة، مع أننا نحمل الجنسية الرومانية، وزجوا بنا في السجن. فكيف يطلقون سراحنا الآن سراً! كلا! بل ليأتوا هم ويطلقوا سراحنا!» وأخبر رجال الشرطة الحكام بهذا الاعتراض، فخافوا حين علموا أنهما رومانيان، فجاءوا يعتذرون إليهما، وأطلقوهما طالبين إليهما أن يغادرا المدينة. فخرج بولس وسيلا من السجن وتوجها إلى بيت ليدية، حيث قابلا الإخوة وشجعاهم، ثم غادرا المدينة.

ـ في تسالونيكي:

وصل بولس وسيلا إلى تسالونيكي بعدما مرا بأمفيبوليس وأبولونية. وكان في تسالونيكي مجمع لليهود. فذهب إليه كعادته، وناقشهم لثلاثة سبوت، مستنداً إلى الكتاب، وشرح لهم مبيناً أن المسيح كان لابد أن يتألم ويقوم من بين الأموات، وأن «المسيح الذي تنتظرونه هو يسوع الذي أبشركم به الآن!» فاقتنع بعض الحاضرين وانضموا إلى بولس وسيلا. وكان بينهم عدد كبير من اليونانيين المتعبدين لله وكثيرات من النساء النبيلات. فأثار ذلك حسد اليهود الذين لم يؤمنوا، فأتوا ببعض الأشرار من أبناء الشارع، وجمعوا جمهوراً وأخذوا يحرضون الناس حتى أثاروا الفوضى في المدينة، ثم هجموا على بيت ياسون مطالبين بتسليم بولس وسيلا إلى الجمع. ولما لم يجدوهما هناك جروا ياسون وبعض الإخوة واقتادوهم إلى حكام المدينة، واشتكوا عليهم صارخين: «إن هذين الرجلين اللذين قلبا الدنيا، قد جاءا إلى مدينتنا أيضاً، فاستضافهما ياسون. وهم جميعاً يخالفون أوامر القيصر، وينادون بملك آخر اسمه يسوع». فأحدثوا انزعاجاً لدى الجمع والحكام عندما سمعوا هذا. فقبض الحكام كفالةً من ياسون ومن معه ثم أفرجوا عنهم.

ـ في بيرية:

وفي الليل رحل الإخوة بولس وسيلا حالاً إلى بيرية. ولما وصلا إليها، ذهبا إلى مجمع اليهود فيها. وكان يهود بيرية أشرف من يهود تسالونيكي، فقبلوا كلمة الله برغبة شديدة، وأخذوا يدرسون الكتاب يومياً ليتأكدوا من صحة التعليم. فآمن عدد كبير منهم، كما آمن من اليونانيين نساء نبيلات وعدد كبير من الرجال. وعرف يهود تسالونيكي أن

بولس يبشر بكلمة الله في بيرية، فلحقوا به وبدأوا يحرضون الجموع ليثوروا عليه. وفي الحال أخذ بعض الإخوة بولس نحو البحر ليسافر، وبقي سيلا وتيموثاوس هناك. ورافق الإخوة بولس حتى أوصلوه إلى أثينا، ثم رجعوا بعدما أوصاهم بولس بأن يلحق به سيلا وتيموثاوس بأسرع ما يمكن.

ـ في أثينا:

وبينما كان بولس ينتظرهما في أثينا رأى المدينة مملوءةً أصناماً فتضايقت روحه. وأخذ يخاطب اليهود والمتعبدين في المجمع، ومن يلقاهم كل يوم في ساحة المدينة. وجرت مناقشة بينه وبين بعض الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين. ولما وجدوا أنه يبشر بيسوع والقيامة من الموت قال بعضهم: «ماذا يعني هذا المدعي الأحمق بكلامه؟» وقال آخرون: «يبدو أنه ينادي بآلهة غريبة». ثم قادوه إلى تلة أريوباغوس (حيث مجلس المدينة) وسألوه: «هل لنا أن نعرف ما هو المذهب الجديد الذي تنادي به؟ إننا نسمع منك أقوالاً غريبةً نريد أن نعرف معناها». وكان أهل أثينا والأجانب الساكنون فيها لا يمضون أوقات فراغهم إلا في مناقشة الأفكار الجديدة.

ـ حديث في الأريوباغوس:

وقف بولس في وسط الأريوباغوس، وقال: «يا أهل أثينا، أراكم متدينين كثيراً في كل أمر. فبينما كنت أتجول في مدينتكم وأنظر إلى معابدكم وجدت معبداً مكتوباً عليه «إلى الإله المجهول». فبهذا الإله الذي تعبدونه ولا تعرفونه، أنا أبشركم. إنه الله الذي خلق الكون وكل ما فيه، وهو الذي لا يسكن في معابد بنتها أيدي البشر، لأنه رب السماء والأرض، وليس بحاجة إلى خدمة يقدمها له الناس. فإنه يهب جميع الخلق الحياة والنفس وكل شيء. وقد أخرج الشعوب جميعاً من أصل واحد، وأسكنهم بلاد الأرض كلها، وحدد مسبقاً أزمنة وجودهم وحدود أوطانهم، لكي يبحثوا عن الله لعلهم يتلمسونه فيهتدوا إليه! فإنه ليس بعيداً عن كل واحد منا، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، أو كما قال بعض شعرائكم: نحن أيضاً ذريته! فما دمنا ذرية الله،فيجب ألا ننظر إلى الألوهية كأنها صنم من ذهب أو فضة أو حجر يستطيع إنسان أن ينحته أو يصوغه كما يتخيل! فالله الآن يدعو جميع الناس في كل مكان أن يرجعوا إليه تائبين، وقد غض النظر عن أزمنة الجهل التي مرت، لأنه حدد يوماً يدين فيه العالم بالعدل على يد رجل اختاره لذلك. وقد قدم للجميع برهاناً، إذ أقامه من بين الأموات».

وما إن سمع الحاضرون بالقيامة من بين الأموات حتى بدأ بعضهم يستهزئون. ولكن آخرين قالوا لبولس: «نود أن تحدثنا في هذا الموضوع ثانيةً». وهكذا خرج بولس من بينهم. ولكن بعضهم انضموا إلى بولس وآمنوا ومنهم ديونيسيوس، وكان عضواً في مجلس أريوباغوس، وامرأة اسمها داماريس، وآخرون غيرهما.

ـ في كورنثوس:

بعد ذلك ترك بولس أثينا، وسافر إلى مدينة كورنثوس. فالتقى هناك بيهودي اسمه أكيلا، من مواليد بنطس، كان قد جاء حديثاً مع زوجته بريسكلا من إيطالية، لأن القيصر كلوديوس أمر بطرد اليهود من روما، فقصد بولس إليهما. وإذ كان من أهل مهنتهما، وهي صناعة الخيام، أقام عندهما وكان يشتغل معهما. وكان في كل سبت يناقش الحاضرين في المجمع لإقناع اليهود واليونانيين. ولما وصل سيلا وتيموثاوس من مقاطعة مقدونية، تفرغ بولس تماماً للتبشير، شاهداً لليهود أن يسوع هو المسيح. ولكنهم عارضوا شهادته وأخذوا يجدفون. فما كان منه إلا أن نفض ثوبه وقال لهم: «دمكم على رؤوسكم. أنا بريء! ومنذ الآن أتوجه لتبشير غير اليهود». ثم ترك بولس مكان إقامته، ونزل ضيفاً ببيت رجل غير يهودي يتعبد لله، اسمه تيطس يوستس، كان بيته ملاصقاً للمجمع. فآمن كريسبس رئيس المجمع بالرب، هو وأهل بيته جميعاً. وسمع كثيرون من أهل كورنثوس تبشير بولس، فآمنوا وتعمدوا.

ـ تكلم ولا تسكت:

ذات ليلة رأى بولس الرب في رؤيا يقول له: «لا تخف، بل تكلم ولا تسكت، فأنا معك، ولن يقدر أحد أن يؤذيك، لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة». فبقي بولس في كورنثوس سنةً وستة أشهر يعلم الناس كلمة الله. ولما كان الحاكم الروماني غاليون يتولى الحكم على بلاد أخائية، تجمع اليهود ضد بولس برأي واحد، وساقوه إلى المحكمة، واشتكوا عليه قائلين: «هذا الرجل يحاول إقناع الناس بأن يعبدوا الله بطريقة تخالف شريعتنا». وكاد بولس أن يبدأ دفاعه لولا أن غاليون قال لليهود: «أيها اليهود، لو كانت القضية جريمةً أو ذنباً، لكنت أحتملكم كما يقضي العدل. ولكن مادامت القضية جدلاً في ألفاظ وأسماء وفي شريعتكم، فعليكم أن تعالجوها بأنفسكم. أنا لا أريد أن أحكم في هذه القضايا!» ثم طردهم من المحكمة، فأخذوا سوستانيس رئيس المجمع وضربوه أمام المحكمة، ولكن غاليون لم يهمه شيء من ذلك!

ـ عودة بولس إلى أنطاكية:

بقي بولس في كورنثوس فترةً طويلةً، ثم ودع الإخوة وسافر بحراً متجهاً إلى سورية ومعه بريسكلا وأكيلا، بعدما حلق رأسه في مدينة كنخريا، إذ كان عليه نذر. فلما وصلوا إلى أفسس تركهما بولس فيها، ودخل مجمع اليهود وخطب فيهم. فطلبوا منه أن يقضي عندهم فترةً أطول، فلم يقبل، وودعهم قائلاً: «سأعود إليكم إن شاء الله!» ثم سافر بحراً من أفسس، ونزل في ميناء قيصرية فصعد وسلم على الكنيسة، ثم نزل إلى مدينة أنطاكية، فأمضى فيها بعض الوقت. ثم طاف مقاطعتي غلاطية وفريجية متنقلاً من بلدة إلى أخرى وهو يشدد عزيمة التلاميذ جميعاً.

ـ أبلوس في أفسس وأخائية:

جاء إلى أفسس يهودي اسمه أبلوس، إسكندري المولد، فصيح اللسان، خبير في الكتاب. كان قد تلقن طريق الرب. فبدأ يخطب بحماسة شديدة، ويعلم الحقائق المختصة بيسوع تعليماً صحيحاً. ومع أنه لم يكن يعرف سوى معمودية يوحنا، فقد أخذ يتكلم في المجمع بجرأة. فسمعه أكيلا وبريسكلا، فأخذاه إليهما وأوضحا له طريق الله بأكثر دقة. وقرر أبلوس أن يسافر إلى بلاد أخائية فشجعه الإخوة وكتبوا إلى التلاميذ هناك أن يرحبوا به. ولما وصل إلى هناك أعان الذين كانوا قد آمنوا إعانةً كبرى بما له من النعمة: فقد كان جريئاً في مجادلاته العلنية مع اليهود، وكان يفحمهم مستنداً إلى الكتاب فيثبت أن يسوع هو المسيح.

ـ بولس في أفسس:

وبينما كان أبلوس في كورنثوس وصل بولس إلى أفسس، بعدما مر بالمناطق الداخلية من البلاد. وهناك وجد بعض التلاميذ، فسألهم: «هل نلتم الروح القدس عندما آمنتم؟» أجابوه: «لا! حتى إننا لم نسمع بوجود الروح القدس!» فسأل: «إذن على أي أساس قد تعمدتم؟» أجابوا: «على أساس معمودية يوحنا!» فقال بولس: «كان يوحنا يعمد بمعمودية التوبة، ويدعو الشعب إلى الإيمان بالآتي بعده، أي بيسوع». فلما سمعوا هذا تعمدوا باسم الرب يسوع. وما إن وضع بولس يديه عليهم حتى حل عليهم الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات أخرى ويتنبأون. وكان عددهم نحو اثني عشر رجلاً.

وأخذ بولس يداوم على الذهاب إلى المجمع مدة ثلاثة أشهر، يتكلم بجرأة فيناقش الحاضرين ويحاول إقناعهم بالحقائق المختصة بملكوت الله. ولكن بعضهم عاندوا ولم يقتنعوا، وأخذوا يشتمون الطريق أمام المجتمعين. فانفصل بولس عنهم، وانفرد بالتلاميذ، وبدأ يعقد مناقشات كل يوم في مدرسة رجل اسمه تيرانوس، وداوم على ذلك مدة سنتين. وهكذا وصلت كلمة الرب إلى جميع سكان مقاطعة أسيا من اليهود واليونانيين. وكان الله يجري معجزات خارقةً على يد بولس، حتى صار الناس يأخذون المناديل أو المآزر التي مست جسده، ويضعونها على المرضى، فتزول أمراضهم وتخرج الأرواح الشريرة منهم.

ـ أبناء سكاوا:

حاول بعض اليهود الجوالين الذين يحترفون طرد الأرواح الشريرة، أن يستغلوا اسم الرب يسوع، قائلين: «نطردك باسم يسوع الذي يبشر به بولس!» وكان بين هؤلاء سبعة أبناء لواحد من الكهنة اسمه سكاوا، فأجابهم الروح الشرير: «يسوع أنا أعرفه، وبولس أفهمه. ولكن، من أنتم؟» ثم هجم عليهم الرجل الذي به الروح الشرير، فتمكن منهم وغلبهم، فهربوا من البيت الذي كانوا فيه، عراةً مجروحين. فانتشر خبر ذلك بين اليهود واليونانيين الساكنين في أفسس، فاستولت الرهبة على الجميع. وتمجد اسم الرب يسوع. فجاء كثيرون من الذين كانوا قد آمنوا يعترفون ويخبرون بما كانوا يعملون. وأخذ كثيرون من المشتغلين بالسحر يجمعون كتبهم ويحرقونها أمام الجميع. وقد حسب ثمنها، فتبين أنه خمسون ألف قطعة من الفضة. بهذه الصورة كانت كلمة الرب تنتشر وتقوى باقتدار.

ـ اضطراب خطير في أفسس:

بعد حدوث هذه الأمور، عزم بولس على السفر إلى أورشليم مروراً بمقاطعتي مقدونية وأخائية، قائلاً: «لابد لي بعد إقامتي فيها من زيارة روما أيضاً!» فأرسل إلى مقدونية اثنين من معاونيه، هما تيموثاوس وأرسطوس، وبقي مدةً من الزمن في مقاطعة أسيا. في تلك المدة وقع اضطراب خطير في أفسس بسبب الطريق. فإن صائغاً اسمه ديمتريوس كان يصنع نماذج فضيةً صغيرةً لمعابد الإلهة أرطاميس، فيعود ذلك عليه وعلى عماله بربح وفير، دعا عماله وأهل مهنته، وقال لهم: «تعلمون أيها الرجال أن عيشنا الرغيد يعتمد على صناعتنا هذه، وقد رأيتم وسمعتم أن بولس هذا أضل عدداً

كبيراً من الناس، لا في أفسس وحدها، بل في مقاطعة أسيا كلها تقريباً، وأقنعهم بأن الآلهة التي تصنعها الأيدي ليست بآلهة. وهذا لا يهدد صناعتنا بالكساد وحسب، بل يعرض معبد أرطاميس إلهتنا العظمى لفقدان هيبته. فنخشى أن تتلاشى كرامتها وتنهار عظمتها، وهي التي يتعبد لها سكان أسيا جميعاً، بل العالم كله!» فلما سمع العمال هذا الكلام تملكهم الغضب وبدأوا يصرخون: «عظيمة أرطاميس إلهة أهل أفسس!» وعم الاضطراب المدينة كلها. وهجم حشد كبير من الناس على غايوس وأرسترخس المقدونيين رفيقي بولس في السفر، وجروهما إلى ساحة الملعب.

أراد بولس أن يواجه الجمهور، ولكن التلاميذ منعوه من ذلك، كما أرسل إليه أصدقاؤه من وجهاء أسيا يرجون منه ألا يعرض نفسه لخطر الذهاب إلى الملعب، فقد كان الأمر مختلطاً على الجمهور، بعضهم يصرخ بشيء، وبعضهم يصرخ بشيء آخر، حتى إن أكثرهم لم يكونوا يعرفون سبب تجمعهم. وكان بين الجمهور يهودي اسمه إسكندر، دفعه اليهود إلى الأمام، ودعاه بعضهم إلى الكلام. فأشار بيده يريد أن يلقي على الشعب كلمة دفاع. لكن المحتشدين عرفوا أنه يهودي، فأخذوا يهتفون معاً هتافاً واحداً ظلوا يرددونه نحو ساعتين: «عظيمة أرطاميس إلهة أهل أفسس!»

أخيراً تمكن كاتب المدينة من تهدئة الحشود، وقال: «يا أهل أفسس، من ينكر أن أفسس هي المدينة الحارسة لهيكل أرطاميس الإلهة العظيمة، ولصنمها الذي هبط من السماء؟ فلأنه لا خلاف في هذا الأمر، يجب أن تهدأوا ولا تفعلوا شيئاً بتسرع. فقد أحضرتم هذين الرجلين، مع أنهما لم يسرقا المعبد ولم يشتما إلهتكم. أما إذا كان لديمتريوس وزملاء مهنته شكوى، فإن عندنا محاكم وقضاةً. فليتقدموا بشكواهم إلى القضاة. وإذا كان لكم شكوى أخرى، فإن النظر فيها يتم في جلسة قانونية. أما الآن فكلنا معرضون للمحاكمة بتهمة افتعال الاضطراب، بسبب ما حدث اليوم، ونحن لا نملك حجةً نبرر بها التجمع!» وبقوله هذا صرف المحتشدين.

ـ في مقدونية واليونان:

بعدما انتهى الاضطراب، دعا بولس التلاميذ وشجعهم، ثم ودعهم وسافر إلى مقاطعة مقدونية، وتجول فيها يعظ ويشجع التلاميذ في كل مكان. وأخيراً وصل إلى اليونان، وقضى فيها ثلاثة أشهر. وبينما كان يستعد للسفر بحراً إلى سورية، عرف أن اليهود يدبرون مؤامرةً لقتله. فقرر أن يعود بطريق مقدونية. ورافقه في السفر سوباترس بن

برس من بيرية؛ وأرسترخس وسكوندس من تسالونيكي؛ وغايوس وتيموثاوس من دربة، وتيخيكس وتروفيمس من مقاطعة أسيا. هؤلاء سبقونا مع بولس وانتظرونا في ترواس. وبعد عيد الفطير اليهودي سافرنا نحن من فيلبي، بطريق البحر، فوصلنا ترواس بعد خمسة أيام، فلحقنا بهم، وبقينا هناك سبعة أيام.

ـ بولس يقيم أفتيخوس في ترواس:

في أول يوم من الأسبوع، إذ اجتمعنا لنكسر الخبز، أخذ بولس يعظ المجتمعين. ولما كان ينوي السفر في اليوم التالي، أطال وعظه إلى منتصف الليل. وكان اجتماعنا في غرفة بالطبقة العليا، وقد أشعلت فيها مصابيح كثيرة. وكان شاب اسمه أفتيخوس قد جلس على النافذة، فغلب عليه النوم العميق، وبولس ماض في حديثه الطويل، فسقط من الطبقة الثالثة وحمل ميتاً. فنزل بولس وارتمى عليه، وطوقه بذراعيه وقال: «لا تقلقوا! ما تزال حياته فيه!» وبعدما صعد بولس وكسر الخبز وأكل، ثم تابع حديثه إلى الفجر، سافر براً (إلى أسوس). أما الشاب فجاءوا به حياً، فكان لهم في ذلك عزاء عظيم.

ـ من ترواس إلى ميليتس:

وأما نحن فسبقنا بولس وتوجهنا إلى أسوس بطريق البحر، حيث انتظرنا وصوله حسب الخطة التي كان قد رسمها بأن يوافينا سيراً على قدميه. فلما لحق بنا، أصعدناه إلى السفينة، وأبحرنا إلى ميناء ميتيليني وتابعنا السفر فوصلنا في اليوم التالي أمام جزيرة خيوس. وفي اليوم الثالث مررنا بالقرب من جزيرة ساموس، ووصلنا ميليتس في اليوم الرابع. وكان بولس قد قرر أن يتجاوز أفسس في البحر لكي لا يتأخر في مقاطعة أسيا، فقد كان يريد السرعة لعله يتمكن من الوصول إلى أورشليم في يوم الخمسين.

ـ حديث بولس لشيوخ أفسس:

من ميليتس أرسل بولس إلى أفسس يستدعي شيوخ الكنيسة. فلما جاءوا إليه، قال لهم: «تعلمون كيف كان تصرفي معكم طوال المدة التي قضيتها بينكم، منذ أول يوم دخلت فيه مقاطعة أسيا. فقد كنت أخدم الرب بكل تواضع، وبكثير من الدموع، وأنا أعاني المحن التي أصابتني بها مؤامرات اليهود. وما قصرت في شيء يمكن أن يعود عليكم بالفائدة إلا وكنت أعلنه لكم وأعلمكم به علناً ومن بيت إلى بيت. فكنت أحث

اليهود واليونانيين على أن يتوبوا إلى الله ويؤمنوا بربنا يسوع. وأنا اليوم ذاهب إلى أورشليم، مدفوعاً بالروح، ولا أعلم ماذا ينتظرني هناك. إلا أن الروح القدس كان يعلن لي في كل مدينة أذهب إليها أن السجن والمصاعب تنتظرني ولكني لا أحسب لحياتي أية قيمة، ما دمت أسعى إلى بلوغ غايتي وإتمام الخدمة التي كلفني إياها الرب يسوع: أن أشهد ببشارة نعمة الله. وأنا أعلم أنكم لن تروا وجهي بعد اليوم، أنتم الذين تجولت بينكم جميعاً مبشراً بملكوت الله. لذلك أشهد لكم اليوم أني بريء من دمكم جميعاً، لأني لم أمتنع عن إبلاغكم جميع مقاصد الله.

فاسهروا إذن على أنفسكم وعلى جميع القطيع الذي عينكم بينه الروح القدس نظاراً، لترعوا كنيسة الله التي اشتراها بدمه. فإني أعلم أنه بعد رحيلي سيندس بينكم ذئاب خاطفة، لا تشفق على القطيع. بل إن قوماً منكم أنتم سيقومون ويعلمون تعاليم منحرفةً، ليجروا التلاميذ وراءهم. لذلك كونوا متيقظين، وتذكروا أني، مدة ثلاث سنين، لم أتوقف ليلاً ونهاراً عن نصح كل واحد منكم وأنا أذرف الدموع. والآن أسلمكم إلى الله وإلى كلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً تشتركون فيه مع جميع المقدسين لله. ما اشتهيت يوماً فضةً ولا ذهباً ولا ثوباً من عند أحد. وأنتم تعلمون أني اشتغلت بيدي هاتين لأسد حاجاتي وحاجات مرافقي. وقد أظهرت لكم بوضوح كيف يجب أن نبذل الجهد لنساعد المحتاجين، متذكرين كلمات الرب يسوع، إذ قال: الغبطة في العطاء أكثر مما في الأخذ!» وبعد هذا الكلام ركع بولس معهم جميعاً وصلى. وبكى الجميع كثيراً، وعانقوا بولس وقبلوه بحرارة. وقد حزنوا كثيراً، خاصةً لأنه قال لهم إنهم لن يروا وجهه مرةً أخرى. ثم رافقوه إلى السفينة مودعين.

ـ في صور:

بعدما انسلخنا عنهم، أبحرنا على خط مستقيم باتجاه كوس. وفي اليوم التالي وصلنا إلى جزيرة رودس، ومنها اتجهنا إلى ميناء باترا، حيث وجدنا سفينةً مسافرةً إلى ساحل فينيقية، فركبناها وأقلعنا. ولاحت لنا جزيرة قبرص فجاوزناها عن شمالنا، وتابعنا السفر باتجاه سورية، فوصلنا إلى ميناء صور ونزلنا فيها، لأن السفينة كانت ستفرغ حمولتها هناك.

عندئذ بحثنا عن التلاميذ، وأقمنا عندهم سبعة أيام، وكانوا ينصحون بولس، بإلهام

من الروح، ألا يصعد إلى أورشليم. وعندما انتهت مدة إقامتنا عندهم خرجنا لنكمل سفرنا، فرافقونا مع نسائهم وأولادهم إلى خارج المدينة مودعين. فركعنا على الشاطيء وصلينا، ثم ودعنا بعضنا بعضاً، وركبنا السفينة، فعادوا هم إلى بيوتهم.

ـ في بتولمايس:

تابعنا السفر بحراً من صور إلى بتولمايس، فسلمنا على الإخوة هناك وقضينا معهم يوماً واحداً. وفي اليوم التالي ذهبنا إلى مدينة قيصرية ونزلنا ضيوفاً ببيت المبشر فيلبس، وهو واحد من المدبرين السبعة، وله أربع بنات عذارى كن يتنبأن. فبقينا عنده عدة أيام. وبينما نحن هناك جاءنا من منطقة اليهودية نبي اسمه أغابوس. فأخذ حزام بولس، وقيد نفسه رابطاً يديه ورجليه وقال: «يقول الروح القدس إن صاحب هذا الحزام سيقيده اليهود هكذا في أورشليم، ويسلمونه إلى أيدي الأجانب». فلما سمعنا هذا بدأنا جميعاً، نحن مرافقي بولس والمؤمنين من أهل البلدة، نرجو من بولس ألا يذهب إلى أورشليم، ولكنه قال لنا: «ما لكم تبكون وتحطمون قلبي؟ إني مستعد ليس فقط لأن أقيد في أورشليم، بل أيضاً لأن أموت من أجل اسم الرب يسوع!» ولما لم نتمكن من إقناعه سكتنا، وقلنا: «فلتكن مشيئة الرب!» وبعد مدة تأهبنا للسفر واتجهنا إلى أورشليم بصحبة بعض التلاميذ من قيصرية، فأخذونا إلى بيت مناسون القبرصي، وهو تلميذ قديم، فنزلنا عليه ضيوفاً.

ـ في أورشليم:

لدى وصولنا إلى أورشليم، رحب بنا الإخوة فرحين. وفي اليوم التالي لوصولنا رافقنا بولس للاجتماع بيعقوب، وكان الشيوخ كلهم مجتمعين عنده. فسلم بولس عليهم وأخذ يخبرهم على التوالي بكل ما فعله الله بين غير اليهود بواسطة خدمته. فلما سمعوا أخباره مجدوا الله،وقالوا له: «أنت ترى أيها الأخ أن الذين آمنوا بالرب من اليهود يعدون بالآلاف، وهم متحمسون للشريعة، وقد سمعوا بأنك تدعو اليهود الذين يسكنون بين الأجانب إلى الارتداد عن موسى، وتوصيهم بألا يختنوا أولادهم ولا يتبعوا العادات المتوارثة، فما العمل إذن، لأنهم لابد أن يسمعوا بقدومك؟ فاعمل ما نقوله لك: عندنا أربعة رجال عليهم نذر، فخذهم إلى الهيكل وتطهر معهم، وادفع نفقة حلق رؤوسهم، فيعرف الجميع أن ما سمعوه عنك غير صحيح، وأنك تسلك مثلهم طريق العمل بالشريعة. أما المؤمنون الذين من غير اليهود، فقد أرسلنا إليهم رسالةً نوصيهم

فيها بأن يمتنعوا عن الأكل من الذبائح المقربة للأصنام، وعن تناول الدم، وعن الأكل من لحوم الحيوانات المخنوقة، وعن الزنى».

وهكذا كان. ففي اليوم التالي أخذ بولس الرجال الأربعة؛ وبعدما تطهر معهم، دخل الهيكل لكي يسجل التاريخ الذي ينتهي فيه أسبوع التطهر، حتى تقدم عن كل واحد منهم التقدمة الواجبة.

ـ القبض على بولس:

كادت الأيام السبعة أن تنقضي، رأى بعض اليهود من مقاطعة أسيا بولس في الهيكل، فحرضوا الجمع كله، وقبضوا عليه، وهم يصرخون: «النجدة يا بني إسرائيل! هذا هو الرجل الذي يدعو الناس في كل مكان إلى عقيدة تشكل خطراً على شعبنا وشريعتنا وعلى هذا المكان، حتى إنه أدخل اليونانيين إلى الهيكل ودنس هذا المكان المقدس!» فإنهم كانوا قد رأوا تروفيمس الأفسسي مع بولس في المدينة، فظنوا أنه أدخله معه إلى الهيكل.

عندئذ هاج أهل المدينة جميعاً، وهجم الناس على بولس وجروه إلى خارج الهيكل، ثم أغلقت الأبواب حالاً. وبينما هم يحاولون أن يقتلوه سمع قائد الكتيبة الرومانية أن الاضطراب عم أورشليم كلها. فأخذ في الحال جماعةً من الجنود وقواد المئات وحضر مسرعاً. ولما رأى اليهود القائد وجنوده كفوا عن ضرب بولس. فاقترب القائد وألقى القبض عليه، وأمر جنوده أن يقيدوه بسلسلتين، وأخذ يسأل: «من هو، وماذا فعل؟» فأخذ بعضهم ينادون بشيء وبعضهم بشيء آخر. ولما لم يقدر أن يتبين حقيقة الأمر بسبب الهياج، أمر أن يؤخذ بولس إلى الثكنة. ولما وصل به الجنود إلى الدرج اضطروا أن يحملوه ليخلصوه من عنف المحتشدين. فقد كان جمهور المحتشدين يتبعونه صارخين: «ليعدم!»

قبل أن يدخل بولس إلى الثكنة قال للقائد باللغة اليونانية: «أيمكن أن أقول لك شيئاً؟» فقال القائد: «أتتكلم اليونانية؟ إذن لست أنت ذلك المصري الذي أحدث اضطراباً في المدينة منذ مدة، وتزعم أربعة آلاف رجل من القتلة خرج بهم إلى البرية!» فقال بولس: «إنما أنا يهودي من طرسوس، وهي مدينة مشهورة في مقاطعة كيليكية. فأرجو منك أن تسمح لي بأن أكلم الشعب». فأذن له القائد. ووقف بولس

على الدرج، وأشار بيده إلى الشعب. فلما ساد السكوت، أخذ يخاطبهم باللغة العبرية، قائلاً: «أيها الإخوة والآباء، اسمعوا الآن دفاعي عن نفسي». فلما سمعوه يخاطبهم باللغة العبرية ازدادوا هدوءاً فقال: «أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس الواقعة في مقاطعة كيليكية، ولكني نشأت في هذه المدينة وتعلمت عند قدمي غمالائيل التربية الموافقة تماماً لشريعة آبائنا. وكنت غيوراً في أمور الله،مثلكم جميعاً اليوم. فاضطهدت هذا الطريق حتى الموت، فكنت أعتقل أتباعه من الرجال والنساء، وأزج بهم في السجون. ويشهد رئيس الكهنة ومجلس الشيوخ على صدق كلامي هذا. فقد أخذت منهم رسائل إلى إخوانهم في دمشق ليعاونوني في القبض على الذين هناك، لأسوقهم إلى أورشليم فينالوا عقابهم. ولما وصلت إلى مقربة من دمشق، وكان الوقت نحو الظهر، أضاء حولي فجأةً نور باهر، فوقعت على الأرض، وسمعت صوتاً يقول لي: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. وقد رأى مرافقي النور، ولكنهم لم يسمعوا صوت مخاطبي. فسألت: ماذا أفعل يا رب؟ فأجابني الرب: قم وادخل دمشق، وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تفعله. واقتادني مرافقي بيدي حتى أوصلني إلى دمشق، لأني لم أكن أبصر بسبب شدة ذلك النور الباهر.

وكان في دمشق رجل اسمه حنانيا، تقي كما تقضي الشريعة، يشهد له يهود دمشق جميعاً شهادةً حسنةً. جاء إلي ووقف وقال: أيها الأخ شاول، أبصر. فعاد إلي بصري حالاً، ورأيته أمامي، فقال: إله آبائنا اختارك مسبقاً لتعرف إرادته، وترى البار وتسمع صوتاً من فمه. فإنك ستكون شاهداً له، أمام جميع الناس، بما رأيت وسمعت. والآن لماذا تبطىء؟ قم تعمد واغتسل من خطاياك، داعياً باسم الرب. بعد ذلك رجعت إلى أورشليم. وبينما كنت أصلي في الهيكل غبت عن الوعي، فرأيت الرب يقول لي: عجل واترك أورشليم بسرعة، لأن أهلها يرفضون أن تشهد لي فيها. فقلت: يا رب، إنهم يعرفون أني كنت أبحث في المجامع عن المؤمنين بك، لأسجنهم وأجلدهم. وكنت حاضراً عندما قتل شهيدك إستفانوس، وكنت راضياً بقتله، وحارساً لثياب قاتليه. ولكنه قال لي: اذهب. . . سأرسلك بعيداً: إلى الأمم!»

ظل المجتمعون يصغون حتى وصل بولس إلى ذكر الأمم، فصرخوا بقائد الكتيبة: «انزع هذا الرجل من الأرض! إنه لا يستحق الحياة!» ثم أخذوا يصيحون ويلوحون

بثيابهم، ويذرون الغبار في الهواء. فأمر القائد جنوده أن يدخلوا بولس إلى الثكنة وأن يستجوبوه تحت جلد السياط ليعرف سبب الهتافات الصاخبة ضده.

ـ بولس مواطن روماني:

فلما ربطه الجنود ليجلدوه قال لقائد المئة الذي كان واقفاً بقربه: «أيسمح لكم القانون بجلد مواطن روماني قبل محاكمته؟» فما إن سمع الضابط ذلك حتى ذهب إلى القائد وأخبره بالأمر، وقال: «أتعلم أية مخالفة كنا سنرتكب لو جلدنا هذا الرجل؟ إنه روماني الجنسية !» فذهب القائد بنفسه إلى بولس وسأله: «أأنت حقاً روماني؟» فأجاب: «نعم!» فقال القائد: «أنا دفعت مبلغاً كبيراً من المال لأحصل على الجنسية الرومانية». فقال بولس: «وأنا حاصل عليها بالولادة!» وفي الحال ابتعد عنه الجنود المكلفون باستجوابه تحت جلد السياط، ووقع الخوف في نفس القائد من عاقبة تقييده بالسلاسل، بعدما تحقق أنه روماني. وفي اليوم التالي أراد القائد أن ينظر في حقيقة التهمة التي وجهها اليهود إلى بولس، ففك قيوده، وأمر بإحضار رؤساء الكهنة وأعضاء المجلس اليهودي جميعاً، واستدعى بولس وأوقفه أمامهم.

ـ بولس أمام المجلس اليهودي:

حدق بولس إلى المجلس، وقال: «أيها الإخوة، إني عشت لله بضمير صالح حتى هذا اليوم». فأمر حنانيا، رئيس الكهنة، واحداً من الواقفين لديه أن يضرب بولس على فمه، فقال له بولس: «ضربك الله،يا حائط المقبرة المطلي بالكلس! كيف تجلس لتحاكمني وفقاً للشريعة، ثم تخالف الشريعة فتأمر بضربي؟» فقال له الواقفون هناك: «أتشتم رئيس كهنة الله؟» فأجاب بولس: «لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة فقد جاء في الكتاب: لا تشتم رئيس شعبك!»

وإذ كان بولس يعلم أن بعض أعضاء المجلس من مذهب الصدوقيين، وبعضهم من مذهب الفريسيين، نادى في المجلس: «أيها الإخوة، أنا فريسي ابن فريسي، وإني أحاكم الآن لأنني أعتقد أن للموتى رجاءً بالقيامة!» وهنا دب الخلاف بين الفريسيين والصدوقيين من أعضاء المجلس، فانقسم الحاضرون. فإن الصدوقيين ينكرون القيامة والملائكة والأرواح، أما الفريسيون فيقرون بها كلها. وعلا الصياح، فوقف بعض علماء الشريعة الموالين للفريسيين، يحتجون بحماسة، فقالوا: «لا نجد على هذا الرجل

ذنباً، فلربما كلمه روح أو ملاك!» وتفاقم الخلاف حتى خاف القائد أن يشقوا بولس شقين، فأمر الجنود أن ينزلوا ويخطفوه من بينهم ويعيدوه إلى الثكنة. وفي الليلة التالية ظهر الرب لبولس وقال له: «تشجع، فكما أديت لي الشهادة في أورشليم، لابد أن تؤديها لي في روما أيضاً».

ـ مؤامرة اليهود لقتل بولس:

لما طلع الصباح حاك بعض اليهود مؤامرةً لقتل بولس، وحرموا على أنفسهم الطعام والشراب إلى أن يقتلوه. وكان عدد الذين حاكوا هذه المؤامرة نحو أربعين رجلاً. وذهبوا إلى رؤساء الكهنة والشيوخ وقالوا: «حرام علينا الطعام والشراب حتى نقتل بولس. فاطلبوا من القائد بصفتكم أعضاء المجلس، أن يحضر بولس بحجة إعادة النظر في قضيته، ونحن مستعدون لاغتياله قبل وصوله إلى المجلس!» ولكن خبر هذه المؤامرة تسرب إلى ابن أخت بولس، فتوجه إلى الثكنة وأخبره بذلك. فاستدعى بولس أحد قواد المئات وطلب إليه أن يأخذ ابن أخته إلى القائد ليخبره بأمر هام. فأخذه إلى القائد وقال: «استدعاني السجين بولس وطلب أن أحضر هذا الشاب إليك، لأن عنده أمراً هاماً يريد أن يخبرك به». فأمسك القائد الشاب بيده، وانفرد به، وسأله: «ما الأمر الذي تريد أن تخبرني به؟» فقال: «حاك اليهود مؤامرةً على بولس، وسيطلبون منك أن تحضره إلى مجلسهم، بحجة إعادة النظر في قضيته، فلا تقبل طلبهم، لأن أكثر من أربعين رجلاً منهم حرموا على أنفسهم الطعام والشراب ونصبوا كميناً لاغتياله، وهم الآن مستعدون لذلك، وينتظرون تلبية طلبهم!»

ـ ليسياس يرسل بولس لفيلكس:

صرف القائد الشاب بعدما قال له: «لا تخبر أحداً بما أعلمتني به!» ودعا اثنين من قواد المئات لديه، وأمرهما قائلاً: «جهزا مئتي جندي ليذهبوا إلى قيصرية الساعة التاسعة مساء الليلة ومعهم سبعون فارساً ومئتا حامل رمح، وبعض الدواب لتحمل بولس وتوصله سالماً إلى الحاكم فيلكس». وكتب إلى الحاكم رسالةً يقول فيها: «من كلوديوس ليسياس إلى سمو الحاكم فيلكس: سلام! هذا الرجل قبض عليه اليهود وحاولوا أن يقتلوه. وقد علمت أنه مواطن روماني فأسرعت إليه مع بعض الجنود وأنقذته. وأردت أن أعرف التهمة التي يتهمونه بها، فقدمته إلى مجلسهم، فتبين لي أن تهمته تختص بقضايا تتعلق بشريعتهم. ووجدت أنه لم يرتكب ذنباً يستحق عقوبة الموت

أو السجن. ثم تبين لي أن جماعةً من اليهود حاكوا مؤامرةً لقتله، فأرسلته إليك بسرعة، وأمرت المدعين عليه أن يقدموا شكواهم لديك».

وهكذا نقل الجنود بولس ليلاً إلى أنتيباتريس، تنفيذاً للأوامر الصادرة إليهم. وفي الصباح عادوا إلى الثكنة، وتركوا الفرسان يرافقون بولس إلى قيصرية. وهناك سلموه إلى الحاكم مع الرسالة. فقرأ الحاكم الرسالة، وسأل عن المقاطعة التي ينتمي بولس إليها. ولما علم أنه من كيليكية قال له: «سأنظر في قضيتك عندما يحضر المدعون عليك». وأمر بوضع بولس في قصر هيرودس، تحت الحراسة.

ـ دعوى اليهود ضد بولس:

بعد خمسة أيام حضر إلى قيصرية وفد يضم حنانيا، رئيس الكهنة، وبعض الشيوخ، ومحامياً اسمه ترتلس، ليقدموا الدعوى للحاكم ضد بولس. فاستدعى الحاكم بولس، وبدأ ترتلس يوجه إليه الاتهام، فقال: «إن ما تم لنا بفضلك من سلام وافر وإصلاحات انتفع بها شعبنا بعنايتك يا سمو الحاكم فيلكس نرحب به، بجملته وفي كل مكان، بالشكر الجزيل. ولأني لا أريد أن أطيل الكلام عليك، أرجو أن تتلطف فتسمع عرضاً موجزاً لدعوانا: وجدنا هذا المتهم مخرباً، يثير الفتنة بين جميع اليهود في البلاد كلها، وهو يتزعم مذهب النصارى. فلما حاول تدنيس هيكلنا أيضاً، قبضنا عليه وأردنا أن نحاكمه بحسب شريعتنا. ولكن القائد ليسياس جاء وأخذه بالقوة من أيدينا، ثم أمر المدعين عليه بالترافع أمامك. وتستطيع الآن أن تتأكد من صحة دعوانا إذا قمت باستجوابه في هذا الأمر!» وأيد اليهود أعضاء الوفد ادعاء المحامي زاعمين أنه صحيح.

ـ دفاع بولس أمام فيلكس:

أشار الحاكم إلى بولس أن يقدم دفاعه، فقال: «أنا أعلم أنك تحكم في قضايا أمتنا منذ سنوات عديدة، ولذلك يسرني تقديم دفاعي عن نفسي بكل ارتياح. ويمكنك أن تتأكد أنه لم يمض على وصولي إلى أورشليم، للعبادة، أكثر من اثني عشر يوماً. ولم يرني أحد من اليهود مرةً واحدةً في الهيكل أو المجامع أجادل أحداً أو أحرض الشعب على الفوضى. وهم لا يقدرون أن يثبتوا اتهامهم لي أمامك الآن. ولكني أعترف أمامك بأني أعبد إله آبائي بحسب المذهب الذي يصفونه بأنه بدعة، وأومن بكل ما كتب في الشريعة وكتب الأنبياء، ولي بالله ما لهم من رجاء ينتظرون تحقيقه: وهو أن

القيامة ستحدث للأموات، الأبرار منهم والأشرار. لذلك أنا أيضاً أدرب نفسي لكي أحيا دائماً بضمير نقي أمام الله والناس. وبعد غياب عدة سنوات عن أورشليم، رجعت إليها أحمل بعض التبرعات إلى شعبي، وأقرب تقدمات. وبينما كنت أقوم بذلك، رآني في الهيكل بعض يهود مقاطعة أسيا، وكنت قد تطهرت. لم أكن وقتئذ وسط أي تجمع، ولا كنت أثير الفوضى. ولو كان عندهم دليل ضدي، لكانوا حضروا أمامك وشكوني حسب الأصول. والآن، ليذكر الحاضرون هنا الذنب الذي وجدوه علي عندما حاكموني أمام مجلسهم، غير ما أعلنته أمامهم حين قلت: أنتم تحاكمونني اليوم بسبب إيماني بقيامة الأموات».

ـ بولس في سجن قيصرية:

كان فيلكس يعرف عن كثب أمور الطريق، فلما سمع دفاع بولس أرجأ إصدار الحكم، وقال للوفد المدعي: «سأحكم في دعواكم عندما يحضر القائد ليسياس». ثم أمر قائد المئة بوضع بولس تحت الحراسة، على أن تكون له بعض الحرية، وأن يسمح لأصدقائه بزيارته والقيام بخدمته. وبعد بضعة أيام جاء فيلكس ومعه زوجته دروسلا، وكانت يهوديةً، فاستدعى بولس واستمع إلى حديثه عن الإيمان بالمسيح يسوع. ولما تحدث بولس عن البر وضبط النفس والدينونة الآتية ارتعب فيلكس، وقال لبولس: «اذهب الآن، ومتى توفر لي الوقت أستدعيك ثانيةً». وكان فيلكس يأمل أن يدفع له بولس بعض المال ليطلقه، فأخذ يكثر من استدعائه والحديث معه. ومرت سنتان وبولس على هذه الحال. وأخيراً تعين بوركيوس فستوس حاكماً خلفاً لفيلكس. وإذ أراد فيلكس أن يكسب رضى اليهود ترك بولس في السجن.

ـ بولس يستانف دعواه إلى القيصر:

بعد ثلاثة أيام لتولي فستوس منصبه، ذهب من قيصرية إلى أورشليم. فجاءه رئيس الكهنة ووجهاء اليهود وعرضوا له دعواهم ضد بولس، وطلبوا منه بإلحاح أن يكرمهم بإحضار بولس إلى أورشليم. وكانوا قد نصبوا له كميناً على الطريق ليغتالوه. فأجابهم فستوس بأن بولس سيبقى محتجزاً في قيصرية وأنه هو سيعود إليها بعد فترة قصيرة. وقال: «ليذهب معي أصحاب النفوذ منكم؛ فإن كان على هذا الرجل ذنب ما، فليتهموه به أمامي!»

قضى فستوس في أورشليم أياماً لا تزيد على الثمانية أو العشرة، ثم عاد إلى قيصرية. وفي اليوم التالي لوصوله جلس على منصة القضاء، وأمر بإحضار بولس. فلما حضر اجتمع حوله اليهود الذين جاءوا من أورشليم، ووجهوا إليه تهماً كثيرةً وخطيرةً عجزوا عن إثبات صحتها. فدافع بولس عن نفسه قائلاً: «لم أرتكب ذنباً في حق شريعة اليهود، أو الهيكل، أو القيصر». ومع ذلك فقد أراد فستوس أن يكسب رضى اليهود، فسأل بولس: «هل تريد أن تذهب إلى أورشليم حيث تجري محاكمتك بحضوري على هذه التهم؟» فأجاب بولس: «أنا ماثل الآن في محكمة القيصر، وأمامها يجب أن تجري محاكمتي. لم أرتكب ذنباً في حق اليهود، وأنت تعلم هذا جيداً. ولو كنت ارتكبت جريمةً أستحق عليها عقوبة الإعدام، لما كنت أهرب من الموت. ولكن مادامت تهم هؤلاء لي بلا أساس، فلا يحق لأحد أن يسلمني إليهم ليحاكموني. إني أستأنف دعواي إلى القيصر!» وتداول فستوس الأمر مع مستشاريه، ثم قال لبولس: «مادمت قد استأنفت دعواك إلى القيصر، فإلى القيصر تذهب!»

- بولس والملك أغريباس:

بعد بضعة أيام جاء الملك أغريباس و(أخته) برنيكي إلى قيصرية ليسلما على فستوس. ومكثا هناك أياماً عديدةً. فعرض فستوس على الملك قضية بولس قائلاً: «هنا رجل تركه فيلكس سجيناً. ولما ذهبت إلى أورشليم شكاه إلي رؤساء الكهنة والشيوخ، وطالبوا بإصدار الحكم عليه. فقلت لهم إنه ليس من عادة الرومان أن يصدروا حكماً على أحد قبل أن يواجه الذين يتهمونه، لتتاح له فرصة الدفاع عن نفسه. فلما جاءوا إلى هنا أسرعت في اليوم التالي وعقدت جلسةً للنظر في القضية، وأمرت بإحضار المتهم. فلما قابله متهموه لم يذكروا ذنباً واحداً مما كنت أتوقع أن يتهموه به، بل جادلوه في مسائل تختص بديانتهم وبرجل اسمه يسوع، مات وبولس يقول إنه حي! فحرت في الأمر، وعرضت على المتهم أن يذهب إلى أورشليم ويحاكم هناك، إلا أنه استأنف دعواه إلى جلالة القيصر ليحاكم في حضرته، فأمرت بحراسته حتى أرسله إلى القيصر». فقال أغريباس لفستوس: «أحب أن أسمع ما يقوله هذا الرجل». فأجاب: «غداً تسمعه».

في اليوم التالي جاء أغريباس وبرنيكي، واستقبلا باحتفال باذخ، إذ دخلا قاعة الاستماع يحيط بهما القادة العسكريون ووجهاء المدينة. وأمر فستوس بإحضار بولس.

فلما أحضر قال فستوس: «أيها الملك أغريباس، والسادة الحاضرون هنا جميعاً: أمامكم هذا الرجل الذي شكاه إلي الشعب اليهودي كله في أورشليم وهم يصرخون أنه يجب ألا يبقى حياً وتبين لي أنه لم يفعل ما يستحق الإعدام. ولكنه استأنف دعواه إلى جلالة القيصر، فقررت أن أرسله إليه. ولكن ليس لي شيء أكيد أكتبه إلى جلالة القيصر بشأنه. لذلك أحضرته أمامكم جميعاً، وخاصةً أمامك أيها الملك أغريباس، حتى إذا تم النظر في قضيته أجد ما أكتبه. فمن غير المعقول، كما أرى، أن أرسل إلى القيصر سجيناً دون تحديد التهم الموجهة إليه!»

ـ دفاع بولس أمام أغريباس:

قال أغريباس لبولس: «إننا نسمح لك بالدفاع عن نفسك». فأشار بولس بيده، وابتدأ دفاعه قائلاً: «أيها الملك أغريباس، يسعدني أن أدافع عن نفسي في حضرتك، وأرد كل ما يتهمني به اليهود، وبخاصة لأنك تعرف تماماً طقوسهم ومجادلاتهم. فألتمس أن تسمعني برحابة صدر. إن اليهود جميعاً يعرفون نشأتي من البداية. فقد عشت بين شعبي في أورشليم منذ صغري. وماداموا يعرفونني من البداية، فلو أرادوا لشهدوا أنني كنت فريسياً، أي تابعاً للمذهب الأكثر تشدداً في ديانتنا. وأنا اليوم أحاكم لأن لي رجاءً بأن يحقق الله ما وعد به آباءنا، ومازالت أسباط شعبنا الاثنا عشر تواظب على العبادة ليل نهار راجيةً تحقيقه. من أجل هذا الرجاء يتهمني اليهود، أيها الملك: لماذا لا تصدقون أن الله يقيم الأموات؟ وكنت أعتقد أنه يجب أن أبذل غاية جهدي لأقاوم اسم يسوع الناصري. وقد عملت على تنفيذ خطتي في أورشليم بتفويض خاص من رؤساء الكهنة، فألقيت في السجن عدداً كبيراً من القديسين. وكنت أعطي صوتي بالموافقة عندما كان المجلس يحكم بإعدامهم. وكم عذبتهم في المجامع كلها لأجبرهم على التجديف. وقد بلغ حقدي عليهم درجةً جعلتني أطاردهم في المدن التي في خارج البلاد.

توجهت إلى مدينة دمشق بتفويض وترخيص من رؤساء الكهنة، فرأيت، أيها الملك، على الطريق عند الظهر نوراً يفوق نور الشمس يسطع حولي وحول مرافقي، فسقطنا كلنا على الأرض. وسمعت صوتاً يناديني باللغة العبرية قائلاً: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ يصعب عليك أن ترفس المناخس. فسألت: من أنت يا سيد؟ فأجاب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. انهض وقف على قدميك، فقد ظهرت لك لأعينك خادماً لي وشاهداً بهذه الرؤيا التي تراني فيها الآن، وبالرؤى التي ستراني فيها

بعد اليوم. وسأنقذك من شعبك ومن الأمم التي أرسلك إليها الآن، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من الظلام إلى النور، ومن سيطرة الشيطان إلى الله،فينالوا غفران الخطايا ونصيباً بين الذين تقدسوا بالإيمان بي. ومن ذلك الحين لم أعاند الرؤيا السماوية، أيها الملك أغريباس. فبشرت أهل دمشق أولاً، ثم أهل أورشليم ومنطقة اليهودية كلها، ثم الأجانب. فدعوت الجميع إلى التوبة والرجوع إلى الله،والقيام بأعمال تليق بالتوبة. وبسبب تبشيري قبض اليهود علي في الهيكل وحاولوا أن يقتلوني، ولكن الله حفظني حتى هذا اليوم، وبمعونته أقف أمام البسطاء والعظماء شاهداً له ولست أحيد عما تنبأ به موسى والأنبياء، من أن المسيح سيتألم فيكون أول من يقوم من بين الأموات، ويبشر بالنور شعبنا والشعوب الأخرى».

وما إن وصل بولس في دفاعه إلى هذا الحد، حتى قاطعه فستوس قائلاً بصوت عال: «جننت يا بولس! إن تبحرك في العلم أصابك بالجنون!» فقال بولس: «لست مجنوناً يا سمو الحاكم فستوس، فأنا أنطق بكلام الحق والصواب. والملك الذي أخاطبه الآن صراحةً يعرف هذه الأمور التي أتحدث عنها، وأنا متأكد أنه لا يخفى عليه شيء منها، لأنها لم تحدث في زاوية مظلمة! أيها الملك أغريباس، أتصدق أقوال الأنبياء؟ أنا أعلم أنك تصدقها!» فأجاب أغريباس: «قليلاً بعد، وتقنعني بأن أصير مسيحياً!» فقال بولس: «سواء كان قليلاً أم كثيراً، فإن صلاتي إلى الله لأجلك ولأجل الحاضرين هنا جميعاً أن تصيروا مثلي، ولكن دون هذه السلاسل!»

بعد ذلك قام الملك والحاكم وبرنيكي والحاضرون وتركوا القاعة، وهم يقولون بعضهم لبعض: «لم يرتكب هذا الرجل ما يستحق الموت أو السجن». وقال أغريباس لفستوس: «لو لم يستأنف هذا الرجل دعواه إلى القيصر لكان يمكن إطلاقه!»

ـ السفر بحراً إلى إيطاليا:

أخيراً تقرر أن نسافر إلى إيطاليا بحراً، فتولى حراسة بولس وبعض السجناء الآخرين قائد مئة اسمه يوليوس، ينتمي إلى كتيبة أوغسطس. فركبنا سفينةً قادمةً من أدراميت، متجهةً إلى موانئ مقاطعة أسيا. ورافقنا في الرحلة أرسترخس من مدينة تسالونيكي في مقاطعة مقدونية. وفي اليوم التالي وصلنا إلى صيدا. وعامل يوليوس بولس معاملةً طيبةً فسمح له بأن يزور أصدقاءه في صيدا ليتلقى منهم ما يحتاج إليه. وأقلعنا من ميناء صيدا، وسافرنا بمحاذاة شواطئ قبرص، لأن الريح كانت عكس اتجاه

سيرنا. وعبرنا البحر المجاور لمقاطعتي كيليكية وبمفيلية، ووصلنا إلى ميناء ميرا في مقاطعة ليكية. وهناك وجد قائد المئة سفينةً قادمةً من الإسكندرية متجهةً إلى إيطاليا، فأصعدنا إليها. وسافرت السفينة على مهل لعدة أيام، واقتربنا من شاطئ كنيدس بعد جهد، ولكن الريح منعتنا من دخول الميناء فلم نقدر أن ننزل هناك، فسافرنا على مقربة من شاطئ جزيرة كريت، مروراً بالقرب من رأس سلموني. وبعد جهد وصلنا إلى مكان يدعى الموانئ الجميلة بالقرب من مدينة لسائية.

قضينا هناك مدةً طويلةً، حتى مضى الصيف وأصبح السفر في البحر خطراً خطراً إذ كان الصوم أيضاً قد مضى، فنصح بولس بحارة السفينة قائلاً: «أيها الرجال، أرى في سفرنا الآن خطراً وخسارةً عظيمةً، لا على السفينة وحمولتها فقط، بل على حياتنا أيضاً». على أن قائد المئة كان يميل إلى كلام ربان السفينة وصاحبها، لا إلى كلام بولس. ولما لم تكن الميناء صالحةً لقضاء فصل الشتاء، فقد قرر معظم البحارة أن يغادروها، آملين الوصول إلى ميناء فينكس لقضاء الشتاء فيها، وقد كانت هذه الميناء في كريت تواجه الجنوب والشمال الغربيين. وهبت ريح خفيفة من الجنوب، فظن البحارة أنها ستدفعهم نحو فينكس، فرفعوا المرساة وأبحروا على مقربة من شاطئ كريت. ولكن ريحاً عاصفةً تُعرف بالشمالية الشرقية هبت بعد قليل، فاندفعت السفينة ولم تقو على مقاومة الريح، فاستسلمنا. وحملتنا العاصفة إلى مكان قريب من جزيرة صغيرة اسمها كودا.

بعد جهد استطعنا أن نرفع قارب النجاة إلى ظهر السفينة. ثم أسرع البحارة باتخاذ الاحتياطات الضرورية، فشدوا وسط السفينة بالحبال. وخوفاً من الانجراف إلى شواطئ الرمال المتحركة، أنزلوا الأشرعة والحبال، فأصبحت الريح تدفع السفينة. وفي اليوم الثاني اشتدت علينا العاصفة، فأخذوا يخففون من الحمولة. وفي اليوم الثالث رموا أثاث السفينة بأيديهم. وكانت العاصفة تشتد يوماً بعد يوم، حتى إننا لم نر الشمس ولا النجوم عدة أيام، فانقطع كل أمل في النجاة.

كان المسافرون قد امتنعوا مدةً طويلةً عن تناول الطعام، فتقدم بولس إليهم وقال: «أيها الرجال، كان يجب أن تسمعوا كلامي ولا تقلعوا من كريت، فتسلموا من هذا الخطر والخسارة. ولكني الآن أدعوكم لتطمئنوا، فلن يفقد أحد منكم حياته. ولكن السفينة وحدها ستتحطم. فقد ظهر لي هذه الليلة ملاك من عند الله الذي أنا له وإياه أخدم، وقال لي: لا تخف يا بولس! فلابد أن تمثل أمام القيصر. وقد وهبك الله حياة

جميع المسافرين معك! فاطمئنوا أيها الرجال، لأني أؤمن بالله وبأن ما قاله لي سيتم. ولكن لابد أن تجنح السفينة إلى إحدى الجزر».

في منتصف الليلة الرابعة عشرة، والرياح تحملنا في بحر أدريا إلى حيث لا ندري، ظن البحارة أنهم يقتربون إلى البر. فقاسوا عمق المياه فوجدوه عشرين قامةً. وبعد قليل قاسوا العمق فوجدوه خمس عشرة قامةً. وخافوا أن تجنح السفينة إلى الصخور، فألقوا من مؤخرها أربع مراس، منتظرين طلوع الصباح. وحاول البحارة أن يهربوا من السفينة، فأنزلوا قارب النجاة بحجة أنهم سيلقون المراسي من مقدم السفينة. فقال بولس لقائد المئة والجنود: «إذا لم يبق هؤلاء البحارة في السفينة فلن تنجوا». فقطع الجنود حبال القارب وتركوه يسقط في الماء. ولما اقترب طلوع الصباح، طلب بولس إلى الجميع أن يأكلوا، وقال: «مرت أربعة عشر يوماً وأنتم لا تأكلون شيئاً، فأدعوكم إلى تناول الطعام، لأنه يساعدكم على النجاة. فلن يفقد أحد منكم شعرةً من رأسه». ثم أخذ رغيفاً، وشكر الله أمام الجميع، وكسره وابتدأ يأكل، فاطمأنوا كلهم وأكلوا. وكان عددنا في السفينة مئتين وستةً وسبعين نفساً. وبعدما شبعوا رموا بالقمح في البحر ليخففوا حمولة السفينة.

ـ جنوح السفينة:

لما طلع النهار، لم يستطع البحارة أن يميزوا المكان، ولكنهم أبصروا خليجاً له شاطئ، فقرروا أن يدفعوا السفينة إليه، إذا استطاعوا، فقطعوا المراسي وتركوها تغرق، وحلوا الحبال التي تربط الدفة، ورفعوا الشراع الأمامي للريح، واتجهوا نحو الشاطئ. ولكن السفينة وصلت إلى مكان قليل المياه بين تيارين، فجنحوا بها إلى الشاطئ، فارتكز مقدمها وظل لا يتحرك، في حين أخذ مؤخرها يتفكك من عنف الأمواج. وارتأى الجنود أن يقتلوا السجناء حتى لا يسبح أحد منهم إلى الشاطئ ويهرب، ولكن قائد المئة كان يرغب في إنقاذ بولس، فمنع جنوده من تنفيذ رأيهم، وأمر القادرين على السباحة أن يسبحوا إلى الشاطئ قبل غيرهم، والباقين أن يحاولوا الوصول إليه على ألواح السفينة، أو على قطع من حطامها. وهكذا وصل الجميع إلى البر سالمين.

ـ في مالطة:

عرفنا بعدما نجونا أن الشاطئ الذي وصلناه هو جزيرة مالطة. واستقبلنا أهلها

الغرباء بعطف كبير قل نظيره. فإذ كان المطر ينهمر والجو بارداً، أوقدوا لنا ناراً، ورحبوا بنا. وجمع بولس بعض الحطب وألقاه في النار، فخرجت أفعى، دفعتها الحرارة، وتعلقت بيده. ورأى أهل مالطة الأفعى عالقةً بيده، فقال بعضهم لبعض: «لابد أن هذا الرجل قاتل، فإن العدل لم يدعه يحيا بعدما نجا من البحر». ولكن بولس نفض الأفعى في النار دون أن يمسه أذى. وانتظروا أن يتورم جسمه أو يقع ميتاً فجأةً. وطال انتظارهم، دون أن يصيبه ضرر، فغيروا رأيهم فيه وقالوا: «إنه إله!»

كانت بالقرب من المكان مزارع لحاكم الجزيرة بوبليوس، فدعانا وأحسن ضيافتنا ثلاثة أيام. وكان والد بوبليوس طريح الفراش مريضاً بالحمى والإسهال الشديد. فزاره بولس وصلى، ووضع يديه عليه، فشفاه. فجاء عندئذ مرضى الجزيرة إليه ونالوا الشفاء، فأعطونا هدايا كثيرةً، وزودونا عند رحيلنا بما نحتاج إليه في سفرنا.

ـ من مالطة إلى روما:

بعد ثلاثة أشهر أقلعنا على سفينة من الإسكندرية، تحمل صورة الجوزاء (أي التوأمين)، كانت قد قضت فصل الشتاء في مالطة. فلما وصلنا إلى مدينة سراكوسا قضينا فيها ثلاثة أيام، ثم أبحرنا وسرنا على مقربة من الشاطئ حتى وصلنا مدينة ريغيون. وفي اليوم التالي هبت ريح جنوبية، فوصلنا إلى مدينة بوطيولي في يومين. ووجدنا هناك بعض الإخوة، فطلبوا إلينا أن نقضي معهم سبعة أيام. وهكذا وصلنا إلى روما. ولما سمع الإخوة فيها بوصولنا، خرجوا لاستقبالنا في ساحة أبيوس وفي الخانات الثلاثة. فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع.

ـ بولس في روما:

لما دخلنا روما سمح الضابط لبولس أن يقيم في منزل خاص مع الجندي الذي يحرسه. وبعد ثلاثة أيام دعا بولس وجهاء اليهود، وقال لهم: «أيها الإخوة، مع أني لم أفعل ما يسيء إلى الشعب، ولا إلى طقوس آبائنا، فقد سجنت في أورشليم وسلمت إلى الرومان، فاستجوبوني وأرادوا إطلاقي، لأنه لم يكن هناك ما يستوجب إعدامي. غير أن اليهود اعترضوا، فاضطررت إلى استئناف دعواي إلى القيصر. وهذا لا يعني أنني أشكو بني وطني بشيء. لذلك طلبت أن أراكم وأكلمكم؛ فأنا موثق بهذه السلسلة

من أجل رجاء إسرائيل». فقالوا: «لم نتلق بشأنك أية رسالة من بلاد اليهودية، ولا جاء رسول من عند إخواننا يخبرنا عنك بشيء، أو يشتكي عليك. ولكننا نرى من المناسب أن نسمع رأيك، لأننا نعلم أن الناس في كل مكان يعارضون هذا المذهب!»

فحددوا موعداً للقاء قادم، جاءوا فيه مع كثيرين إلى منزل بولس. فشهد لهم من الصباح إلى المساء شارحاً لهم أمور ملكوت الله ومحاولاً إقناعهم بالأمور المختصة بيسوع استناداً إلى شريعة موسى وكتب الأنبياء. فمنهم من اقتنع بكلامه، ومنهم من لم يؤمن. فاختلفوا فيما بينهم، وانصرفوا بعدما قال لهم: «صدق الروح القدس إذ قال لآبائكم بلسان النبي إشعياء: اذهب إلى هذا الشعب وقل له: سمعاً ستسمعون، ولكنكم لا تفهمون! ونظراً ستنظرون، ولكنكم لا تبصرون! لأن قلب هذا الشعب قد صار غليظاً، وآذانهم قد صارت ثقيلة السمع، وقد أغمضوا عيونهم. لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا إلي فأشفيهم!» وختم بولس كلامه بقوله: «اعلموا إذن أن الله قد أرسل خلاصه هذا إلى الأمم الأخرى، وهم سيستمعون إليه!» فلما قال هذا الكلام، خرج اليهود من عنده وهم يتجادلون بعنف.

وأقام بولس سنتين كاملتين في المنزل الذي استأجره، وكان يرحب بجميع الذين يأتون لزيارته، مبشراً بملكوت الله،ومعلماً الأمور المختصة بالرب يسوع المسيح بكل جرأة وبلا عائق.

بعد هذا الموجز عن سفر أعمال الرسل، والذي إذا كُتب مفصلاً لا تتسع المجلدات لاحتوائه لما يتضمنه من تاريخ نضالي تبشيري على مر الزمن المسيحي الطويل، سنورد الظرف الذي دوِّن فيها هذا السفر، وأدبياته، والبيئة التي دون بها.

ـ تنظيم سفر الأعمال:

إن تنوع مواد سفر الأعمال من أخبار وخطب، كبير جداً. والفنون الأدبية تمتزج مراراً، والخبر يبدو بعض المرات غير متناسق. والأمر واضح خاصةً في ف 1 ـ 12 حيث تبدو بعض العناصر قرب الأخرى، بينما تبدو ف 13 ـ 28 وحدة متماسكة في إطار خبر سفرْ. فهل من الممكن أن نجد تصميماً دقيقاً؟ يمكننا أقله أن نشير إلى بعض الطرائق الأدبية أو البنى الظاهرة، وأن نكتشف بعض المبادئ التنظيمية التي توجه فكر القارئ.

أولاً: البنى الظاهرة.

نبدأ بالأخبار. نشير إلى ثلاثة ملخصات هامة تقسم عادة الفصول الثلاثة الأولى: 2: 42 ـ 47 عن وحدة الجماعة، 4: 32 ـ 35 عن المشاركة في الخيرات، عن قوة الرسل التي تجترح المعجزات. وهناك ردات تتكرر في الرواية فتدل على نمو الكنيسة أو الكلمة: «وكان الرب كل يوم يزيد عدد الذين أنعم عليهم بالخلاص»؛ «وآمن كثير من الذين سمعوا»؛ «وكانوا يعلمون كل يوم في الهيكل وفي البيوت ويبشرون بيسوع المسيح»؛ «وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يزداد في أورشليم»[1]. وهناك أسلوب التكرار مثلاً في لوحتي قصة حنانيا وسفيرة[2]، وفي الروايات الثلاث لدعوة بولس، وفي رؤى كورنيليوس. لا نستطيع أن ننطلق من هذه الروايات المتوازية لنتحدث عن وثائق مختلفة. ثم إن هناك عناصر عديدة تعود بانتباه القارئ إلى حادث سابق. مثلاً: العنصرة (4: 1: «وبينما هم يصلون اهتز المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وامتلأوا كلهم من الروح القدس». مقررات مجمع أورشليم، تشتت الجماعة، أغابوس، فيلبس.

ونصل إلى الخطب وظاهرة التكرار واضحة في خطب سفر الأعمال. نجد نحو 24 خطبة، وهذا يشكل ثلث السفر تقريباً. نشير خاصة إلى خطب بطرس الرسولية[3]، وإلى خطب بولس يتوجه فيها إلى اليهود وإلى اليونانيين، وإلى دفاع بطرس وإسطفانس وبولس. وهناك خطب إلى مسيحيين آخرين. وتورد آخر آيات الأعمال كلمات الرسول القاطعة التي تقدم الفكرة الأساسية في الكتاب.

وضعت هذه الخطب في الأماكن المهمة من الكتاب لتعرض بوضوح للقراء مضمون الأحداث. فالأخبار ترتبط بالخطب ارتباطاً وثيقاً. ثم نجد على المستوى الأدبي أن أشخاص الخبر يعطون الطريقة لولوج الأحداث. اتبع لوقا أسلوب المؤرخين في اليونان أو في مجامع فلسطين (القديميات الكتابية لفيلون المزعوم). من هذا القبيل تعبر خطب الأعمال أفضل تعبير عن فكر لوقا اللاهوتي. فبعلاقاتها المتبادلة (كتب 13: 35 على ضوء 25: 2 ـ 31) ومواضيعها المتكررة، تشكل الخطب عنصراً هاماً من بنية

---

(1) رج 6: 7؛ 9: 31؛ 11: 24؛ 12: 24؛ 16: 5؛ 19: 5؛ 19: 10، 20.

(2) 5: 1 ـ 6 و5: 7 ـ 11.

(3) 2: 14 ـ 41؛ 10: 34 ـ 43.

الكتاب. نستطيع مثلاً أن نقابل الخطبتين إلى اليونانيين: 14: 15 ـ 17 تهيىء الدرب لخطبة ساحة أثينة. ولكن الأمر أجلى في الخطب الموجهة إلى اليهود والتي تتألف من رسمة واحدة.

هناك مقدمة تتضمن العنوان (أيها الإخوة، يا رجال يهوذا. . .) ونداءً إلى السامعين ليصْغوا (اسمعوا، أصغوا. . .)، وتذكر بصعوبة أو بسؤال طرحه السامعون. وهكذا ترتبط الخطبة بالقرينة الإخبارية. ثم هناك صلب الخطبة بوجهها الكرازي: يذكر الخطيب صلب يسوع على يد اليهود وقيامته. وهناك أخيراً تحريض مع دعوة إلى التوبة والارتداد إلى الله.

هذه الرسمة هي تلك التي عرفتها العظات في مجامع العالم الهليني. فإيراد النص الكتابي أو التلميح إليه في بدء العظة يقابلان ما نعرفه عن الخطبة في المجامع. ونشدد أيضاً على وجود أمور تتكرر في القسم الكرازي من الخطبة مع استشهاد أو تقديم البرهان الكتابي. وهناك مواضيع تظهر مرات عديدة: ذِكر سريع لرسالة يسوع على الأرض، ذِكر الصلب الذي يتجاوب وقصد الله،ولكن هذا لا يخفف مسؤولية أهل أورشليم أو السلطات اليهودية. ذكر قيامة يسوع بيد الله،كما يؤكد الشهود. المعنى المسيحاني لهذا الحدث كما تبينه الأسفار المقدسة. وأخيراً موضوع إعلان مغفرة الخطايا.

تلك هي النقاط الرئيسية في الكرازة الرسولية كما جمعها لوقا من فم يسوع، وبطرس باسم جماعة التلاميذ، وبولس. وهذه المواضيع المتكررة تدل على التماسك اللاهوتي بين الإنجيل الثالث وسفر الأعمال. ونتحدث أخيراً عن المقابلة بين بطرس وبولس. هناك أسلوب بلاغة عند اليونانيين اتبعه لوقا فجعل أقوال بطرس وأعماله تقابل في القسم الثاني من الكتاب أقوال بولس وأعماله. ويمكننا مثلاً أن نقارن بين شفاء الكسيحين على يد الرسولين، ومثول بطرس وبولس أمام المجلس. جلدا كلاهما، واجترحا المعجزات عينها، وأقام كل منهما ميتاً.

هل تساعد هذه الموازاة بين بطرس وبولس على قسمة الكتاب قسمين؟ ربما. ولكن الكاتب يحتفظ بحريته لينظم مواده حسب بعض المبادئ. نجد في الكتاب بعض الوحدة ولكن دون رسمة مسبقة ومع التنوع في التواصل.

ثانياً: ثلاثة مبادئ للتنظيم.

مبدأ التنظيم الإرسالي: مبدأ التنظيم الأول هو مبدأ لاهوتي: ففي هذا التاريخ الذي يوجهه الروح يبرِز الكاتب الانتشار المسكوني للبشرى وسْط اليهود أولاً ثم وسط الوثنيين. يحمل الإنجيل إلى الأمم، من أورشليم إلى «أقاصي الأرض». لأن «خلاص الله هذا قد أرسل إلى الوثنيين». وهناك نصوص أخرى عديدة تبرز أهمية هذا الإعلان على أيدي المرسلين. على كل حال، كان لوقا قد شدد على هذا الموضوع في لو 6:3 و24: 47 ـ 48. وينتج عن هذا المبدأ اللاهوتي نتيجتان. **الأولى**: إن موضوع انتشار الكلمة الإرسالي جر معه موضوع الموانع التي اصطدم بها الواعظون. ونتيجة ذلك نظم الكاتب وحدات أدبية ذات فكرة إرسالية وفكرة هجومية.

والنتيجة الثانية: يساعدنا مبدأ التنظيم الأول (اليهود أولاً ثم اليونانيين) على قسمة سفر الأعمال قسمين، كما اعتاد اليهود أن يقسموا كتبهم. هناك فئة تجعل القسم الأول يبدأ بالفصل الأول وينتهي بالفصل الثاني عشر، وتجعل القسم الثاني يبدأ ببداية الفصل الثالث عشر وينتهي بنهاية الكتاب. وهناك فئة ثانية تجعل خبر مجمع أورشليم يقسم الكتاب قسمين. قسم أول: 1:1 15: 35. قسم ثان: 15: 28 ـ 31: 36. فهذا المجمع الذي فيه التقى بطرس ببولس قبل أن يختفي، يشكل الهدف اللاهوتي للقسم الأول من سفر الأعمال. ويمكننا أن نعتبر ف 13 ـ 15 كنقطة اتصال لدرفتي الكتاب.

ـ **مبدأ جغرافية الكتاب**: يهتم لوقا بإبراز المراحل الجغرافية. في 1: 8: أورشليم، اليهودية والسامرة إلى أقاصي الأرض. ثم في 9: 31 انتشرت الكنيسة في اليهودية والجليل والسامرة. في 19: 21 و23: 11 نجد إعلان سفر بولس من أورشليم عبر مكدونية قبل أن يصل إلى روما.

لقد لعب المقياس الجغرافي، دوراً أكيداً في تنظيم مواد الكتاب. ولقد لاحظ بعض الشراح توازياً بين الإنجيل الثالث وسفر الأعمال. فبعد عمل الرسل في فلسطين، بدأت أسفار بولس الرسولية حتى توقيفه بسبب موقفه من الهيكل. وفي الإنجيل هناك رسالة يسوع في الجليل يتبعها الصعود إلى أورشليم حتى دخوله إلى الهيكل وتوقيفه. وهكذا يفضل بعض الشراح أن لا يقسموا سفر الأعمال قسمين فقط، بل أكثر آخذين في الاعتبار الأمور الجغرافية.

ثالثاً ـ مبدأ الأشخاص: يستند المبدأ الثالث إلى أشخاص الخبر. نلاحظ أولاً دورة بطرس في فصل 1 ـ 12، ودورة بولس في فصل 13 ـ 28، دون أن نتشدد في عملية الفصل بين الدورتين، لأن فصل 9 يتحدث عن بولس، وفصل 15 يتحدث عن بطرس.

ب ـ تصميم الكتاب:

هناك تصميم في قسمين تحدثنا عنه.. وهناك تصميم في ثلاثة أقسام، وآحر في أربعة أقسام وفي خمسة أقسام (ذكرناها أعلاه) وفي ستة أقسام... أما نحن فنتوخى الفائدة التربوية ونقسم سفر الأعمال قسمين وخمسة أجزاء. نلاحظ في بداية كل جزء الإشارات التاريخية: 1: 15: وفي تلك الأيام؛ 6: 1: وفي تلك الأيام، 27:11: وفي تلك الأيام؛ 15: 36: وبعد أيام قليلة، 19: 21: وبعد هذه الأحداث.

ـ الآراء المعاصرة حول السفر:

لماذا كتب لوقا سفر الأعمال ولمن كتبه؟ قال أكثر الشراح: ما أراد لوقا أن يعطي كتاب تاريخ بل عملاً تعليمياً وتقويًّاً، وجهه إلى المسيحيين الهلينيين ليذكرهم بانتشار الإنجيل وامتداد الكنيسة إلى الأمم الوثنية. ويوضحون قولهم: ليس سفر الأعمال كتاب تاريخ، لأن لوقا لا يريد أن يورد الماضي بحد ذاته ولا أن يقدم صورة موضوعية عن بدايات المسيحية. ليس سفر الأعمال سيرة بطرس أو بولس كتبها لوقا على الطريقة الهلينية متصرفاً بحرية بالمواد التي بين يديه. ولا يريد لوقا أن يجيب على فضولية معاصريه أو الأجيال الآتية. أنه يريد أن يبني جماعته الخاصة. هو لا يهتم بسيكولوجية الأبطال القدماء من خلال تنظيم دقيق لوقائع التاريخ. أنه يهتم بالماضي، وينقل فكره اللاهوتي في سفر الأعمال ولا سيما في الخطب العديدة التي تتوزع الكتاب. إذاً، نحن أمام كتاب تعليم يقدم للمؤمنين إرشاداً دينياً.

ويقولون: هناك سببان دفعا لوقا إلى تدوين كتابه: السبب المسكوني الذي تحدثنا عنه أعلاه: إن تعليم الخلاص يتوجه إلى الجميع، وعلى الإنجيل أن يمر من اليهود إلى الأمم الوثنية. هذا ما أراد لوقا أن يقوله للمسيحيين الهلينيين. ولكننا نتساءل: لماذا وجب على لوقا أن يذكر بهذا اليقين مؤمنين من أصل وثني؟ هل ليحميهم من محاولات يهودية على غرار ما حصل لأهل غلاطية؟ ربما. والسبب الثاني هو سبب دفاعي. أنه أقل أهمية من السبب الأول وفيه يعرض لوقا وجه الديانة المسيحية للعالم الروماني

بطريقة إيجابية. يذكرهم بأن المسيحيين لا يعادون الدولة وأنهم أهل لأن يتقبلوا الامتيازات التي تقدمها الدولة للعالم اليهودي وتعتبر ديانته ديانة مسموحاً بها. ولكن إذا كان هذا السبب سائداً في سفر الأعمال فيكون لوقا قد وجه كتابه إلى اللامؤمنين وبالأخص إلى السلطات الرومانية. وهنا نتساءل عن هوية تاوفيلوس[1] دون أن نجد جواباً لتساؤلنا.

لم يتبع الكثير من الشراح السبب الثاني. وزاد بعضهم: دون لوقا سفر الأعمال ليصالح الكنيسة الكبرى مع المسيحيين المتهودين، فحاول أن يبعد كل صراع بين بطرس وبولس. لا شك أن لوقا كان صاحب طبع مسالم، ولكنه قدم لنا بطرس وبولس داخل الكنيسة الكاثوليكية دون أن يجعلهما يتضادان أو يتصلبان في مواقفه. وقال بعض آخر: كتب لوقا دفاعاً عن بولس ليساعده في دعواه أمام القيصر. ولكن ما هو مصير فصل 1 ـ 12 التي تتحدث عن بطرس؟ وهل ننسى أن سفر الأعمال هو اللوحة الثانية وأن الإنجيل الثالث هو اللوحة الأولى، فكيف نفصل بين اللوحتين؟ وراح بعضهم ينكر على لوقا الصفة التاريخية بسبب التضارب بين سفر الأعمال ورسائل بولس. سنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد، ولكننا لا نقدر أن ننكر أمراً واضحاً وهو أن لوقا يلقي نظرة إلى ماضي الجماعة الأولى ليجمع المعطيات التي تساعده على بناء نظرته اللاهوتية. فكتابه هو تاريخ قبل أن يكون كتاب تعليم مسيحي. ولكن يبقى علينا أن نتساءل: ما هي العلاقة بين كتاب تاريخي وبين الحدث الذي دفع الكاتب إلى تدوين كتابه؟

ـ حول الإستولوجيا والتاريخ:

لماذا دون لوقا هذا التاريخ، وكيف تجرأ أن يزيد على النص الإنجيلي (كتابه الأول) سفر الأعمال، ويجعل في مجموعة واحدة وعلى مستوى واحد حياة الكنيسة والحدث الخلاصي الذي أعلنه الإيمان؟ إن الجواب على هذا السؤال يعطينا المفتاح الذي به ندخل إلى سفر الأعمال.

كان المسيحيون، قبل الجيل الثاني المسيحي، ينتظرون رجوع الرب حالاً. ولكن النهاية القريبة التي أعلن عنها لم تأت. فضعف انتظار الخلاص الإسكاتولوجي أوْهن قرار الإيمان. في قلب هذه الأزمة وعى لوقا مستقبل الكنيسة: إن أمامها منذ الآن مستقبلاً غير

---

(1) 1: 1؛ لو 1: 3.

محدود. فأقامت في «زمن الخلاص» حيث يجب أن تعمل كمؤسسة خلاص تكفل التعليم الخلاصي. أجل، لقد أدخل لوقا التعليم الإسكاتولوجي في إطار التاريخ: إن الخلاص يأتي منذ الآن من زمن الكنيسة الحاملة الخلاص. أبعد السبب الإسكاتولوجي وبدأ زمن الشهادة: «ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء»[1]؟ هل نقدر أن نكتب تاريخ الكنيسة حين ننتظر كل يوم نهاية العالم؟ كلا. ولكن تأخير المجيء دفع لوقا لأن يتخلى عن الانتظار القريب لليوم الإسكاتولوجي، وأن يحل محله رؤية «تاريخ الخلاص» حيث تشكل حياة يسوع نصف الزمن، بين زمن إسرائيل وزمن الكنيسة. ولكن تبرز صعوبات بوجه هذا البناء اللاهوتي والسيكولوجي. ونتساءل: أين تبرز في سفر الأعمال الخيبة أمام تأخر المجيء؟ هل دفع لوقا الانتظار الإسكاتولوجي إلى زمن بعيد ولا أهمية له في سفر الأعمال، واحتفظ في إنجيله بإمكانية دينونة فجائية وقريبة؟ هذا لا يعْقل[2]. وقال أحد الشراح: كان لوقا ينتظر الدينونة الأخيرة عندما ينتهي جيله الخاص. لقد وعى مستقبل الكنيسة بفضل الماضي الذي مضى. ولكنه حين ثبت فكرة بداية جديدة للتاريخ في يسوع المسيح، أكد النهاية. إذا كان هناك من بداية، فلا بد من نهاية. ومع ذلك، ففي إنجيل لوقا وفي سفر الأعمال، يخف الانجذاب الإسكاتولوجي. فهل أراد لوقا أن يحارب النظريات الرؤيوية التي تهدد رسالة الكنيسة؟ على كل حال، هذا لا يمنعه من النظر إلى الأزمنة الحاضرة كأنها الأيام الأخيرة التي دشنها مجيء الروح، ولا من التكلم عن الملك الآتي في بداية وفي نهاية سفر الأعمال وفي أمكنة أخرى أيضاً. وهنا نلاحظ فرقاً واضحاً بين إنجيل لوقا حيث يبدو الملكوت حاضراً في عمل يسوع الخلاصي، وبين سفر الأعمال حيث يواصل الروح هذا الحضور الخلاصي بانتظار ملكوت سيأتي.

لم يَسْعَ لوقا لأن يفتح التاريخ على زمن غير محدود لتاريخ الكنيسة، بل لأن يجمع زمن الكنيسة الحالي في وحدة الحدث المؤسس. وإذا قرأنا لو 16: 16 نستطيع أن نميز زمنين لا ثلاثة أزمنة: زمن إسرائيل إلى يوحنا وزمن «خلاص الله» أي زمن يسوع وزمن الكنيسة معاً بانتظار الملكوت. الكنيسة التي يسميها لوقا إسرائيل الجديد تكون جسداً واحداً مع معلمها. من هذا القبيل يبدو لوقا قريباً جداً من بولس.

إذاً، ما هو الفن الأدبي؟ دفاع، سيرة، كتاب تعليم، كتاب هجومي، كرازة،

---

(1) 1: 11.

(2) لو 9: 27؛ 18: 8؛ 23: 21.

تاريخ ديني، وحتى إنجيل وخبر طيب أو إنجيل الروح. نظر الشراح إلى كل هذه الافتراضات ولم يتفقوا. وما يمكننا أن نقول هو أن سفر الأعمال ارتبط بالإنجيل فكان صدى لبشرى الخلاص. وأن إنجيل لوقا اتخذ بعداً تاريخياً انطلاقاً من الحدث الخلاصي الذي يصل صداه إلى أقاصي الأرض. إن تاريخ يسوع هو بداية تاريخ ديني جديد يجد امتداده في الكنيسة.

يقدم سفر الأعمال تاريخاً دينيا في خط التواريخ الكتابية والاستعدادات التاريخية التي عرفتها المجامع في القرن الأول ب. م. ويورد لوقا نفسه لوحة توراتية واسعة يوجهها قصد لاهوتي[1]. إن تاريخ يسوع وتاريخ الكنيسة يواصلان تاريخ شعب الله. وعبر تسلسل الأزمنة لا نجد انقطاعاً في التاريخ. فكتابة الحدث المسيحي تقدم لنا نصاً متواصلاً للتوراة ومدوناً في أسلوب احتفالي لتاريخ جديد يجد كماله في يسوع وفي الجماعة المسيحية.

ـ موضوع الوحدة في سفر الأعمال:

يحتل موضوع الوحدة مكاناً هاماً في سفر الأعمال، وهذا ما قلناه عندما بينا الموازاة بين بطرس وبولس. وبفكرة الوحدة هذه يقيم لوقا موازاة بين الخِدم والمعجزات وموت يسوع من جهة، وبين موت إسطفانس ومعجزات بطرس وبولس وسَفَرْ بولس إلى أورشليم وتوقيفه وآلامه من جهة ثانية. وينسج لوقا رباطات بين البشر والأحداث في وحدة الجماعة الأولى. هو يحب التوافق التام، ويركز مثاله الوحدوي في أورشليم. فخبر كورنيليوس ينتهي في أورشليم، وفيها أيضاً ينتهي نزاع أنطاكية. واهتمامه بالوحدة كبير بحيث أنه يخفف من حدة الاحتكاك بين الناس (ما عدا خلاف مرقس مع بولس: 15: 39). فلو توقفنا عند سفر الأعمال لجهلنا الاضطرابات والانقسامات التي هزت الجماعة الأولى. فالخلاف في 6: 1 ـ 6 هو من المتفرقات العادية. وموقف إسطفانس ضد الذبائح والهيكل خسر من حدته. وقصة المسيحيين الذين جاؤوا من اليهودية انتهت بهذا الكلام: «لم يكن لهم توكيل منا»[2]. والخلاف بين بطرس وبولس في أنطاكية كان وكأنه لم يكن.

---

(1) إسطفانس: 7: 2 ـ 47؛ رج 13: 17 ـ 22.

(2) 15: 24.

في نظر لوقا لا فائدة للكنيسة من النظر إلى الخلافات القديمة، والمتهودون غير موجودين مع أنهم موجودون حقاً. إن عقلية لوقا المسالمة تساعدنا على أن نفهم هذا التلطيف للأمور وهذه التسوية للمعطيات التاريخية. وهي أيضاً نتيجة اقتناع: إن المسيحيين الهلينيين هم المؤتمنون على خيرات الخلاص. ويبرهن لوقا عن هذا الوضع فيبين كيف أن كنيسة بولس (أي كنيسته) تكون جسداً واحداً مع جماعة العنصرة اليهودية ومع شعب الوعد الحقيقي.

ـ الشريعة في سفر الأعمال:

يذكِّرنا لوقا بأقوال بولس عن الأمانة نحو الشريعة وعادات شعب إسرائيل. وهو يستفيد من كل مناسبة ليرينا بولس يمارس الشريعة[1]. مثل هذا التصرف يبدو غريباً ويتعارض مع ما يقوله بولس عن نفسه في رسائله. ولكن استعادة إسرائيل في شخص بولس كانت ضرورية للوقا لكي يبرر تجذر الكنائس الهلينية المسيحية في الجيل الثاني. بالنسبة إليها، لم تعد مسألة الشريعة ذا بال كما كانت في أيام بولس. إذاً، لم يعد الأمر بالنسبة إليها أن تتحرر من الشريعة، بل أن ترتبط بشعب الوعد من خلال الجماعة الأولى، على مثال بولس الذي قبله حنانيا، وهو «رجل تقي ومتمسك بالشرائع». فالكارزون الأولون كانوا من اليهود في اليهودية وفي الشتات. والسامعون الأولون للكلمة كانوا أيضاً من اليهود، يوم الفصح وفي مجامع الشتات حيث مارس بولس رسالته. وجماعة أورشليم المتحدة ببولس كانت يهودية، كما أن كثيراً من اليهود تقبلوا تعليم بولس. ولكن لماذا التشديد على هذه النقاط حين كان لوقا يوجه كلامه إلى مؤمنين آتين من العالم الهليني؟

ـ لماذا كتب سفر الأعمال، ولمن كتب؟:

توجه لوقا أولاً إلى المؤمنين، لا مباشرة إلى الوثنيين والسلطات الرومانية. لا شك في أن الكاتب يشير إلى براءة بولس أمام الوثنيين وتجاه القيصر أو تجاه الإلهة أرطميس في أفسس. إنه لا يريد أن يداهن قارئاً آتياً من الوثنية، بل أن يقدم قواعد فطِنةً للمسيحيين المهددين بالاضطهاد. يجب أن نحترم سلطات هذا العالم وأن

---

(1) 17: 22: صلاة بولس في الهيكل؛ 3:16: ختانة تيموثاوس؛ 18: 18: نذر كنخرية؛ 20: 16؛ 23: 21 ـ 27.

لا نتحداهم. قال بولس: «ما أذنبت بشيء لا إلى شريعة اليهود، ولا إلى الهيكل، ولا إلى قيصر».

يحدث لوقا الهلينيين المسيحيين ليبين لهم متانة الخلاص الذي أعطته الكنيسة، وليدلهم على الرباطات العديدة التي تربط كنيستهم بيسوع وبجماعة البدايات. وتستند فاعلية الخلاص إلى الرباط الحي بين الكنيسة الحالية، وريثة بولس، وحدث الخلاص الأول. لقد كتب لوقا إلى المؤمنين لا ليتحققوا فقط من تاريخية صحة الوقائع المرْوِية، بل ليؤكد لهم شرعية وحقيقة التعاليم الحاملة الخلاص. لا يورد لوقا الماضي بما أنه ماض، ولا يرْفع من قيمة زمن الكنيسة مع ما فيها من نظم خلاص. إنه يسعى ليعيد الزمن الحاضر إلى وحدة الحدث المؤسس. وهكذا يثبت مطالبة الكنائس الهلينية بأن تكون في خط الجماعة الأولى ومتحدة بها. احتاجت جماعة المؤمنين إلى الطمأنينة، فكتب لوقا يطمئنها على أن خلاص الله دائم.

وخلاصة الكلام، يعتبر لوقا أن الكنائس التي تنتسب إلى بولس توحي بالثقة. بعد الآن بقي من جهة جماعة المؤمنين الذين ارتدوا من العالم اليهودي أو العالم الوثني، ومن جهة ثانية اليهود الذين لم يؤمنوا والذين يشكلون شعباً بين سائر الشعوب فلم يعد لهم أي امتياز[1]. وينهي لوقا كتابه بعبارة قاسية: «أرسل الله خلاصه إلى الوثنيين (أي غير اليهود)، وسيستمعون إليه». صار مستقبل الكنيسة وسط الأمم، غير أن الكنيسة تأخذ رسائل كفاءة من ماضي إسرائيل ومن رسالة الجماعة الأولى.

ج ـ الوجهة الأدبية لسفر الأعمال:

حوالي السنة 180 نسب إيريناوس سفر الأعمال إلى لوقا، رفيق بولس. وحوالي سنة 150 استعمل يوستينوس براهين مأخوذة من سفر الأعمال. ولكن هل نستطيع أن نعود في الزمن ونتتبع التاريخ الأدبي لسفر الأعمال؟

في «النص المتداول» الذي نجده في أكثر الشهود، يبدو سفر الأعمال في شكلين قريبين الواحد من الآخر: النص السوري أو الأنطاكي، والنص المصري أو الإسكندراني. نجد هذا النص في كل من الخطوط الفاتيكاني والسينائي

(1) 13: 46؛ 18: 6.

والإسكندراني والأفرامي وفي البرديات 45، 50، 74 وفي نصوص الآباء الإسكندرانيين. وهناك شكل ثالث للنص هو الشكل الغربي ونحن نجده في الكودكس البازي وفي البرديات 8، 29، 38، 48، في اللاتينية العتيقة، وفي هوامش الترجمة السريانية الحرقلية، في مخطوط سرياني فلسطيني، وفي تفسير لمار أفرام حفظ في الأرمنية، وبالأخص في مخطوط قبطي.

النص الغربي أطول من «النص المتداول» (440 زيادة). حسَّن العلائق بين المقاطع وبسط الصعوبات. تأثرت اللغة بالنزعة الآرامية وابتعدت النصوص عن السبعينية، وصار بطرس وبولس موضوع إكرام عميق. ومال النص إلى مهاجمة الشعب اليهودي الذي قتل المسيح. انتشر النص الغربي في الشرق وفي الغرب وهو يرجع إلى منتصف القرن الثاني. أيكون هو النص الأصلي؟ لا. والسبب هو أنه يحاول أن ينسق النصوص أو يشرحها. كما يتجنب التنافر في التأليف ويقدم زيادات ليتورجية ونظريات لاهوتية. توقف العلماء عند 15: 20 ـ 29 التي تقدم تفسيراً لقرار أورشليم. ونجد أيضاً إشارات جغرافية في 12: 10 و20: 15، وإشارات تاريخية في 19: 9؛ 27: 5؛ 28: 16.

ـ القيمة التاريخية لسفر الأعمال:

دوَّن لوقا تاريخاً دينياً انطلاقاً من التقاليد التي لمها من الجماعات وأدخلها في كتابه حسب حاجة قارئيه. هو الذي كتب، ولكننا نحس في كل وقت بقبضة الحدث الذي يرويه التقليد الشفهي على مضمون هذا النص. من جهة، يشكل سفر الأعمال وثيقة تاريخية رئيسية على وضع الفكر المسيحي في نهاية القرن الأول. ومن جهة ثانية نسمع من خلال النص صدى الأحداث الماضية. أراد لوقا أن يثبت الوحدة الجذرية الموجودة بين كنائس عصره وجماعة البدايات، فوجب عليه أن يختار ما يوافقه من بين العناصر التي قدمها له التقليد. ما كان باستطاعته أن يخترع هذه التقاليد وإلا دمر القضية التي يدافع عنها في نظره، وفي نظر معاصريه، وفي نظر السلطات التي سمعت ولا شك بالأحداث التي جرت في الماضي.

حين عاد لوقا إلى مرقس أبان في الوقت ذاته عن أمانة كبيرة وحرية مدهشة في عرضه للأمور. هل نستطيع أن نقول الشيء عينه بالنسبة إلى سفر الأعمال؟ فالأخبار والخطب ليست صورة فوتوغرافية عن الأحداث أو نسخة كربونية عن خطب حقيقية.

لهذا، حين نقرأ الكتاب أو نشرحه، لن نقف على مستوى الحدث الأول لنقدم البرهان على صحة النص. ففي أحد التقاليد الشعبية عن يهوذا، لا نستطيع أن نفسر موت الخائن الذي وقع على رأسه بأن نصعده إلى سطح البيت الذي يتحدث عنه 1: 20 على خطى مز 26: 69. فكل مرة يترك المفسر النص ليعيد بناء الحدث على طريقته، يخلق نصاً جديداً وتاريخاً جديداً. وكذلك كل مرة يرفض الشارح تاريخية حدث باسم نظرة تاريخية خاصة فهو يخطئ أيضاً. فإن أحد الشراح يلغي 1: 19 لأن بطرس لا يستطيع أن يتلفظ بالكلمات «في لغتهم». ثم يلغي 1: 18 الذي يتحدث عن يهوذا لأن الرسل كانوا عارفين بهذا الأمر. فينتج عن ذلك أن برهان 1: 20 لا يمكن أن يكون صحيحاً. إذاً تسقط 1: 16. وهكذا يهدم كل المقطع عن متيا... هذا يعني أن أخبار لوقا مركبة تركيباً متيناً. بحيث إننا إذا انتزعنا حجراً هبط البناء كله.

إذاً يجب على شارح القسم الأول من سفر الأعمال أن يجعل نفسه على مستوى النص لكي يفهمه. هذا لا يمنعه أن يكتشف إشارات تاريخية نوجهه إلى حدث سابق. في الوضع الحالي للتوثيق، لا يقدر المؤول أن يعود إلى الحدث ليصوره من جديد. كل ما يقدر عليه هو أن يتحقق من قوة تأثير هذا التذكار أو ذاك في التقاليد التي جمعها لوقا.

ـ قراءة إجمالية لسفر الأعمال:

كان المؤرخون القدماء يقولون: يجب أن نرتب المواد حسب نظام يميز الأحداث ويحافظ معاً على تواصلها. فنهاية الإنجيل الثالث وبداية سفر الأعمال تدلان على أن لوقا أخذ بهذه القاعدة. فإن فرض عليه قاطع بين حياة يسوع ومصير جماعته، وجب عليه أن يقيم رابطاً. فبداية سفر الأعمال تستعيد نهاية لو 24، كما أن آيات الإنجيل الأخيرة توجه أنظارنا نحو الرسالة المسيحية. ولكن بداية سفر الأعمال ليست مجرد تكرار. إنها توضح أن رفقة الرسل الفصحية ليسوع دامت أربعين يوماً (تميز الرسل بهذا وصاروا جديرين بالرسالة)، وتهدم رجاءً رؤيوياً: إن الانتصار الفصحي لا يقيم حالاً ملكوت الله. وتؤكد هذه البداية أخيراً أن فترة ستدشن يطبعها مجهود الرسالة ونشاط الروح القدس: هذا هو زمن الكنيسة. بعد هذا يلعب خبر الصعود الثاني دوراً غير الخبر الأول: ينطلق من موضوع الارتفاع فيشدد على غياب المسيح وعلى مسؤولية الرسل الذين نبههم إليها الملائكة.

إذا أخذنا الكلام بحصر المعنى، لم يرسِل القائم من الموت الأحد عشر. إنه يعلن لهم مهمة، ويعدهم بالوسائل التي تساعدهم على إتمامها. ليس على الرسل أن ينطلقوا بل أن يبقوا حيث هم. إنهم لا يتفرقون بل يبقون أولاً. وأول صورة عن التلاميذ يرسمها لنا لوقا، هي صورة جماعة رسولية متحدة في الصلاة تحيط بها بعض النسوة ويتكلم باسمها بطرس قائدها. إن كلمة «رسل» لا تظهر في سفر الأعمال إلا في صيغة الجمع.

تروي الفصول الخمسة الأولى حياة جماعة الإثني عشر في أورشليم. أعيد تنظيم حلقة الإثني عشر، وهذا ما أتاح للوقا أن يعطي بفم بطرس تحديداً للرسالة. إذا أراد الواحد أن يكون شاهداً، فلا يكفي أن يكون رأى المسيح القائم من الموت، بل أن يكون تلميذه خلال رسالته على الأرض. فالإثنا عشر هم كافلون للشهادة قبل أن يكونوا جماعة من المرسلين. وتحقق وعد يسوع في عيد العنصرة. وإذ أراد لوقا أن يتصور قراؤه الحدث، استعمل تقاليد متعلقة بعطية الشريعة في سيناء. حقق أعمال 2 ما تضمنه خروج 19 ـ 20 وابتدأ الروح والكلمة ينتشران معاً في «الأيام الأخيرة»، كما قال لوقا ولم يخطئ، مشيراً إلى نبوءة يوئيل. هذا حدث في أورشليم كما أنبأ به أشعيا 2: 1 ـ 3. كان لوقا أميناً لمواعيد العهد القديم. فركز في المدينة المقدسة بدايات الكنيسة. ولكن هذا لا يعني الأمم إجمالاً، لهذا قدم لائحة بالأمم الشتات الذين سيفيدون من إعلان كلمة الله. إذا كان الروح القدس سيعطي التلاميذ الجرأة التي نقصتهم، فالكلمة المسيحية التي أعلنها يسوع أولاً اتخذت شكل خطبة ستكون نموذجاً لوعظ المرسلين. إن الخطب تتركز على شخص يسوع، فتذكر باقتضاب رسالته على الأرض. ثم إن موته الذي هو انتصار عابر لعنف البشر يترك المكان للقيامة التي هي قلب البشارة. ويستعين الواعظ بالكتب المقدسة من أجل مصداقية أقواله وينهي بتحريض على التوبة.

لم تسجل خطب المرسلين حرفياً كما قيلت. فالمؤرخون ينطلقون من فكرة عامة ويؤلفون خطب أبطالهم. ولكن هل يعني هذا أن لوقا جعل الرسل يقولون ما أراده هو؟ حاشا وكلا. إنه يسطر ولكنه لا يخترع. يجعل في فم بطرس ما اعتبره جوهر خطبته. إذاً ليست عظة العنصرة كلام بطرس بالذات، وليست كرازة خاصة بالزمن الذي كتب فيه لوقا. لقد وعى لوقا المسافة التاريخية، فميز بين أول التعابير العقائدية وبين التعابير

الكرستولوجية في زمانه. كما ميز بين كرازة رسولية وعظة يلقيها في جماعته. لا يظهر معنى الصليب حالاً، ولن تظهر قيمة الموت الخلاصية إلا في الخطبة الموجهة إلى مسيحيين.

بما أن الشهادة هي في نظره، تذكير بتاريخ وكشف لمعنى، فالخطب الكرستولوجية هي علامة حضور الرسل ونتيجة فن لوقا الإخباري. تأتي الخطب في الأوقات الحرجة فتتيح للإنجيلي أن يلقي ضوءاً على التاريخ: العنصرة، موت إسطفانس، ارتداد أول وثني، أول بعثة بولسية، مجمع أورشليم، أسر بولس. كل هذا يتخذ بعداً استراتيجياً بفضل الخطب.

إن خطبة بطرس الأولى حملت ثماراً فنتج عنها ارتدادات وتكونت جماعة انطلاقاً من نواة أولى. وصورت الجمالة الأولى مثابرة المؤمنين على تعليم الرسل (لا تعليم ليسوع دون وساطة الشهود)، على المشاركة الأخوية (طاعة لمتطلبات الإنجيل التي تفرض المقاسمة لا الفقر)، على كسر الخبز (أي الإفخارستيا وعشاء المحبة)، وعلى الصلوات (وهذا موضوع عزيز على قلب لوقا).

الرسائل البولسية

لقد تعرفنا في جزء سابق من الموسوعة الشاملة للمذاهب والفرق والأديان على بولس الرسول، سيرته وحياته بين اليهود وخلال بشارته بيسوع المسيح حتى استشهاده. وفي هذا الجزء ستتعرف إلى رسائل بولس أو ما يعرف بالكنيسة بـ«الرسائل البولسية».

1 ـ الرسالتان إلى أهل تسالونيكي:

إذا قابلنا الرسالتين إلى تسالونيكي برسائل بولس الكبرى (1 كور، 2 كور، غل، روم) وبرسائل الأسْر (فل، كو، أف)، وجدنا أنهما أقل أهمية لأن المواضيع البولسية العظيمة لا تبرز بعد بوضوح. ففي هاتين الرسالتين يستعيد بولس الرسول المواضيع الأساسية للكرازة الأولى ويشجع جماعة مسيحية لتعيش في رجاء مجيء يسوع القريب. والرسالة الأولى تشكل أول وثيقة مسيحية وصلت إلينا، عشرين سنة بعد أحداث القيامة، وهي تساعدنا على اكتشاف آثار أول تعابير الإيمان بالمسيح، وعلى تحديد حيوية البشارة في بدايتها. والرسالة الثانية التي أرسلها بولس بضعة أشهر بعد الرسالة الأولى تشكل امتداداً للتعليم الذي ورد في الأولى إلى تسالونيكي.

أ ـ تسالونيكي:

تسالونيكي ـ سالونيك الحالية والمدينة الثانية في اليونان اليوم ـ كانت عاصمة مكدونية يوم صارت مقاطعة رومانية سنة 146 ق. م. أسسها أحد قواد الإسكندر الكبير حوالي السنة 300 ق. م. وسماها باسم امرأته التي كانت أخت الإسكندر من أبيه. تقع هذه المدينة في خليج ترمايك وتستند إلى سلسلة من التلال. تصل إليها طرق رومانية من الدرجة الأولى: طريق أغناطيا التي تربطها بألبانيا الحالية، وطريق أبيا الآتية

من رومة والمتوجهة إلى آسية الصغرى والبحر الأسود، تمر فيها وتتوجه نحو الشمال، إلى نهر الدانوب. بعد سنة 42 ق. م.، صارت تسالونيكي مركز قنصل وممثل مباشر لمجلس الشيوخ وحصلت على لقب مدينة حرة لأنها تشيعت لأوكتافيوس وقد أصبح الإمبراطور أغوسطس سنة 27 ق. م.، وستستفيد المدينة من السلام الروماني لتزيد في غناها. وحكت نفسها بنفسها بواسطة مجلس يختار حكامه[1]، وتنوع سكانها فكانوا من اليونانيين والإيطاليين والشرقيين من سوريين ومصريين ويهود. أما اليهود فلهم مجمعهم وتأثيرهم في المدينة بحيث أصغى إليهم الحكام ولبوا مطالبهم. ولن يكتفوا بأن يثيروا بعض الرعاع على المبشرين في تسالونيكي بل سيلاحقونهم إلى بيرية.

ب ـ كنيسة تسالونيكي:

وصل بولس إلى تسالونيكي مع سلوانس وتيموثاوس بعد أن طرد من فيلبي على أثر اضطراب حدث في المدينة كلفه هو وسلوانس الجلد وليلةً في السجن. وبدأ كعادته فأعلن البشارة لليهود في المجمع يوم السبت. ويقول لوقا إنه جادلهم ثلاثة سبوت وبيَّن لهم كيف كان يجب على المسيح أن يتألم ويقوم من بين الأموات. وبما أن قصد الله تحقق ـ فمن يبشرهم به هو المسيح الذي يرجو اليهود مجيئه ـ قال: «يسوع الذي أبشركم به هو المسيح». هذا الإعلان أعطى اليهود ذريعة ليشكوا بولس والمسيحيين أنهم يتعدون أوامر القيصر ويزعمون أن هناك ملكاً آخر، غير الإمبراطور، اسمه يسوع.

هذه الإشارة التي نقرأها في سفر الأعمال تقدم لنا معلومات عن نتيجة هذه الرسالة التي قام بها بولس ورفاقه في صيف سنة 50: أسسوا مجموعة من المسيحيين فيهم اليهودي وغير اليهودي. وكان عدد اليهود قليلاً، وهذا ما نستنتجه من كلمة «بعضهم»، ومن عدم إيراد نصوص العهد القديم، ومن هجوم بولس على اليهود الذين سينزل عليهم في النهاية غضب الله[2]؛ وفيهم عباد الله وخائفوه وهم مؤمنون غير يهود يتعبدون لإله إسرائيل ويحفظون بعض الشرائع الأخلاقية الخاصة باليهودية؛ وفيهم كثير من اليونانيين من أهل تسالونيكي؛ وفيهم أخيراً عدد كبير من السيدات الفاضلات وقد ذكرهن لوقا ليحارب الرأي القائل إن الجماعات المسيحية مكونة من أناس لا حسب لهم ولا نسب.

---

(1) أعمال 17: 5 ـ 8.

(2) 1 تس 2: 14 ـ 16.

هذه اللوحة عن نتائج الرسالة تدفعنا إلى القول إن بولس لم يكتفِ بالتوجه إلى اليهود والخائفي الله ثلاثة سبوت في المجمع، بل ظل وقتاً أطول، وعمل بيديه وتسلم مساعدة من أهل فيليبي مرةً ومرتين. وستنتهي إقامة المرسلين الثلاثة في تسالونيكي كما انتهت في فيلبي: هيج اليهود الناس فأجبروا بولس وسلوانس على مغادرة المدينة والتوجه إلى بيرية ليلاً. وهكذا مارس بولس رسالته في كنيسة جاء أكثر أعضائها من الوثنية فرباهم تربية مسيحية جديرة بهذا الاسم. ولما ترك الجماعة الجديدة كان إيمانها قوياً بحيث انتصرت على المحنة.

ج ـ مضمون 1 تس:

هناك قسمان متقابلان ينتهيان بصلاة يرفعها بولس. القسم ينتهي بهذه الكلمات: «نرجو أن يمهد الله أبونا وربنا يسوع طريق المجيء إليكم... وأن يقوي قلوبكم بقداسة لا لوم فيها». والقسم الثاني ينتهي بهذه الكلمات: «إله السلام نفسه يقدسكم في كل شيء ويحفظكم منزهين عن اللوم، سالمين روحاً ونفساً وجسداً».

بعد العنوان والتحية يذكر القسم الأول بالعلاقات بين المرسلين والتسالونيكيين في وقتين هامين. الوقت الأول، حين أسست الكنيسة، وهنا يرسم بولس الرسول أمامنا لوحتين، لوحة أولى تبدأ بفعل شكر وتشدد على طابع الكرازة التي اتسمت بقوة الله وتشير إلى قبول التسالونيكيين للإنجيل بصورة عجيبة، ولوحة ثانية تعلن أن موقف بولس ورفيقه كان مقدساً عادلاً ولا لوم فيه وأن المؤمنين آمنوا واحتملوا الآلام بشجاعة. أما الوقت الثاني فبعد ذهاب المرسلين، وهنا يصور بولس شوق المرسلين إلى رؤية المؤمنين مرة ثانية ويخبرهم كيف ذهب تيموثاوس إلى تسالونيكي وكيف عاد يحمل الأخبار الطيبة. وينتهي هذا القسم بالصلاة.

أما القسم الثاني فيشتمل على تعليمات وتحريضات. فبعد مقدمة عامة عن التقدم المطلوب في الإيمان يذكرهم الرسول بالعفة والقداسة والزواج المسيحي، ثم بالمحبة الأخوية. ومن ثم يحدثهم عن الذين ماتوا: سيقومون ويجتمعون مع الأحياء إلى الرب؛ وبانتظار مجيء الرب الذي لا نعرف متى يكون نجاهد الجهاد المسيحي. وبعد أن ينبههم إلى احترام المسؤولين يحرض الجميع ليحيوا حياة مسيحية. وينتهي هذا القسم الثاني بصلاة ختامية وبتمنيات ودعاء.

د ـ مضمون 2 تس:

يشكر بولس الرب على تقدم التسالونيكيين في الإيمان. وسوف ينال ثباتهم في الاضطهاد جزاءه حين مجيء الرب الذي يحمل العقاب إلى المضطهِدين. وبعد العنوان والسلام نعرف أن التقوى والتصبر في الاضطهاد هما ضمانة خلاص في يوم الدينونة. ومن ثم يصحح بولس نظرة خاطئة عن قرب مجيء الرب، بلبلت قراءه. فيوم الرب لا يمكن أن يكون الآن هنا لأنه سيسبقه الكفر وظهور رجل الهلاك، غير أن ظهور الكفر يتأخر بسبب عائق يذكره الرسول ولا يقول اسمه وكأني بقرائه يعرفونه. أما مجيء الرب المجيد فيضع حداً لانتصار رجل الهلاك ويحكم بطريقة نهائية على كل الذين خدعوا به وقبلوا خداعه. أجل هناك علامات لمجيء يوم الرب وهناك ما يفسر تأخيره. لكن حين يجيء الدجال يجيء الرب ويتغلب عليه بل يخضعه للدينونة. وبعد كلام الشكر والصلاة والتشجيع نسمع الرسول يحذر المؤمنين من ترك أشغالهم عن كسل فيذكرهم بمثله وتعليمه ويقدم لهم قواعد تطبقها الكنيسة على الذين يعيشون في الفوضى. وتنتهي الرسالة الثانية إلى تسالونيكي بصلاة وسلام، ثم توقيع يؤكد فيه بولس أن الرسالة رسالته فلا يخاف المؤمنون من الضلال والمضلين.

ـ الرسالتان إلى أهل كورنتوس:

الرسالتان إلى أهل كورنتوس هما أطول مراسلة بين بولس وبين جماعة مسيحية محددة. يشكلان معاً 29 فصلاً. وهما يعطياننا صورة عن الكنيسة الأولى فيساعداننا على التفكير في كنيستنا اليوم واستنباط الحلول التي تحتاج إليها. سنتعرف إلى جماعة تعيش هي أيضاً صعوباتها وتساؤلاتها وآمالها. وسنقرأ حواراً حياً بين كنيسة تحاول أن تعيش الإنجيل وبين رسول يفعل ما يقدر ويدل على عجزه مراراً أمام واقع يتحداه. يلمح بولس إلى ما وصله من أخبار حملها مسافر جاء من كورنتوس، أو إلى مسائل وجهها إليه الكورنثيون في بريد سابق. ويخطط لزيارة كورنتوس ليذلل الصعوبات، ولكنه يعدل عن مشروعه في الدقيقة الأخيرة لئلا ينفجر غضب لم يكبح فيحْدِث أضراراً. وباختصار الكلام نحن أمام حياة تمتد أمام عيوننا فتتيح لنا أن نكتشف جماعة مسيحية، ونتعرف إلى شخص بولس ذلك الذي ترك أكبر أثر في المسيحية على مد عصورها.

ويبرز في الرسالتين إلى كورنتوس وجه يسوع المسيح الذي أغرم به بولس. إن

غضِب أو أظهر عواطف الحنان، فيسوع يحتل المقام الأول في قلبه. وفي هذا يشبهنا بولس: فهو مثلنا لم يعرف يسوع خلال حياته على الأرض، ولكنه يريد دوماً أن يحيا حياة حميمة مع ذلك الذي قام من بين الأموات. وهكذا يصبح المسيح حاضراً في كل سطر من هاتين الرسالتين فنشارك بولس في اللقاء الذي تم له على طريق دمشق وما زال يعيش منه كل حياته.

إذاً نتعرف إلى كنيسة، إلى رسول، وإلى شخص يسوع المسيح. هذا ما نغتني به لدى قراءتنا 1 كور و2 كور اللذين وقعهما بولس بيده وأرسلهما إلى كنيسة معينة ومن خلالها إلى كنائس الله في كل زمان ومكان.

ـ مدينة كورنتوس:

تقع كورنتوس جنوبي المضيق الذي يربط يونان البرية بالبلوبونيز. نجد إلى الغرب خليج كورنتوس الذي يتصل ببحر الأدرياتيك، وإلى الشرق بحر إيجيه. أما المدينة فتقوم على ملتقى طريق برية وطريق بحرية وهي مهيأة لأن تلعب دوراً هاماً في مجال الاتصالات. أما اليوم فقد تغيرت الحال بعد أن فتح قنال يبعد بضعة كيلومترات إلى شمال مدينة صغيرة تعد عشرين ألف ساكن فلا تعطينا فكرة واضحة عما كان هذا المرفأ الكبير كما عرفه القديس بولس.

في القديم كانت الدورة حول البلوبونيز مغامرة خطرة بسبب شاطئها الصخري ورياحها التي لا تهدأ. لهذا كان الملاحون يفضلون أن يعبروا المضيق (وعرضه يقارب 6 كيلومترات ونصف كيلومتر) على طريق معد لنقل السفن من بر إلى آخر. فكان الناس والبضائع ينزلون في كنخرية على بحر إيجيه ويبحرون من ليخيون على خليج كورنتوس. وهكذا يؤم مدينة كورنتوس جمع من الملاحين والمسافرين طوال المدة المطلوبة لتنتقل السفينة من البحر إلى الخليج. فيمتزجون بالتجار والصناع المحليين الذين يعيشون من نقل البضائع أو تحويل المواد الأولية فيجعلون من هذه المدينة عالماً واسعاً ومتحركاً. لقد عرفت كورنتوس نشاط أي مرفأ مزدهر وعرفت تسليات كل مدينة كبيرة منذ السياحة إلى المجون، وهذا ما أعطى المدينة شهرة سيئة عبر حوض البحر الأبيض المتوسط.

لعبت كورنتوس دوراً اقتصادياً وتجارياً وزادت على هذا نشاطاً إدارياً هاماً. فحين أراد الرومان أن يحتلوا اليونان، سارت كورنتوس على رأس المدن اليونانية وقاومت

الجيوش الغريبة. ولكن حين انتصر الرومان هدموا المدينة من أساسها سنة 146 على يد لوسيوس موميوس. ولكن يوليوس قيصر سيعيد بناءها سنة 44 ق. م. ويجعلها قاعدة مقاطعة أخائية الرومانية (جنوبي اليونان الحالية) بينما كانت تسالونيك عاصمة مكدونية (في الشمال). وكان الموظفون كثراً تسندهم فرق عسكرية هامة أوْكِل إليها المحافظة على النظام قدر المستطاع.

ما كان عدد سكان كورنتوس؟ كيف نعد مدينة تعج بالعبيد العاملين في بيوت الأغنياء فيحسبون كالحيوانات؟ ولكن المؤرخين يقولون إن سكان كورنتوس كانوا حوالي 500000 نسمة وهذا ما يساوي نصف سكان روما في ذلك الوقت: فكورنتوس من أهم مدن الإمبراطورية، وهي أعظم من أثينا التي خسرت دورها الرفيع وانعزلت في جامعاتها ومدارسها. نقول هذا الكلام لنشير إلى ضخامة العمل الذي سيقوم به ذلك اليهودي الصغير في مدينة عالمية لا تملك من اليونانية إلا اسمها وبعض لغتها.

إن سفر أعمال الرسل هو المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عن تاريخ الكنيسة الرسولية، والقسم الثاني منه (ف 16 وما بعد) مخصص لرحلات القديس بولس. كتبه القديس لوقا أحد تلامذة بولس فجعله بشكل دفاع عن معلمه.

يقول سفر الأعمال إن بولس أقام مرتين في كورنتوس. يشير لوقا إلى المرة الثانية بالتلميح، فيقدم إلينا الطريق الذي سار فيه الرسول: «وسار في تلك الأنحاء (أي مكدونية) يشجع بكلامه الكثير جماعة المؤمنين، ثم جاء إلى اليونان، فأقام فيها ثلاثة أشهر. وبينما هو يستعد للسفر في البحر إلى سورية، تآمر اليهود لقتله، فرأى أن يرجع بطريق مكدونية»[1]. من الممكن أن يكون قضى هذه الثلاثة أشهر في كورنتوس. ولكن الخبر المقتضب لا يورد لنا الظروف التي دفعت بولس لأن يقوم بهذه الزيارة الثانية إلى عاصمة أخائية، ولا يقول لنا ما الذي حصل له خلال إقامته فيها. بل يشدد فقط على عداوة اليهود التي حدت ببولس على أن يعود بطريق البر عبر مكدونية ولا يعود إلى سورية بطريق البحر.

ولكن سفر الأعمال يطيل الحديث ويكثر من التفاصيل عن إقامة بولس في كورنتوس في المرة الأولى. جاء بولس من أثينا بعد أن مُني هناك بالفشل لأن المتعلمين

---

(1) أع 20: 2 ـ 3.

الأثينيين هزئوا بخطبته وبما احتوت من براهين عقلية. ولم يقتنع بالتعليم الجديد إلا قلة قليلة[1]. أما في كورنتوس فاستعمل أسلوباً اعتاد عليه: توجه أولاً إلى إخوته وبني جنسه وارتبط بيهود يعملون في مهنة كمهنته (صناعة الخيام) هما أكيلا وبرسكلة. أقام عندهما وعمل معهما فانخرط في الحياة الاجتماعية. وبدأ كرازته في إطار صلاة المجمع الذي جاء إليه سبتاً بعد سبت. وما انقضى بعض الوقت حتى تعلقت بعض العائلات بيسوع المسيح وقبلت المعمودية. ولكن أثيرت العداوة داخل الجالية اليهودية ضد بولس: فأجبر الرسول على قطع العلاقات مع إخوته وبني جنسه وعزم على التوجه إلى الوثنيين. ودام عمل بولس في كورنتوس أكثر من 18 شهراً بقليل. ولكن لم تهدأ القلاقل الآتية من الوسط اليهودي الرافض. فاتهمه إخوته أمام القنصل المساعد غاليون أخ سينيكا الفيلسوف اللاتيني الذي كان مدير كورنتوس حوالي السنة 52 (وجدت كتابة في دلفس).

وإذا أردنا أن نجمع المعلومات التي زودنا بها سفر الأعمال عن علاقة بولس بكورنتوس نصل إلى اللائحة التالية. أولاً: هناك زيارتان قام بهما بولس إلى كورنتوس. الأولى امتدت ثمانية عشر شهراً فكانت أول كرازة للإنجيل في عاصمة أخائية. والثانية دامت ثلاثة أشهر فقط. ثانياً نتعرف إلى اسم رفيقيْ بولس في رسالته: سيلا وتيموتاوس. ثالثاً: نتعرف أيضاً إلى أسماء المسيحيين الأولين: أكيلا وبرسكلة امرأته، تيسيوس، يوستس الذي كان رومانيا متعبداً لإله إسرائيل، كرسبس رئيس المجمع. رابعاً: نكتشف هوية خصوم بولس: يهود دفعته عداوتهم لأن يتوجه في حديثه إلى الوثنيين.

ـ تصميم 1 كور ونظرة عامة إلى مضمونها:

نستطيع أن نجد في 1 كور ثلاثة أقسام. في القسم الأول رتب الأمور حسب ما سمعه من أهل خلوة. في القسم الثاني أجاب على أسئلة الكورنثيين. في القسم الثالث قدم تعليماً عن اجتماعات الجماعة وعن قيامة الموتى مجيباً على تقرير شفهي قدمه إليه حامل الرسالة من أهل كورنتوس إلى رسولهم.

لن ندرس النص آية آية، بل نقدم نظرة إجمالية تتطرق إلى مشاكل الرسالة الكبرى

---

(1) أع 17: 16 ـ 34.

وتجمع الغنى الذي تحمله إلينا. نحن أمام تعليم ثمين ينطلق فيه بولس من أوضاع ملموسة ومشاكل عملية ليلقي به الضوء على الفكر المسيحي والحياة المسيحية.

توقف بولس في 1 تس و2 تس على فكرة مجيء المسيح وقيامة الموتى كنتيجة مباشرة لقيامة المسيح. وتطرق في الرسائل الكبرى (غل، 1 كور، 2 كور، روم) إلى الوضع المسيحي الحالي ولكنه لم ينس البعد الإسكاتولوجي. يبرز بولس ديانة التبرير المجاني في غل وروم ويبين لليونانيين أن المسيحية حكمة آتية من الله (تعليم 1 كور، 2 كور). وستتوسع رسائل الأسر (فل، كو، أف) في سر شخص المسيح.

اتصل بولس بالفلسفة اليونانية وأمل منها أن تحالفه ليحتل العالم الوثني ويقدمه إلى المسيح. ولكن الرسول سيعرف أن هذه الحكمة فشلت وحلت محلها حكمة الصليب. إلا أن الرسول سيحاول أن يكون يونانياً مع اليونانيين فيأخذ الكثير من المحيط الذي يبشره ويحول الكلمات والعبارات المأخوذة من العالم الهليني فيعطيها مضامين عميقة. أما أساس تعليمه فهو اختبار طريق دمشق، وتعليم المسيح والجماعة المسيحية الأولى كما عرف من خلال التقليد والكرازة الشفهية، والعهد القديم وشروح المعلمين اليهود له.

في **القسم الأول**: ترتيب الأمور، هناك تحزبات في الجماعة وشكوك تبدو عاراً على كنيسة كورنتوس. إن التحزبات الموجودة بين الكورنثيين تعارضا وحدة المسيح الذي مات من أجلهم والاسم الذي به تعمدوا. وسببها أن الكورنثيين اغتنوا بالمواهب فتكبروا وجعلوا المسيحية حكمة بشرية تشبه التفكرات الفلسفية التي يختار فيها الإنسان نظرته الخاصة. ولكن الحكمة الإلهية التي أرادت أن تخلص العالم بوسيلة جنونية في الظاهر، هي وسيلة صليب المسيح، تخزي حكمة هذا العالم. وهذه الحكمة تحققت في كورنتوس حيث دعا الله الجهلاء والضعفاء وحيث رفض بولس أن يلجأ إلى سحر الكلام والحكمة البشرية فما أراد أن يعرف إلا المسيح المصلوب.

هذا لا يعني أن لا وجود لحكمة مسيحية أي لتعليم متماسك يقدم تفسيراً دينياً لتاريخ البشرية ومخطط الله. ولكنها حكمة سرية لا يدركها العقل البشري إن لم يستنر بنور الله. وهو الروح القدس يكشف هذه الحكمة «للكاملين» ويسهل لهم الطريق لأن يتكلموا عنها بالكلمات التي تليق. ويبدو هذا السر الذي سيعرضه في أف في ثلاث

مراحل: حكمة الله السرية التي تتضمن كل الخيرات الخلاصية والعلوية موجودة منذ الأزل ومخفية في الله،وقد كشف هذا السر الروح القدس وكرز به وكلاء على غنى الله.

ما استطاع بولس أن ينقل هذه الحكمة إلى الكورنثيين. ما استطاع أن يعْطِيهم إلا الحليب أي تعليماً أولياً لأنهم ما زالوا جسديين كما تشهد بذلك انقساماتهم بالنسبة إلى الواعظين. وعارض بولس هذه الخلافات بنظرة صحيحة إلى الوظيفة الرسولية: وعاظ الإنجيل هم مشاركون لله وسيدانون على وظيفتهم. ليسوا أسياد المسيحيين الذين يفتخرون بهم بل خادمين لهم. فالمسيحيون يخصون المسيح ويشاركونه في ملكه الشامل. وقد أراد الرب أن يكون الوعاظ متضعين ومجردين عن كل شيء. لئلا يفتخر بهم أحد بل يفتخر بالإنجيل الذي يحملونه.

هل نستطيع أن نتعرف إلى هذه الأحزاب التي تؤلف جماعة كورنتوس؟ هناك أربعة أحزاب. محازبو أبلوس ذلك الخطيب اللامع، وكانوا يهتمون بالفلسفة اليونانية. محازبو كيفا (أو بطرس) هم مسيحيون جاؤوا من فلسطين ورفضوا أن يعتبروا بولس رسولاً. محازبو المسيح الذين يرفضون كل سلطة خارجية ويعتبرون أنْ لا رئيس لهم إلا المسيح ولا معلم لهم إلا المسيح. والحزب الرابع هو حزب بولس نفسه.

كانت الشكوك التي تشوه جماعة كورنتوس هي مناسبة ليشدد بولس على المتطلبات الأخلاقية للمثال المسيحي، وهي تدفع الرسول لأن يقدم ثلاثة توسعات. يخصص التوسعان الأول والثالث للنجاسة والثاني للدعاوى: ويتلفظ بولس متحداً بالجماعة بالحرم ضد الرجل الذي يعيش مع امرأة أبيه، من أجل إصلاح الخاطىء وخلاصه. والجماعة مدعوة أيضاً لأن تتخلص من الخمير العتيق، خمير الخطيئة، لأن المعمدين فطير وعجين بلا خمير. ويذكر بولس المسيحيين أنهم سيدينون العالم والملائكة وأنهم بالتالي يستطيعون أن يحكوا في دعاوى تقام بينهم، فكيف يلجأ بعض الإخوة إلى محاكم وثنية لفض خلافاتهم؛ يجب أن لا يكون الأمر هكذا. لقد غسلوا وتبرروا وتقدسوا وانسلخوا عن عالم الخطيئة. ردد المؤمنون عبارة يقولها الرواقيون: كل شيء يحِل لي، فأعلن بولس أن الجسد الذي صار عضو المسيح في المعمودية يخص المسيح وهو هيكل الروح القدس. وبالتالي، فهو مخلوق للقيامة لا للزنى والفجور.

أما في القسم الثاني فهناك إجابات على أسئلة الكورنثيين: هناك سؤال عن الزواج والبتولية، وسؤال عن اللحوم المذبوحة للأصنام. في الزواج والبتولية: يتطرق الرسول أولاً إلى مسألة الزواج والبتولية، ثم ينتقل إلى اعتبارات عامة، ويعود أخيراً إلى الموضوع الأول يعالجه بطريقة جديدة.

تساءل بعض المسيحيين: أما يجب أن تكون المحافظة على العفة قاعدة عامة. أجاب بولس: البتولية حالة كريمة وهي أفضل من الزواج، ولكنها عطية نادرة. ما كتب الرسول مقالاً في الزواج، ولكنه تطرق إلى وضع خاص (كيف نحيا حياة مسيحية وسط مجتمع فاسد؟) فنصح بالزواج كوقاية ضد الزنى ولم يتوقف عند أهدافه السامية. في حالة الزواج يفرض على الزوجين القيام بالواجبات الزوجية، لأن كل: أحد يخص الآخر. وإن توقفت ممارسة هذا الحق فلِوقْت محدد وباتفاق تام من أجل التفرغ للصلاة. أما الطلاق فيحرمه المسيح نفسه. غير أن بولس يسمح به بسلطته الخاصة إذا رفض الزوج الوثني أن يعيش بسلام مع الزوج المسيحي. هذا ما نسميه الإنعام البولسي. وينتقل الرسول من هنا إلى قاعدة عامة: المسيحية تستطيع أن تتكيف مع كل حالات الحياة وتقدسها، فلا يجب على المسيحي أن يتهرب من الوضع الخارجي (ختان أو لا ختان، عبودية أو حرية) الذي وجد فيه حين دعي إلى الإيمان. فلا قيمة أخلاقية للختان أو للاختان. فالمهم هو حفظ الوصايا. ثم إن الإنسان يرتد إلى المسيح فيصبح عبد المسيح، والعبد الذي يرتد إلى الرب يحرره الرب.

بعد هذا يعود الرسول إلى مسألة الزواج والبتولية ليتطرق إليها من وجهة فردية. هنا أيضاً لم يحصل على أمر من الرب لهذا فهو يعطي نصيحة شخصية. ليس الزواج بخطيئة. ولكن لأننا وصلنا إلى الساعة الأخيرة، ولأن الوقت الذي يفصلنا عن النهاية قصير، فالأفضل أن نحافظ على العفة المطلقة لأنها تساعدنا على أن لا ننقسم، بل نكون بكليتنا لما هو للرب. وزاد الرسول على هذه المبادئ الحل لقضيتين. الأولى: قضية الأب الذي يتردد في أن يزوج ابنته، الثانية: قضية المرأة التي مات زوجها.

العفة هي عطية من الله،وتلك فكرة نجدها في التقليد الإنجيلي. ويميز بولس الزواج بين المسيحيين حيث يمنع الطلاق وزواج المطلقين، والزواج بين المسيحي وغير المسيحي الذي ينظمه بسلطته الخاصة.

ثانياً: أكل اللحوم المذبوحة للأصنام، كان قسم من اللحوم المذبوحة للآلهة الوثنية يباع في السوق. وكان اليهود يعتبرون هذا الطعام نجساً. فماذا يجب على المسيحيين أن يفعلوا؟ إن مجمع أورشليم منع استعمال لحوم الأصنام[1]، ولكن بولس لم يفرض هذه الفريضة على المرتدين في كورنتوس، لأنه لو فعل لعزل هؤلاء المسيحيين عن محيطهم. ولكن هناك من يتردد. فاهتم بولس بتربية ضمائر المسيحيين. انطلق من مسألة تعداها الزمن، ولكنه استفاد من الظرف ليعطي تعليماً مهماً.

يبدأ الرسول فيعطي المبادئ التي تسود لحوم الأصنام ثم يعطي مثلين: مثل بولس نفسه ومثل العبرانيين في البرية، وأخيراً يعود إلى لحوم الأصنام ليعطي الحل العملي.

وإليك المبادئ: يعرف المسيحيون أن الأصنام ليست شيئاً، ولكن هذه المعرفة ليست في الجميع. فإن أكلنا من لحوم الأصنام شككنا إخوتنا أصحاب الضمائر الضعيفة. لهذا تفرض علينا المحبة أن نمتنع عنها وإلا أخطأنا ضد المسيح. فالمسيحي يعرف أن يتخلى عن حريته وعن حقوقه. هذا ما فعله بولس نفسه فما طالب يوماً بحقوقه ليعيش من الإنجيل بل اعتبر أنه فخر له أنْ يعلنه مجاناً. وهو من أجل قضية الإنجيل يجعل نفسه كلاً للكل ويحرم نفسه من كل شيء على مثال الراكضين في الحلبة. وفي البرية سقط آباؤنا بالشهوة والشرك بعد أن تعمدوا في الغمام والبحر (الغمام قاد العبرانيين وعبور البحر الأحمر رمز إلى المعمودية المسيحية). واقتاتوا من طعام وشربوا شراباً روحياً (المن ومياه الصخر هي رمز إلى الإفخارستيا). والخطر ذاته يكمن للمسيحيين: أن يشاركوا في مائدة الشياطين بعد أن يشاركوا في مائدة الرب.

وبعد هذا العرض التعليمي الغني، يعود بولس بالتفصيل إلى الاستنتاجات العملية: يستطيع المؤمن أن يأكل من كل ما يباع في السوق وما يقدم له على المائدة دون أن يسأل، ولكن إن قيل له إن هذه لحوم أصنام عليه أن يمتنع لئلا يشكك الآخرين. وهنا يتم التناسق بين المعرفة والمحبة في حرية المسيحي الحقيقية.

أبرز بولس خطر الشكوك وقال: من أخطأ ضد القريب أخطأ ضد المسيح. وهكذا تذكر التقليد الإنجيلي كما نقرأه خاصة في مت 17: 1 ـ 2. والعبارة في 9: 14 (أمر الرب أن الذين يبشرون بالإنجيل يعيشون من الإنجيل) تعود إلى قول يسوع. وأعلن

---

(1) أع 15: 28 ـ 29.

بولس أنه رغم حريته صار عبداً للجميع ليربح أكبر عدد ممكن، فتذكر أقوال يسوع الذي ما جاء لِيُخْدَمْ بل لِيَخْدِمْ ويقدم حياته فديةً عن كثيرين. وعاد بولس إلى العهد القديم حين تحدث عن عبور البحر الأحمر وأحداث البرية. ولكن أسفار موسى لا تكفي لتفسر أقوال بولس. فعبور العبرانيين وسط الغمام لا يعرفه سفر الخروج الذي يشير إلى غمامة تسبق العبرانيين أو تتبعهم. وكيف نفسر عبور العبرانيين في البحر والنص يقول إنهم ساروا على اليابسة؟ وكيف نفسر أيضاً ذكر الصخر الذي يرافقهم والذي هو المسيح؟ إن بولس يتصور أحداث البرية كما كان يتصورها اليهود في عصره على ضوء بعض المزامير وسفر الحكمة وفيلون الذي ماثل بين الصخر وحكمة الله،وتقليد الرابانيين الذي يتحدث عن الصخر المرافق. وبما أنه يستعمل أحداث البرية لتعليم المسيحيين فهو يعيد تفسيرها على ضوء الواقع المسيحي الذي يعطيها عمقاً جديداً. فهو حين يتكلم عن العماد في موسى يفكر في العماد بالمسيح.

في القسم الثالث هناك تعليمات عن حياة الجماعة وقيامة الموتى. يتطرق هذا القسم إلى حجاب النساء، والاحتفال بعشاء الرب، والمواهب وقيامة الموتى.

ـ حجاب النساء:

هذا التوسع موجه ضد أمر لا يتوقف عند لباس النساء. ثبتت غل 28:3 المساواة بين الرجل والمرأة في العالم المسيحي. هذه المساواة تشير إليها 11:11. إن بولس يهاجم الفوضى ويحاول أن يضع حداً للتجاوزات فيشدد على تنوع الوظائف في النظام المسيحي أيضاً وعلى خضوع المرأة للرجل. وإلى هذا الخضوع يرمز الحجاب الذي تلبسه النساء في الاجتماعات. يعود الرسول إلى براهين كتابية ولاهوتية (خلْق المرأة من الرجل، حضور الملائكة في الجماعات المسيحية) وأخلاقية (اللياقة والحشمة). وإذ أراد أن ينهي الجدال جاء بتقليد كنائس الله.

ـ الاحتفال بعشاء الرب:

إن الطقس الإفخارستي يعيد عشاء يسوع الأخير ويتم وسط عشاء المحبة. كان عشاء المحبة يسبق الاحتفال بالإفخارستيا. عشاء الرب هو أعمق تعبير عن اتحاد المسيحيين ولكن رافقته الانقسامات في كورنتوس. كل فريق يأكل وحده. الأغنياء

يتشارهون والفقراء يجوعون. أراد بولس أن يداوي هذا المرض فرجع كعادته إلى المبادئ السامية وذكر ظروف تأسيس الإفخارستيا وهدفها وخطورتها: فمن يشارك فيها وهو غير أهل لها يجلب على نفسه عقاب الله. أجل، سنجد في هذا النص أقدم وثيقة عن تأسيس سر الإفخارستيا على يد يسوع.

ـ المواهب:

نجد أولاً في هذا التوسع الطويل إعلان المبدأ المتعلق باستعمال المواهب، ثم نشيد المحبة التي تسمو على كل المواهب. ونعود أخيراً إلى موضوع المواهب من أجل الممارسة العملية.

ينظم بولس استعمال المواهب حسب المبادئ التالية: تأتي المواهب الحقيقية من الروح القدس وهي تختلف عما عند الوثنيين من إثارات انخطافية تجعلهم يضيعون. هذه المواهب لا تدفعنا إلى التجديف وينبوعها الواحد الأقانيم الإلهية الثلاثة. وهذا التنوع فيها يعود إلى أنها أعطيت لفائدة جسد المسيح. أعضاء جسد الإنسان متنوعة وكذلك أعضاء جسد المسيح، فلها وظائف متنوعة ومرتبة بحسب تسلسل. وإذا أردنا أن نبحث عن الموهبة العظمى فما لنا إلا المحبة. ويقدم بولس ثلاث قولات جوهرية تؤلف نشيد المحبة. القولة الأولى: أعمال البطولة الفائقة ليست بشيء من دون المحبة. القولة الثانية: المحبة أم الفضائل وملكتها وهي أوضع الفضائل وأكثرها عملية لأنها تظهر دوماً في بساطة الحياة اليومية. القولة الثالثة: المحبة تفوق النبوءات وموهبة الألسن والمعرفة وفضيلتي الإيمان والرجاء. إذاً لنطلب فضيلة المحبة ونفضل النبوءة على التكلم بالألسنة التي لا ينفع الكنيسة. فالتكلم بالألسنة يحتاج إلى من يفسر، وإن مارسناه حسِبنا الناس مجانين. أما النبوءة (أو الكرازة) فهي تبني وتعلم المؤمنين وغير المؤمنين. وبعد أن يعطي بولس حكماً يمليه عليه العقل السليم، يقدم بعض القواعد العملية الواجب اتباعها في الجماعة.

يورد بولس في 13: 13 الفضائل الإلهية الثلاث، الإيمان والرجاء والمحبة كما فعل في 1 تس 1: 3؛ 5: 8؛ غل 5: 5 ـ 6؛ روم 9: 12، 12؛ أف 1: 15 ـ 18؛ 4: 2 ـ 5. هذا يعني أن هذا المثلث يعرفه قراؤه. ويتوقف بولس عند تعليم جسد المسيح المذكور أيضاً في غل 3: 28 وروم 12: 4 ـ 5، ننطلق هنا من عاملين.

الأول: اتحاد سري بين المسيحيين والمسيح، وهذه الحقيقة وصلت إلى بولس في وحي طريق دمشق فاختبرها بشكل فريد. الثاني: مقابلة المجموعة بجسم حي.

ـ قيامة الموتى:

يرتكز واقع قيامة الموتى على قيامة المسيح التي تشهد لها ظهورات المسيح القائم بما فيها ظهور دمشق والتي تشكل الموضوع الأساسي للكرازة الرسولية والإيمان المسيحي. الرباط متين بين قيامة يسوع وقيامتنا. فإن رذلنا الثانية أنكرنا الأولى وأزلنا الإيمان والرجاء المسيحي. فقيامة المسيح هي ينبوع قيامة الموتى. كما أن خطيئة آدم وموته أدخلا الموت على الأرض في البشر، فانتصار المسيح على الخطيئة سيتم بانتصاره على الموت في اليوم الأخير. ثم يقدم بولس برهانين: ما معنى العماد عن الموتى إن لم تكن قيامة للأموات؟ لماذا يعرض بولس نفسه للمخاطر إن لم تكن قيامة للأموات؟.

ولكن كيف يقوم الموتى؟ هذا ما تفسره آ 35 ـ 38. إن القيامة تحول أجسادنا تحولاً عميقاً. فلا يكن لنا ارتياب في ذلك. فهناك أنواع عديدة من الأجساد، والله يقدر أن يخلق أنواعاً عديدة من الأجساد الروحانية. سيكون المسيح، آدم السماوي نموذج القائمين. وإذا وفر الموت الأحياء عند مجيء المسيح، إلا أن كل البشر سيتحولون في لحظة وحينئذ يتم النصر على الموت.

وتنتهي الرسالة بتوصية من أجل اللمة لقديسي أورشليم، بإعلان مشروع زيارة إلى كورنتوس يقوم به بولس وتيموتاوس، وبالتوصية ببعض الأشخاص.

ـ نص 2 كور:

اكتشف كودكس كامل حوالي السنة 200 وهو يتضمن قسماً كبيراً من 2 كور رقمه 46. وهناك برديات أخرى تعود إلى القرن الخامس أو السادس وهي تتضمن أجزاءً كبيرة أو صغيرة. أما إذا عدنا إلى المخطوطات القديمة ذات الحروف الكبيرة، فالسينائي (القرن الرابع) والفاتيكاني (القرن الرابع) يحويان 2 كور كاملة. أما النص الإسكندراني (القرن الخامس) فيغفل 4: 13 ـ 12: 6 والكودكس الأفرامي (القرن الخامس) يتوقف عند 8:10. وهناك 18 مخطوطة بين القرن السادس والقرن الثاني

عشر وهي تتضمن نص 2 كور كاملاً أو ناقصاً. وأهمها كلارومونتانوس (القرن السادس) الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس، وبورنيريانوس (القرن التاسع) المكتوبة في اللغة اللاتينية واليونانية والموجودة في ألمانيا.

نشير إلى أن قانون موراتوري الذي يعود إلى نهاية القرن الثاني يورد أول ما يورد 1 كور و2 كور. أما مرقيون (حوالي السنة 150) فيذكر 2 كور في قانونه وهذا ما يفعله إيريناوس وإكلمنضوس الإسكندراني وترتليانس وكل الترجمات القديمة.

ـ الرسالة إلى أهل غلاطية:

الرسالة إلى أهل غلاطية هي ابنة معركة بين بولس وخصومه نستشف من خلالها طبع بولس الفائر، وغضبه وحنانه واندفاعه من أجل الإنجيل، وحبه للمسيح. الرسالة إلى غلاطية رسالة قصيرة ولكنها تحتل مكانة مرموقة بين رسائل القديس بولس. فهي تتيح لنا أن نحدد مراحل حياة الرسول في خطوطها الكبرى. وهي تقدم لنا «إنجيلاً» مركزاً على صليب الرب يسوع، وتبين لنا الصعوبات التي جابهته في تثبيت رسالته وسْط الوثنيين. في هذه الرسالة يدافع بولس عن حرية المسيحي تجاه الشريعة اليهودية ويقدم للكنيسة الفتية الحرية بالنسبة إلى كنيسة أورشليم.

الرسالة إلى غلاطية رسالة الحرية والانفتاح. بما أن الله يخلصنا بالإيمان بالمسيح، فلا يحق لإنسان أن يكون عبد شريعة ونظام ومؤسسة مهما كانت عجيبة ومها بدت وكأن لا غنى عنها. إن بولس يدعونا إلى مغامرة الإيمان التي لا تحسب حساباً للصعوبات وتهزأ بما يخيف الناس ولا تتعلق بما يعطيه أماناً هو أقرب إلى السراب منه إلى الحقيقة.

رسالة كتبت في جو المعركة، فاختلف الشراح منذ القديم في قراءتها. فلقد هاجم أغوسطينس إيرونيموس الذي حسب هذه الرسالة إخراجاً مسرحياً. وفي القرن السادس عشر رأى لوتر مؤسس البروتستانتية في غل «عروس نفسه» فاستند إليها ليعلن التبرير في الإيمان ضد ديانة الأعمال. ولكن الشراح فهموا ارتباط الإيمان بالأعمال من أجل حياة مسيحية متوازنة.

الرسالة إلى غلاطية رسالة دوارة لا تتوجه إلى كنيسة واحدة (مثلاً إلى تسالونيكي

أو كورنتوس) بل إلى كنائس متعددة هي كنائس غلاطية. لم يكن في منطقة غلاطية مدينة هامة بشرها بولس، بل جماعات صغيرة مشتتة ترتبط بعضها ببعض برباط الإيمان الجديد.

ـ الرسالة إلى أهل روما:

الرسالة إلى أهل روما أهم رسائل القديس بولس وأطولها، وأغناها من الوجهة التعليمية، وأفضلها بنياناً. سميت رسالة ولكنها أكثر من رسالة، هي بحث ودراسة مطولة عن أعمق ما في الإيمان المسيحي. لا شك أن فكر بولس سوف يغتني فيما بعد في رسائل الأسر، ولكنه كان من العمق في روما بحيث سماها بعضهم وصية بولس الأخيرة. هي تتوجه إلى كنيسة خاصة، إلى روما، ولكنها تعالج مسائل حياتية لم يتجرأ أن يتصدى لها أحد في الديانة المسيحية. لهذا احتلت مكانة مرموقة في علم التأويل وفي علم اللاهوت، ففسرها أوريجانس ويوحنا فم الذهب وتيودورويتس القورشي وبلاجيوس وأغوسطينس وغيرهم. وستلعب دوراً هاماً في عصرين مهمين من تاريخ الكنيسة: في القرن الخامس يوم شدد البلاجيون في أفريقيا الشمالية خاصة على قوة الحرية في الإنسان على حساب النعمة الإلهية، وفي القرن السادس عشر يوم أعلن البروتستانت مجانية الخلاص وأهمية الإيمان دون الأعمال. سنحاول قراءة هذه الرسالة فنتعرف إلى الجماعة التي وجهت إليها، والظروف التي أحاطت بكتابتها، والتعليم اللاهوتي والأخلاقي الذي تتميز به.

ـ جماعة روما:

كانت روما عاصمة الإمبراطورية كلها، فكانت تستقبل غنى كل البلدان التي احتلتها، كما كانت تستقبل أناساً جاؤوا إليها من كل أنحاء المملكة. هؤلاء تجمعوا كلهم في هذه المدينة التي صارت عالما مصغراً، وزادوا في عدد سكانها فبلغ في القرن الأول المسيحي ما يوازي مليون نسمة تقريباً.

كان مجمل هؤلاء السكان من الطبقة الشعبية: مهاجرون أتقنوا الصناعة والتجارة، عبيد معتقون وآخرون ما زالوا في العبودية، أبناء أسرى الحرب الذين جاؤوا إلى روما في القرنين السابقين للمسيحية. وكانت الطبقة العالية طبقة الأرستقراطيين الحاكمة. وبدأ

يزاحمها على الحكم طبقة الفرسان وقد كانوا من الدرجة الثانية، ثم ضباط الجيش. ثم إن العبيد المعتقين ولاسيما العائشين في ظلال الإمبراطور زاد تأثيرهم في الأمور السياسية والاقتصادية ووصل بعضهم إلى أعلى المناصب. أما الآتون من الشرق فتجمعوا وعاشوا في أحياء خاصة بهم وشكلوا مجموعة كبيرة. وكان منهم اليهود الذين كونوا جالية متناسقة وقوية. ولقد دلت الحفريات على أنه كان لهم ما لا يقل عن ثلاثة عشر مجمعاً وستة مدافن خاصة بهم، وعلى أن عددهم راوح ما بين أربعين وستين ألفاً في روما في القرن الأول المسيحي. طردهم من روما قرار كلوديوس (سنة 49)، ولكنهم عادوا إليها بعد موت هذا الإمبراطور (سنة 54) أو قبل موته بقليل. ونحن نعرف أن بولس التقى خلال رسالته في كورنتوس ببعض التجار اليهود مثل أكيلا وبرسكلة (أصلهم من البنطس)، الذين تركوا المدينة بعد قرار الإمبراطور. ويبدو أن الذي أثار الاضطهاد عليهم هو الكرازة المسيحية التي حملها المؤمنون الآتون من الشرق. هذا ما يقوله المؤرخ سويتونيوس. ولكنْ متى دخلت المسيحية إلى روما ومتى تنظمت فيها كنيسة محلية؟ هذا ما لا نجد له جواباً.

ومهما يكن من أمر، فالرسالة إلى روما تشهد على وجود جماعة مسيحية. وسيقول لنا لوقا فيما بعد إن الإخوة (المسيحيين) جاؤوا من روما للقاء بولس السجين. وكان معظم هؤلاء الإخوة من الطبقة الشعبية، وبعضهم كان من اليهود كما تلمح إليه مقاطع عديدة من روم ولاسيما 15: 7 ـ 9. ولكن الشراح يختلفون حول نسبة اليهود والوثنيين في هذه الجماعة. ولكن الرأي الذي يأخذ به أكثر الشراح هو أن الأكثرية كانت من المسيحيين الآتين من العالم الهليني الوثني، بعد أن هرب قسم كبير من اليهود على أثر قرار كلوديوس. فإلى الوثنيين يتوجه بولس وهو يرغب أن يجني بعض الثمار الروحية عندهم كما عند سائر الأمم. وسيعود في النهاية إلى القول نفسه: إنه يريد أن يقدم لله الوثنيين المرتدين كذبيحة حقيقية.

هل جاء بطرس إلى روما وكم قضى فيها من السنين؟ يشهد على علاقة بطرس بروما الرسالة الأولى التي أرسلها البابا إكلمنضوس إلى كورنتوس سنة 95، ورسالة أغناطيوس إلى أهل روما. وتلمح 1 بط 5: 13 إلى إقامة بطرس في روما. إذاً، لا شك في مجيء بطرس إلى روما ولكننا نجهل متى جاء إليها. وإذا كانت روم لا تذكر اسم بطرس فلأنه كان غائباً عنها أو لم يأت إليها بعد.

يعتقد البعض أن المسيحيين من أصل يهودي هم أول من حمل بشارة الإنجيل إلى روما. ومن هذا القبيل نفهم أن تكون جماعة روما قد تأثرت ببطرس الرسول. واعتبر البعض الآخر أن بطرس ظل خمساً وعشرين سنة يدير كنيسة روما. ولكن لا شيء في التاريخ يسند هذا القول، وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن بطرس أقام في روما قبل مجيء بولس إليها. وقال آخرون إنه كان لمسيحيي روما أفكار خاطئة منذ ارتدادهم، يشهد على ذلك مقدمات لاتينية للرسالة إلى روما، وهذا ما دفع بولس لأن يكون عنيفاً في بعض مقاطع الرسالة.

ـ رسائل الأسر:

1 ـ الرسالة إلى أهل أفسس:

تشكل الرسالة إلى أهل أفسس إحدى رسائل السجن مع فل وكو وفلم. فكل هذه الرسائل كتبها بولس في السجن. فهو يقول في 3: 1: «لذلك أنا بولس سجين المسيح من أجلكم أيها الوثنيون». وفي فل 1: 7: «كلكم شركائي في النعمة، سواء في قيودي أو في الدفاع عن الإنجيل». ويعلن بولس في كو 4: 4 أنه «في القيود» من أجل المسيح وأن معه أسترخس «في الأسر». ولكن عن أي سجن نتكلم؟ تعلمنا 2 كور 11: 23 أن بولس سجن مراراً. ونعرف من أعمال الرسل أنه سجن بضعة ساعات في فيلبي، وأنه سجن سنتين (58 ـ 60) في قيصرية فلسطين وسنتين (61 ـ 63) في روما. وافترض بعض الشراح منطلقين من إشارات هنا وهناك فتحدثوا عن سجن بولس في أفسس حين أقام في هذه المدينة (53 ـ 56)، وأعلنوا أن رسائل السجن كتبت كلها في أفسس. ولكن كو وأف وفلم دونتا في روما في نهاية السنة الأولى من أسر بولس أي سنة 62 ـ 63.

دونت كو وأف في الوقت ذاته تقريباً، والقراء جيران، وأخطار الإيمان هي هي. لهذا برزت المواضيع نفسها. لهذا يجب أن نقرأ كو أولاً ثم أف. ونضم إلى هاتين الرسالتين فلم. أما فل فقد كانت آخر ما كتب بولس من رسائل السجن. فهو يمني نفسه بخلاص قريب. يقول: «أرجو أن أبعث إليكم تيموتاوس عندما يتضح مصيري. ولي ثقة بالرب أن آتيكم أنا أيضاً بعد قليل». وهذا ما دفع الشراح إلى الافتراض أن الرسول عاد إلى كنائس آسيا بعد خروجه من السجن، وزار تلك التي أسسها وغيرها، فشدد المؤمنين ونظم جماعاتهم.

ـ أفسس وكنيستها:

كانت أفسس مدينة هلينية كبيرة، ثم صارت عاصمة مقاطعة آسية الرومانية بعد أن أزاحت برغامس من مكان الصدارة. لهذا اهتم بها بولس اهتماماً خاصاً فغرس فيها الإنجيل الذي سيشع على المناطق المجاورة. مر بولس في أفسس مرة أولى في نهاية سنة 52 وخلال رجوعه من الرحلة الرسولية الثانية. ثم عاد إليها في بداية الرحلة الرسولية الثالثة فأقام فيها ما يقارب الثلاث سنوات من سنة 54 إلى سنة 57. ومن أفسس أرسل بولس المرتدين الجدد ليحملوا البشارة إلى المدن المجاورة، كما فعل أبفراس في كولسي. وهكذا انتشرت المسيحية سريعاً في مقاطعة آسية فشكلت ربع المسيحيين في ذلك الوقت. كانوا 80,000 من أصل 400,000، حسب تقدير بعض العلماء، في مقاطعة تعد أربعة ملايين.

ـ الرسالة إلى أهل فيلبي:

ما يلفت انتباهنا حين نقرأ فل هو طابعها الشخصي الشديد. فلقد أعطي لنا في هذه الرسالة، أكثر من غيرها، أن نحس بدقات قلب بولس. لا شك، لم تكن كنيسة فيلبي خاليةً من كل عيب، ولكن الرسول ما كان ليشك بأمانتها الأساسية للإنجيل وصدقها تجاه شخصه. هذه الصراحة جعلت بولس يحب أهل فيلبي ويسكب لهم قلبه في عواطف عميقة.

كانت فيلبي في أيام بولس تقع على هضبة تقابل مكدونية الشرقية. أحاطت بها الجبال فما وجدت لها منْفذاً إلا من جهة الغرب حيث يمر نهر أنجيتيس الذي يشق مجراه بين جبلين. واتصلت فيلبي ببحر إيجه بواسطة طريق تعبر جبل سمبولون وتصل إلى نيابوليس المدينة الجديدة، بعد ثلاث ساعات أو أربع من السير على الأقدام.

يشتق اسم فيلبي من فليبس الثاني ملك مكدونية ووالد الإسكندر الكبير الذي حول أماكن مغمورة إلى مدينة محصنة سنة 357 ـ 358. كانت المنطقة غنية بمعادن الذهب وهذا ما جعل المدينة تزدهر وجلب إليها السكان. في سنة 169 انتصر إميليوس الروماني على برسيس ملك مكدونية وحول بلاده إلى مقاطعة رومانية وقسمها إلى مناطق. وشكلت فيلبي جزءاً من المنطقة الأولى بعاصمتها أمفيبوليس. وبعد سنة 148 صارت مكدونية إقليماً رومانياً وكانت فيلبي مدينةً محطة على الطريق الأغناطية

المهمة التي تربط الشرق والغرب عبر ألبانيا الحالية. وخلال القلاقل الداخلية التي حصلت في القرن الأول ق م، انتصر أنطونيوس وأوكتافيوس في سهل فيلبى سنة 42 على المدافعين عن الجمهورية اللذين قتلا يوليوس قيصر وهما بروتوس وكاسيوس. وما أن انتهت المعركة حتى بدأ أنطونيوس يجعل من فيلبي عظمى المدائن، وتابع العمل أوكتافيوس الذي صار أغوسطس بعد انتصاره على أنطونيوس في أكسيوم سنة 31 ق م. فأسكن في المدينة جماعة من قدماء الحرب الذين رافقوه في انتصاراته، وجعل فيلبي مدينة رومانية يسود فيها الحق الإيطالي، فكانت تعامل كما تعامل مدن إيطاليا.

وعى السكان وضعهم: أنهم رومانيون، ولكنهم تألفوا من جنسيات مختلفة: فهناك أهل البلاد الأصليون، والجنود القدامى الذين جاء بهم أوكتافيوس، والمهاجرون الإيطاليون الذين تحزبوا لأنطونيوس فخسروا أملاكهم لصالح محازبي خصمه. تنوع السكان وتنوعت العبادات: فهناك عبادة الإمبراطور بوظيفتها الموحدة، وهناك عبادة التراقيين، السكان الأصليين، وعبادات أهل اليونان والأناضول وسورية ومصر. كل هذا شكل مزيجاً تلفيقياً بدا العالم اليهودي تجاهه حقيراً مع عبادته التوحيدية.

هكذا بدت فيلبي حين أمها بولس وجعل منها أول مدينة أوروبية تتقبل بشارة الإنجيل. أما اليوم ففيلبي تلة من الدمار بعد أن مر الأتراك فيها.

المرحلة التي يشكلها تأسيس جماعة فيلبي المسيحية هامة جداً. فهي الحقل الذي زرعت فيه أول بذور الإنجيل. ولقد أبرز كاتب سفر الأعمال تبشير فيلبي فروى كيف أن بولس حظي برؤية ليلية حين كان في ترواس من آسية الصغرى. بدا بولس كالآباء الأولين المتنقلين من مكان إلى آخر، فوجهه الله بطريقة علوية. «رجل مكدوني قائم لديه يتوسل إليه فيقول: اعبر إلى مكدونية وأغثنا»[1]. فعبر بولس شمالي بحر إيجيه برفقة سيلا وتيموتاوس، وبعد أن توقف في ساموتراكية وصل إلى نيابوليس. حينئذ سلك الطريق الأغناطية ووصل إلى فيلبي. وما مضت أيام حتى ذهب بولس ورفيقاه إلى خارج المدينة وانضما إلى الجماعة اليهودية الصغيرة التي كانت تصلي على شاطئ النهر يوم السبت. اجتمعت النساء هناك فتوجه إليهن بولس بالكلام. وكان

---

(1) أع 16: 9.

بينهن امرأة أصلها من تياتيرة في ليدية، ولهذا سميت ليدية، وكانت تبيع الأرجوان. كانت وثنية تتعبد لله أي أنها كانت تتعاطف مع الديانة اليهودية وتمارس بعض فرائضه. فقبلت الإنجيل الذي بشر به بولس ونالت سر المعمودية مع أفراد اسرتها، واستضافت في بيتها المرسلين الثلاثة.

كنا نتمنى أن يتابع سفر الأعمال خبره كما بدأه فيورد لنا كيف قام المبشرون بعملهم. ولكنه يروي لنا فقط بعض الأحداث. تبعتهم عرافة فأخرج بولس منها الروح الشرير فكلفه عمله السجن هو وسيلا. ويحدثنا النص عن نجاتهما وعماد السجان وأفراد أسرته. بعد هذا أطلق الحكام سراح الرسولين وأمروهما أن يغادرا المدينة. مهما يكن من هذه الاخبار التي نمقها الكاتب، لا شك في أن إقامة بولس الأولى في فيلبي رافقها الألم والاضطهاد. وهذا ما يشير إليه مرتين[1] كافلاً صحة أقوال أعمال الرسل. أجل، لم تسِرِ الأمور بالنسبة إلى المرسلين كما يجب، فأجبرا على مغادرة المدينة متجهين إلى تسالونيكي.

متى تأسست كنيسة فيلبي؟ إذا عدنا إلى تاريخ سيرة القديس بولس يمكننا أن نحدد هذا التأسيس بسنة 50. وهكذا تكون البشارة الإنجيلية وصلت إلى أوروبا عشرين سنة بعد موت يسوع وقيامته.

نص فيلبي ثابت وهو يكاد يكون كاملاً في بردية تعود إلى بداية القرن الثالث. أما المخطوطات الثلاث ذات الحروف الكبيرة التي تعود إلى القرنين الرابع والخامس فهي تتضمن النص كله. كتب بولس إلى كنيسة يعرفها وتعرفه، فبدا صديقاً يكتب إلى أصدقائه في المسيح. ولهذا لن نبحث عن تصميم منسق بل مواضيع ترافق فكره المهتم بأمر كنيسة أحبها وأحبته. كتب بولس وتيموتاوس إلى القديسين الذين في فيلبي، وإلى الأساقفة والشمامسة. نحن أمام جماعة منظمة فيها المؤمنون وفيها المسؤولون.

ـ الرسالة إلى أهل كولسي وفيلمون:

تحدثنا الرسالة إلى كولسي عن المسيح الذي هو صورة الله غير المنظور. لماذا كتبها بولس؟ أخذ المسيحيون في كولسي يتبعون معتقدات إيزوتيرية، باطنية، تمزج عناصر وثنية بعناصر يهودية ومسيحية. وهذه المعتقدات أعطت أهمية كبرى لقوى كونية، وقوات

(1) 1: 30؛ 1 تس 2: 2.

ملائكية، وكائنات تتوسط بين الله والإنسان، وتتدخل في مصير كل إنسان. وارتكزت هذه المعتقدات أيضاً على ممارسات عديدة تتوخى اجتذاب رضى هذه القوى.

تجاه هذه الممارسات «السحرية»، أعلن بولس أن المسيح هو الوسيط الوحيد والشامل بين الله والإنسان، بين الله والعالم المخلوق. كل ما تحقق تحقّق به، منذ الخلق حتى الخلاص ومصالحة كل شيء مع الله. هو رأس الخليقة. والمسيحيون يشاركونه في قدرته الخلاّقة والمحررة حين يتحدون به في موته وقيامته. فالإيمان بالمسيح هو الطريق الوحيد الذي يقود إلى الحكمة والحرية. وهو وحده يستطيع أن يحطّم الحواجز بين البشر، ويولّد علائق بشرية جديدة لا تتأسس على المزاحمة. بل على الأخوة.

والرسالة إلى فيلمون كتبها بولس طالباً من فيلمون، ذاك المسيحي الشريف، أن يقبل بمحبة أونسيمس، أحد عبيده الذي فر من بيته. كان بولس قد استقبله ورده إلى المسيح وأعاده إلى سيده، لا كعبد، بل كأخ حبيب. بل إن بولس طلب من فيلمون أن يرد إليه أونسيمس، بعد أن صار نافعاً، ليعمل معه في رسالة الإنجيل. لم يظهر بولس ثورة على العبودية، ولكنه يبين بشكل ضمني أن العبودية تتعارض مع الإنجيل، حيث لا عبد ولا حر، وحيث الجميع هم إخوة في المسيح.

رسالتان في كتاب واحد. حملهما تيخيكس إلى موضع واحد هو كولسي. توجهت كو إلى جماعة لم يبشرها بولس ولم يزرها، جماعة جاءت من العالم الوثني. وتوجهت الرسالة الثانية إلى مسيحي كان لبولس الأثر الكبير في ارتداده إلى الإيمان. رسالتان بعث بهما بولس من سجنه حيث رافقه عدد من العاملين فأسسوا جماعة مسيحية تكتب إلى جماعات أخرى، ومنها الجماعة التي تلتئم في بيت فيلمون.

رسالتان أرسلتا من موضع واحد أقام فيه بولس. ووصلتا إلى جماعة واحدة. حملتا إلينا تعليماً يُبرز شخصية يسوع المسيح الذي هو رأس البشرية كلها، ورأس كل جماعة مسيحية. يبقى علينا أن نسمع هذا التعليم فيتجسد في حياتنا كما تجسد في بيت فيلمون، ونعلنه في وجودنا كما أعلنه بولس لأهل كولسي حين قال لهم: «في يسوع خُلق جميع ما في السماوات وعلى الأرض... به وإليه خُلق كل شيء... وفيه ارتضى الله أن يحل الملء كله». له المجد إلى الأبد.

ـ كُولُوسي:

هي مدينة فريجية في آسيا الصغرى واقعة على نهر ليكوس قرب التقائه بأحد فروعه المدعو الميآندر على بعد 12 ميلاً من لادوكية. كانت كولوسي أولاً على الطريق التجارية الممتدة من الغرب إلى الشرق وكانت لها أهمية كبيرة بسبب ذلك. ولكن الطريق نقلت من هناك ففاقت عليها جارتاها لاودكية وهيرابوليس اللتان كانتا تبعدان عنها الواحدة عشرة أميال والثانية ثلاثة عشر ميلاً. وهكذا أخذت كولوسي في التقهقر. وقد اشتهرت بصوفها الناعم وبلديتها المستقلة تحت الحكم الروماني. وفي كولوسي نمت جماعة مسيحية بواسطة خدمة أبفراس وبعدئذ أرخبس. وقد كان فليمون عضواً عاملاً في هذه الكنيسة وكذلك أنسيمس. وقد كتب بولس الرسول رسالة لكنيستها. وربما زارها في سفرته الثالثة التبشيرية. ولم يبقَ من كولسي سوى خرب وتوجد الآن قرية وضيعة تسمى خوني على بعد 3 أميال جنوبي موضع كولوسي.

ـ مضمون الرسالة:

كتبها بولس أثناء مدة سجنه[1] ربما في رومية عندما سجن سنتين أول مرة حوالي عام 62م. ويعتقد البعض أنها ربما كتبت في قيصرية أو في أفسس. ويظهر من كو 1: 7 أن أبفراس هو الذي أسس كنيسة كولوسي أو أنه على الأقل ساعد في ذلك مساعدة فعالة وربما تأسست هذه الكنيسة بينما كان بولس يجاهد في أفسس[2]. ولما التحق أبفراس ببولس وأخبره بحالة الكنيسة في كولوسي، حرك تقريره هذا الرسول لكتابة رسالته هذه إليهم. وقد أرسلت الرسالة بيد تيخيكس الذي حمل أيضاً الرسالة إلى أهل أفسس، ربما كتبت هذه الرسالة في نفس الوقت أيضاً وقد ذهب معه أنسيمس الذي حمل أيضاً معه الرسالة إلى فليمون الذي كان يسكن في كولوسي والذي كان انسيمس عبداً سابقاً وقد هرب من عنده فلاقاه بولس وبشره فآمن بالرب يسوع المسيح وها هو يرجع الآن إلى سيده حاملاً رسالة الرسول له. وقد ذكر في كو 4: 17 أرخبس الذي ذُكر أيضاً في فليمون 2 والذي كان ربما ابناً لفليمون. ونستنتج من التحيات الموجودة في كو 4: 10 ـ 17 أنه ولو كان بولس لم يعمل في كولوسي فقد قام أصدقاؤه بالتبشير هناك بدل عنه، وأنه كان يعرف معرفة تامة بعض سكان كولوسي. وقد

---

(1) كو 4: 3 و10 و18.

(2) أعمال 19: 1 و10.

كان فيلمون أحد الذين آمنوا على يده. ويظهر أن أبفراس خادم كنيسة كولوسي أتى إلى رومية لكي يستشير بولس من جهة الآراء اليهودية الشرقية التي كان يكرز بها في كولوسي بعض اليهود الأسينيين. وكان لا بد لهذه الآراء من أن تفسد بساطة إيمان أعضاء الكنيسة هناك وتنقص من كفاية المسيح وسيادته. وقد دحض بولس هذه الآراء وأظهر لكنيسة كولوسي حقيقة أقنوم المسيح وكمال فدائه وحرضهم على أن يتحدوا مع ربهم في جميع ظروف الحياة وواجباتها. وتقسم هذه الرسالة إلى أربعة أقسام طبيعية:

1 ـ المقدمة والشكر.

2 ـ القسم التعليمي.

3 ـ تحريضات عملية.

4 ـ التحيات الختامية.

والقسم التعليمي في هذه الرسالة على أعلى درجة من الأهمية. وفيه يبدأ الرسول بابتهال لأجل نموهم في المعرفة والقداسة من ثم يرتفع إلى وصف أفضلية المسيح وتفوقه وسموه في علاقته بالله والكون والكنيسة. ثم يوضح في الإصحاح الثاني أفضلية المسيح وتفوقه وسموه لدحض أخطاء المخطئين الذين يذيعون أراء خاطئة عن المسيح، محققاً للمؤمنين كفاية المسيح التامة لهم بما أنه انتصر نهائياً ومرة واحدة على أعدائهم الروحيين. والمطلب الوحيد لنوال الخلاص واختباره عملياً في الحياة هو الاتحاد بالمسيح بالإيمان ليس سواه ولا شيء غير هذا.

أما القسم العملي فإنه يحث على الخلق الروحية الرفيعة ونظام اجتماعي سام كرد على ميول التنسك والزهد التي كانت سائدة حينئذ. لهذا فالرسالة لها جانب من الأهمية حيث اللاهوت المسيحي، فعلاوة على معالجتها للتعليم عن الخلاص كما في الرسائل الأخرى، فإنها توضح أفضلية شخص المسيح وتفوقه وسموه وتقدمه على كل من سواه، وكذلك تظهر بوضوح كفاية عمله الفدائي.

ـ الرسائل الرعاوية الثلاث:

إن الرسائل إلى تيموتاوس وتيطس التي تبدو كملحق بالنسبة إلى مجموعة رسائل القديس بولس، تشكل هي أيضاً مجموعة متناسقة مثل روم وغل، مثل أف وكو. وإن شددت 1 تم على تنظيم الكنيسة، وتي على الحياة المسيحية، و2 تم على التعليم

الصحيح، فالرسائل الثلاث تتمتع بالأسلوب الواحد، وتتضمن التعليم الواحد، وتتوجه ضد الميول المهرطقة الواحدة، وتفترض ظروف الزمان والمكان الواحدة. إذاً لا يمكنها أن تصْدر إلا عن قلم واحد فتشكل وحدةً أدبيةً وتاريخيةً ودينيةً.

سميت الرسائل الرعاوية فدلت على طابعها الخاص والمبتكر. فهي وحدها بين رسائل العهد الجديد تحدد شروط اختيار الخدام في الكنيسة، وطبيعة وظيفتهم ومداها، والفضائل التي يمارسونها. بالإضافة إلى ذلك فهذه التوصيات تهدف إلى تعليم تيموتارس وتيطس الواجبات المطلوبة من الرؤساء المسؤولين عن الكنيسة المحلية، وإلى تربية ضميرهم الرعاوي. «أكتب إليك بهذه الأشياء لتعرف كيف تتصرف ببيت الله»[1].

كتب بولس إلى اثنين من معاونيه الأمناء، فذكرهم بالنصائح والتحريضات التي طالما قالها لهما بصوته خلال رحلاته الرسولية. من هنا نجد أسلوباً حياً وبديهياً. ولكننا لسنا أمام رسالة خاصة من صديق إلى صديق مع ما في هذه الرسالة من مناجاة وبوح بأسرار القلب. فبولس يكتب كرسول، كشخص رسمي له سلطة إلهية وهو يمارس وظيفة عامة في التعليم والتدبير وحتى في التوبيخ. هذا من جهة، ومن جهة ثانية يتوجه من خلال تيموتاوس وتيطس إلى جماعة المؤمنين الموجودين في وضع يعرفه تماماً. قرئت تعليماته على الأساقفة والكهنة والشمامسة والرجال والنساء المتزوجين والشيوخ والشبان والعذارى والأرامل والعبيد وأسيادهم وفيها تحريض على ممارسات الواجبات والفضائل المرتبطة بوضعهم. وهكذا تستنير الكنيسة المحلية بمبادئ الإيمان الأساسية. فتعي ذاتها «كأسرة الله الحي» المنتظرة «الرجاء السعيد». من هذا القبيل تعتبر هذه الرسائل الرعوية والشخصية رسائل توجيه تجمع بين الواقع والمناسبة، وهي تشبه بأسلوبها إلى حد بعيد رسائل عديدة من العالم اليوناني أو رسائل جماعة قمران.

وجهت الرسائل الرعاوية إلى تيموتاوس وتيطس. فمن هما هذان الشخصان؟

تيموتاوس (ومعنى اسمه من يخاف الله) ولد في لسترة من أب يوناني (أي وثني) ولهذا اعتبر كذلك، ولم يختن في اليوم الثامن رغم أن أمه أونكة وجدته لوئيس كانتا يهوديتين. تربى تيموتاوس تربية دينية. ولما ارتدت أمه وجدته إلى الإيمان المسيحي أدخلتا الفتى في جو هذا الإيمان. وحين مر الرسول مرة ثانية في لسترة حوالي السنة

---

(1) 1 تم 3: 15.

50، قبل تيموتاوس أن يرافقه في رسالته فيحل محل مرقس. ختنه بولس ليسهل له رسالته وسْط أهل فريجية المتعلقين بالأمور اليهودية. ويمكن أن يكون الرسول والكهنة قد وضعوا عليه الأيدي فجهر تيموتاوس بإيمانه أمام شهود كثيرين. سار تيموتاوس مع بولس وسيلا عبر آسيا الصغرى ووصلوا إلى مكدونية. هل شارك تيموتاوس بولس في سجنه مثل سيلا؟ الأمر معقول، وسيرافق تيموتاوس بولس في هذه الرحلة الثانية ثم في الرحلة الرسولية الثالثة.

إذا عدنا إلى 1 تم 1: 3 نعرف أن تيموتاوس كان على رأس كنيسة أفسس وأنه سيأتي إلى لقاء بولس السجين في روما. هل حضر استشهاد بولس سنة 67؟ هذا ممكن. لا تحدثنا أعمال الرسل عن تيطس كما تحدثنا عن تيموتاوس. يبدو أن تيطس ارتد إلى المسيحية على يد الرسول الذي يسميه ابنه. ولد في أنطاكية من أبوين وثنيين، لهذا رفض بولس أن يختنه كما ختن تيموتاوس ومع هذا أخذه معه إلى أورشليم حوالي السنة 50. فشل تيموتاوس في حل أزمة كورنتوس فبعث بولس الرسول تيطس ليهدئ الأمور وقد يكون حمله الرسالة الضائعة[1]. نجح تيطس في عمله ثم انضم إلى بولس في مكدونية، فأرسله الرسول مرة ثانية إلى كورنتوس لينظم الجماعة.

بعد أن تحرر بولس من الأسر الروماني الأول، مر في كريت فوجد جماعات مسيحية منظمة ينهشها معلمون كذبة. فترك فيها تيطس ليقوم بإصلاح الأمور، وكتب له رسالة تذكره كتابةً بما قاله له شفهياً.

كان العمل الرئيسي لتيموتاوس وتيطس أن يجعلا النظام في أفكار المسيحيين وعاداتهم وفي حياة الجماعات الدينية. وسيقومان بهذا العمل بأقوالهما وأعمالهما ويظهران أنهما مثال المسؤولين عن الكنائس بالتعليم والفضيلة التي يعلمان. وأول واجب لهما على مستوى التعليم أن يبقيا ثابِتيْنِ في الإيمان، وأن يحفظا التعليم الذي تسلماه. ثم عليهما أن يعلما المؤمنين بالكرازة فيتوجها إلى الجميع حسب أعمارهم وظروف حياتهم، ويكونا مثالاً للرعية بفضائلهما وأعمالهما الصالحة. فسلوكهما في بيت الله سيكون بلا عيب لئلا يصيرا عرضة للانتقاد: الكرامة والوقار والعفة والوداعة والتجرد تلك هي المزايا التي يتحليان بها.

---

(1) 2 كور 2: 13؛ 7: 6.

ـ تحليل الرسائل الرعاوية:

1 ـ تيموتاوس الأولى:

يقدم بولس نفسه على أنه رسول يسوع المسيح بأمر الله مخلصنا. وهو يكتب إلى تيموتاوس ابنه الذي ولده في الإيمان. «عليك النعمة والرحمة والسلام».

طلب بولس من تيموتاوس أن يظل في أفسس ليقف بوجه التعاليم الضالة التي يجهر بها من سموا أنفسهم معلمي الإيمان فتعلقوا بأساطير وأنساب على حساب الإيمان الصحيح. وعلى تيموتاوس أن يسهر على المحبة ونقاوة الضمائر والمحافظة على الإيمان الحقيقي. فالشريعة اليهودية صالحة ومفيدة لتقدم لنا لائحة بالخطايا، ولكنها صارت في خدمة التعليم المقدس الذي سلم إلى بولس. ويستفيد بولس من الفرصة ليتحدث عن نفسه ويؤكد سلطته. كان مضطهِداً فصار خادم الإنجيل بعد أن حصل على رحمة الله لأنه كان يتصرف بجهل. إنه أول الخاطئين الذين خلصهم المسيح ومثال كل الذين سيخْلصون. ويعلن بولس: «لملكِ الدهور، الإله الواحد الخالد الذي لا يرى، الإكرام والمجد أبد الدهور. آمين»[(1)]، ويوصي بولس تيموتاوس الذي نال عطايا روحية خاصة، بأن يجاهد الجهاد الحسن. فهناك كثيرون انكسرت بهم سفينة الإيمان فغرقوا مثل هيمينايس والإسكندر اللذين أسلمهما إلى الشيطان ليتأدبا ويكفا عن التجديف. ما هو هذا العقاب وما هي نتائجه؟ هذه أمور نجهلها، ولكننا نعرف أن غاية العقاب هو التأديب من أجل التوبة والرجوع إلى الرب.

يتحدث بولس أولاً عن الصلاة. يصلي المؤمنون من أجل الملوك والذين يسلكون السلطة ليستطيع المسيحيون أن يحْيوا حياتهم بالتقوى، وليصل جميع الناسِ إلى معرفة الحق[(2)]. هنا نقرأ اعترافاً بالإيمان المسيحي: الله،المسيح الوسيط، الشهادة التي يحملها بولس، معلم الأمم، والتي ينادي بها كرسول. يجب على الرجال أن يصلوا في كل مكان فيحْيوا حياة هادئة من غير غضب ولا خصام، وعلى النساء أن لا يعلمْن بل يبْقين متواضعات وخاضعات لرجالهن[(3)].

---

(1) آ 12 ـ 17.

(2) آ 1 ـ 4.

(3) آ 8 ـ 15.

ويتحدث بولس ثانياً عن الأساقفة والشمامسة. فمهمة الأسقف عمل جليل يتطلب صفات بشرية ومسيحية عظيمة. وكذا نقول عن مهمة الشمامسة. تكون حياتهم العائلية بلا عيب. ويأمل بولس أن يأتي إلى أفسس قريباً. وإن تأخر فليتابع تيموتاوس إدارة الكنيسة التي تحفظ سر المسيح. قال بولس: سر التقوى عظيم: قد ظهر بشراً وبرر في الروح وتراءى للملائكة وبشر به عند الوثنيين وأؤمن به في العالم ورفع في المجد.

ويعلن الروح القدس أن بعضهم يرتدون عن الإيمان الحقيقي في الأزمنة الأخيرة: تدفعهم الشياطين فيتعلقون بتعاليم ترذل استعمال خيرات هذا العالم (الزواج، الأطعمة). وماذا يقول الإيمان الحقيقي؟ كل خليقة هي من الله وهي صالحة، وكلام الله والصلاة تقدسانها[1]. هذا ما يكون عليه تعليم تيموتاوس التلميذ الأمين. يحفظ نفسه من الخرافات الباطلة ويعطي في نفسه الفضائل المسيحية. ينتظر بولس فيقرأ الكتب المقدسة ويحرض ويعلم لأنه أُعِد لهذه المهمة بالمواهب التي نالها بالصلوات الليتورجية ووضع يد الكهنة.

ويحدد بولس السلوك الفطن الذي يسلكه تيموتاوس تجاه الشيوخ والشبان والشابات، ويقدم نصائح خاصة بالأرامل[2] وتوصيات تتعلق بالكهنة[3]. ويقدم إلى تيموتاويس نصيحة عملية عابرة: لا تقتصر بعد اليوم على شرب الماء، بل اشرب قليلاً من الخمر من أجل معدتك وأمراضك الملازمة[4]. وأخيراً يقدم نصائح للعبيد والسادة.

في خاتمة الرسالة يصور بولس التقوى الحقيقية: نتعلق بتعليم الإنجيل، نتجنب المجادلات العقيمة، ونكتفي بالقليل فلا نتشبه بالذين يطلبون الغنى. ويحرض تيموتاوس ليمارس الفضائل المسيحية ويجاهد جهاد الإيمان ويمتلك الحياة الأبدية التي إليها دعي بالمعمودية وشهادة الإيمان، وينتظر مجيء المسيح الذي يعلنه الرب في وقته. وهنا نقرأ مجدلة: «ذلك السعيد القدير، ملك الملوك ورب الأرباب، له وحده الخلود ومسكنه نور لا يقترب منه وهو الذي لم يره إنسان ولا يستطيع أن يراه، له الإكرام والعزة

---

(1) آ 1 ـ 5.

(2) 5: 3 ـ 16.

(3) آ 17 ـ 22.

(4) 5: 23.

الأبدية. آمين». وأخيراً يقول لتيموتاوس: «وصِّ أغنياء هذه الدنيا أن لا يتعجرفوا ويتكلموا على غنى العالم الزائل».

2 ــ تيطس:

من بولس عبد الله ورسول المسيح يسوع إلى تيطس ابني الذي ولدته في إيماننا المشترك. ويسترسل بولس في الحديث عن صفته كرسول يسوع المسيح الذي أرسل من أجل إيمان المختارين ومعرفة الحق. وتتمدد هذه المعرفة بالنسبة إلى الحياة الأبدية التي وعد بها قبل الدهور وتجلت في الإنجيل الذي عهد به إلى بولس.

ترك بولس تيطس في كريت ليتم تنظيم الكنيسة فيقيم كهنة في كل مدينة. ويتوقف بولس عند مهمة هؤلاء الكهنة (أو الأساقفة): من كان بريئاً من اللوم، من لم يتزوج غير مرة واحدة، من كان أولاده مؤمنين. هؤلاء يكرسون للتعليم الصحيح ويردون على المخالفين. هنا يهاجم بولس المعلمين الكذبة الآتين من عالم الختان: يهمهم الربح السريع، يعلمون الخرافات، وسلوكهم نجس.

يتوجه بولس إلى تيطس الذي سيعلم التعليم الصحيح. وهذا التعليم يرسم خط سلوك ينطبق على الشيوخ والعجائز والشبان والشابات والعبيد[1]. أما أساس تلك الفرائض: نقاوة حياة هي ثمرة تعليم ربنا الذي أبعدنا عن العالم وجعلنا ننتظر ظهور مجده العتيد، والذي أسلم من أجل خطايانا. ويتوجه التحريض التالي إلى كل المسيحيين: خضوع للسلطات، تجنب الرذائل، ممارسة الفضيلة. أما أساس هذا التحريض فهو: ظهور الله مخلصنا الذي خلصنا لا بأعمالنا بل بموهبة المعمودية والتجديد في الروح القدس[2]. وينهي كلامه إلى تيطس: ليعلمهم أن يمارسوا الأعمال الصالحة، أن يتجنبوا المجادلات العقيمة، كالمجادلات حول الشريعة.

3 ــ تيموتاوس الثانية:

يشبه هذا العنوان ما نقرأ في 1 تم؛ من بولس رسول المسيح يسوع... إلى ابني الحبيب تيموتاوس. عليك النعمة والرحمة والسلام. ويمتزج فعل الشكر بذكريات

---

(1) 2: 1 ـ 10.

(2) آ 4 ـ 7.

عديدة. يتذكر بولس إيمان جدة لوئيس تيموتاوس وأمه أونيكة، والموهبة التي وضعها فيه بوضع يديه ليبشر بالإنجيل وليشارك في الآلام المرتبطة بالرسالة[1]. بعد هذا يرِد تحديد للإنجيل: «ودعانا الله لا بسبب أعمالنا بل بعطيته التي انكشفت في ظهور ربنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأوحى بالحياة والخلود»[2]. ويتحدث بولس عن نفسه: إنه سجين من أجل المسيح. أقيم منادياً ورسولاً ومعلماً وتقبل وديعة تبقى سليمة حتى اليوم الأخير. فليحافظ تيموتاوس على هذه الوديعة بمعونة الروح القدس[3]. ويقدم بولس أخباراً عن الرسالة: تركه الجميع وما بقي معه إلا اونيسيفورس.

وجاء في التحريضات إلى تيموتاوس: على تيموتاوس أن يسلم وديعة الإيمان إلى أناس أمناء يعلمون غيرهم، وأن يكون جندياً صالحاً للمسيح يسوع، أن يفهم الإنجيل الذي لأجله يلقى بولس الآلام ويتحمل القيود كمجرم. ويقول بولس: «إذا متنا معه حيينا معه، وإذا صبرنا ملكنا معه، وإذا أنكرناه أنكرنا هو أيضاً. وإذا كنا خائنين ظل هو وفياً لأنه لا يمكن أن ينكر نفسه».

على تيموتاوس أن يقف بوجه المعلمين الكذبة أمثال هيمينايس وفيليتس اللذيْنِ قالا بأن القيامة قد أتت. وهكذا هدما إيمان بعض الناس. فعلى تيموتاوس أن يبقى أميناً للتعاليم والمواقف المسيحية: «أهرب من أهواء الشباب واطلب البر والإيمان والمحبة والسلام... تجنب المباحثات السخيفة...»

يصور بولس الأيام الأخيرة بما فيها من خطايا الكفر ومن المعلمين والأنبياء الكذبة. أما دور تيموتاوس: كان في البداية تلميذاً أميناً لبولس في أنطاكية وايقونية ولسترة. فعليه أن يحتمل الاضطهاد ويحفظ بأمانة ما تعلمه ويواظب على قراءة الكتب المقدسة.

وفي وصايا بولس أواخر حياته يقول: أناشدك يا تيموتاوس أعلِنِ الإنجيل في وقته وفي غير وقته، أعلِنِ إنجيل رجوع ربنا رغم شر البشر[4]. أما أنا فقد اقترب وقت

---

(1) آ 3 ـ 8.

(2) آ 9 ـ 10.

(3) آ 11 ـ 14.

(4) آ 1 ـ 5.

رحيلي. جاهدت جهاداً حسناً وأتممت شوطي وحافظت على الإيمان، وقد أُعِد لي إكليل البر[1].

ـ الرسالة إلى العبرانيين:

الرسالة إلى العبرانيين هي أكثر مؤلفات العهد الجديد سرية. لا بداية فيها تدل على مرسلها والجهة التي أرسلت إليها، ولا تاريخ يدل على زمانها ولا إشارة إلى المؤمنين الذين تسلموها. اسمها الرسالة إلى العبرانيين، فلا هي رسالة، ولا هي توجهت إلى العبرانيين، أولئك المسيحيين من أصل يهودي. قيل إنها من القديس بولس ولم يكتبها القديس بولس. يمكننا أن نعنونها: عظة إلى مسيحيين ضائعين. أما قارئوها فهم رجال ونساء تعلقوا بحماس بيسوع المسيح، ولكن خاب أملهم حين واجهتهم الصعوبات والاضطهادات: إجعلوا نصب عيونكم رأس إيماننا ومتممه يسوع المسيح.

تحتل التوسعات التعليمية مركزاً هاماً في عب فتلفت انتباهنا إلى كثافتها وأصالتها، ولكن هذه التوسعات لم تدون بطريقة مجردة بل في أطر محلية. فهدف الكاتب هدف عملي وهو أن يعزي ويشجع مسيحيين اضطهِدوا فملوا من الجهاد. فينطلق التحريض مرة في توسع نظري يسنده، ومرة أخرى يطل التأويل الكتابي فيتبعه تعليم أخلاقي هو خاتمته وتطبيقه الروحي. نحن لسنا أمام فرائض أخلاقية خاصة أو عامة، ولا أمام لوائح من الفضائل نمارسها أو لوائح من الرذائل نتجنبها، بل أمام إشارة محددة في ظرف معين: «حافظوا على إيمانكم ما كلفكم الأمر، فإيمانكم هو قبول للكلمة الموحاة وثقة بالعناية الإلهية وأمانة ثابتة لإرادة الله»[2]. قراء عب هم أمام التجربة والمحنة، فوجب عليهم أن يتابعوا سعيهم وجهادهم فيحافظوا على النعمة، على رجاء لا يلين وعلى التزام بالله لا تراجع فيه.

يحدد الكاتب كتابه: إنه كلام تعزية. والكلمة اليونانية المستعملة هنا (باراكلاسيس) تدل على نداء ملح يتضمن التشجيع والتنشيط والسند ترافقه التعزية مرة والتنبيه والتوصية مرة أخرى. هذا الكلام يتوجه إلى أشخاص تواجههم الصعوبات، إلى مسيحيين وجب عليهم أن يكونوا أهلاً لدعوتهم السماوية وكفوئين ليحققوا مصبرهم.

---

(1) 2 تي 4: 6 ـ 8.

(2) ي: 3: 7؛ 4: 3؛ 11: ي.

تجرب هؤلاء المؤمنون، ضعف إيمانهم وأمانتهم، فحملت إليهم عب مزيداً من النور عن المسيح وقدمت لهم لاهوتاً عن الكهنوت. من هذا القبيل تبدو عب مقالة دفاعية وتبياناً لسمو العهد الجديد على العهد القديم، ويسوع ابن الله على موسى وعلى الملائكة. ما استطاعت الليتورجيا القديمة أن تطهر الضمائر، أما دم المسيح فيغسل قذارة كل خطيئة. ما استطاع بنو إسرائيل أن يدركوا الله،أما المسيحي فيدخل إلى الهيكل السماوي. فمن يفضل القليل على الكثير والعابر على الثابت والظل على الجوهر والصورة على الحقيقة والوعد على تمامه؟ فلو كان العهد الأول لا غبار عليه لما كنا طلبنا عهداً آخر. ولهذا لما جاء المسيح «أبطل الأول وأقام الآخر»[1].

عب هي مقالة دفاعية تحمل إلى قرائها براهين عقلية وتشجيعاً خلقياً، وقد كتبت حسب قواعد البلاغة التي عرفها القرن الأول المسيحي. إن كلمة التعزية هذه هي خطبة إقناعية تمثل نموذج وعظ المرسلين في الكنيسة الأولى وكرازة الخلاص بالمسيح وتعليماً عن ابن الله الذي فدانا فداءً أبدياً. هنا نشير إلى مواضيع ثلاثة. الأول: دعوة الله التي نقلها الوعاظ والتي توصل «كلام الله الحسن» في وقت النعمة وتطلب منا أن نقبل الخلاص المعروض علينا. الثاني: يكمن الخلاص في المسيح حامل الوحي الكامل وراعي الخراف العظيم وقائد خلاصنا فينقينا من الخطايا ويمنحنا الميراث السماوي فتتحقق مواعيد العهد القديم كافلة الرجاء. الثالث: يجب أن ننقاد إلى هذا التعليم ونطيع المسيح ونؤمن فنتخلص.

ويتوسع كلام عب بشكل تأويل كتابي فيعتبر عظة يتلوها أحد الوعاظ المرسلين. يتذكر النفوس الكبيرة المؤمنة في العهد القديم ويدعو المسيحيين إلى الأخذ بمثل الأجيال السابقة. هكذا كان يفعل الخطباء ومعلمو الأخلاق ليقنعوا عقل الإنسان ويحرضوه ويدفعوه إلى أن يأخذ قراره. وفي عب تغلب أبرار العهد القديم على المحنة الطويلة فكانوا غمامة من الشهود تنشط مجاهد العهد الجديد وتبين له حكمة العناية الإلهية وثمرة الاتكال على الله. ظروف الأبرار في العهد القديم هي ظروف تلامذة المسيح، فليقتدوا بهم وليتحاشوا أن يسقطوا بعد أن ورثوا مثل هذه التقليد المجيد.

قلنا إن عب هي مقال دفاعي وعظة ونقول أيضاً إنها رسالة. فهي قريبة من رسائل

---

(1) 10: 9.

العهد الجديد وبالأخص الرسالة إلى أفسس التي تشبه العظة والمقالة لا الرسالة. ونجد في عب تحديدات ملموسة عن حالة قرائها واللغة المباشرة التي تتضمن التحريض والتهديد. هذه الرسالة ترتبط براع عارف بحاجات مؤمنيه الروحية، وهي تنتهي كما تنتهي كل رسالة: «أدعوا لنا لأننا نعلم أن ضميرنا صالح... كتبت إليكم بإيجاز... اعلموا أن أخانا تيموتاوس قد أخلي سبيله... يسلم عليكم الذين في إيطالية»[1]. أما نقص العنوان والتحية في البداية فهو أمر نجده مثلاً في 1 يو وفي رسائل أخرى من الكتاب المقدس ومن العالم القديم.

وهكذا يمكننا أن نتخيل كاتب عب كمعلم ونبي نعِم بموهبة خاصة لشرح الكتب المقدسة. انكب على العهد القديم فاكتشف فيه الصور المسبقة عن الجديد وبرر تعلقه بالمسيح بإنباءات وإسنادات وجدها في النظم الموسوية والأقوال النبوية. ما يهمه هو أن يبين توافق العهد القديم والعهد الجديد والمفارقة بينهما. فقدم لنا لاهوتاً عن المسيح الملك والكاهن الذي قدم ذبيحةً فاعلة في المعبد السماوي فمنح الخطأة المطهرين وصولاً إلى الله. وصلته أخبار عن جماعة من «العبرانيين المثقفين»[2] يعيشون أزمة إسكاتولوجية وخلقية، فشجعهم ونشطهم وحرضهم على الإصلاح. جمع تعليقات وعاد إلى عظات سابقة فقدم ثمرة تأمله الكتابي بشكل عظة تأويلية ليشجع المؤمنين المجربين وينير لهم الدرب إلى المسيح.

---

(1) 13: 18 ـ 25.

(2) 5: 12؛ 6: 1؛ 12: 15.

الرسائل الكاثوليكية

يتضمن قانون العهد الجديد، فضلاً عن الرسائل البولسية ومجموعة من سبع رسائل سميت كاثوليكية (أو جامعة) لأنها كانت تقرأ في كل الكنائس، وسميت عامة لأنها لم تتوجه إلى جماعة معينة بل إلى الكنيسة بصورة عامة، وهذه الرسائل سنوردها على الشكل التالي:

- رسالة القديس يعقوب.
- رسالة بطرس الأولى.
- رسالة بطرس الثانية.
- رسائل القديس يوحنا.
- رسالة القديس يهوذا.

1 ـ رسالة القديس يعقوب:

لم تُعرف رسالة يعقوب ولم تشتهر كما عُرفت واشتهرت رسائل القديس بولس والقديس بطرس والقديس يوحنا. ولهذا لم يكن لها هذا البريق اللامع، فاستنكف بعضهم عن تفسيرها، لأنها مطبوعة بالطابع اليهودي، ولأنها لا تَذْكُرُ اسْمَ يسوع إلا مرتين. هي في الواقع لا تحمل من الرسالة إلا اسمها. ثم إننا نجهل كاتبها الذي يسمي نفسه يعقوب. وهي أقرب إلى تعاليم يشوع بن سيراخ منه إلى تعاليم الإنجيل. ومع هذا فهذا المسؤول المسيحي يعيش إيمانه بيسوع المسيح ويعبر بقوة عن هذا الإيمان. أما تعليمه فهو قريب من تعليم عظة الجبل كما وردت في إنجيل متى الفصل 5 ـ 7). ومهما يكن من أمر فقرّاؤه يعيشون أوضاعاً قريبة من أوضاعنا: انقسام بين

المسيحيين. محن متنوعة. احتقار الفقراء وسعي وراء الغنى، شعائر عبادة لا ترافقها ممارسة حقيقية لوصية المحبة.

إلى هذه الرسالة سوف نتعرف فنستعد لقراءتها والولوج في معانيها فتكون لنا هي أيضاً نوراً لخطانا وسراجاً في سبيلنا.

إن كاتب الرسالة إسمه يعقوب. هذا ما نقرأ في 1: 1: «من يعقوب عبد الله ويسوع المسيح». هل نحن أمام اسم حقيقي أم اسم مستعار؟ أمَا نُسب سفر الحكمة إلى سليمان وكذلك الأمثال والجامعة؟ ولقد وصلت إلينا كتب منسوبة إلى بطرس ويعقوب ويوحنا وغيرهما نسميها كتباً منحولة. ولقد رأى أحدهم في هذه الرسالة كتاباً يوجهه يعقوب أبو الإثني عشر إلى أبنائه أي إلى القبائل المشتتة. في الواقع نحن أمام اسم مستعار. وهو كاتب مغمور أراد أن يعطيَ كتابه بعضاً من الثقة فربطه باسم يعقوب كما فعل غيره حين كتب 2 بط. ولكن يبقى أن نتساءل: مَن هو يعقوب هذا؟ هل هو يعقوب أخو الرب أو أحد المسيحيين الهلينيين الذي عاد بعد سنة 70 إلى نص من نصوص يعقوب أخي الرب؟

كاتب يعقوب هو شخص من أصل يهودي، وهذا واضح من معرفته لتعاليم وعبارات العهد القديم كما وردت في السبعينية. ولنتذكر طريقته في الكلام: «المشتتين من الأسباط الإثني عشر»، إبراهيم أبونا، الولادة كمثل باكورة الخلائق، شريعة الحرية الكاملة، الشريعة الملكية، الاسم الحسن الذي به دعي عليكم، حكمتم على البار وقتلتموه. وهناك تفاصيل تشير إلى أن موطنه فلسطين بالذات.

كاتب يعقوب شخص مسيحي رغم ما قال بعضهم إن الرسالة دونها كاتب يهودي فجاء من زاد اسم يسوع عليها. ولكن الرسالة كلها مشبعة بروح مسيحية، وهذا واضح من التقارب بينها وبين عظة الجبل وتعاليم الإنجيل ورسائل بولس وبطرس. ثم إن الأعمال التي يتكلم عنها يعقوب تدل على أعمال المحبة لا على ممارسات الشريعة الموسوية.

كاتب يعقوب معلم الجماعة المسيحية التي يوجه إليها كتابه. يسمي نفسه معلماً ويمنع قُراءه أن يتلقبوا بهذا الاسم. فالمعِلم هو «رابي» المخصص في التعليم الديني والذي طلبه كثيرون بحثاً عن الكرامة لا عن الخدمة. ولكن هذا اللقب الآتي من عالم

المتهودين لم يعد يستعمل في نهاية القرن الأول المسيحي. ولا يكتفي الكاتب أن يتكلم كخادم موكل على التعليم فينقل إلى قرائه تعاليم الحكمة على مثال الحكماء في العهد القديم، بل هو يرسل كلامه كرئيس حقيقي. فهو يأمرهم بسلطان ولا يحس بالحاجة لأن يبرر طريقته في الكلام. ويكفي هنا أن نتذكر الأفعال في صيغة الأمر، وهي تتحدث عنه معلماً ومشجعاً ومحذراً وموبخاً ومهدداً وموجهاً.

إن كاتب يع هو يعقوب أخو الرب ورئيس كنيسة أورشليم. هذا ما قاله آباء الكنيسة منذ القرن الثاني: إكلمنضوس الإسكندراني، أوريجانس، إيبيفانيوس. يسمونه البار ويميزونه عن يعقوب بن حلفى. ماذا يقول العهد الجديد عن يعقوب أخي الرب وابن مريم زوجة كلاوبا؟ إنه بكر أربعة إخوة عاشوا في الناصرة. وهناك من يقول إنه يعقوب بن حلفى بالذات (وكلاوبا وحلفى اسم واحد يُكتب بطريقتين مختلفتين). هنا نفهم أن يكون من مصاف الاثني عشر الذين آمنوا بيسوع. بينما لم يؤمن به إخوته. وهنا نفهم لماذا لقبه بولس بالرسول وأنعم عليه يسوع بظهور خاص بعد قيامته. كانت له في كنيسة أورشليم سلطة واسعة سيحفظها حتى سنة استشهاده سنة 62 أو 66. مارس الشرائع الموسوية ممارسة دقيقة لا اعتقاداً بضرورتها بل إهتماماً بإخوته فلا يشككهم. ففي سنة 48 ـ 49 وأمام جماعة أورشليم سيتبع بطرس وبولس فيعفي من الختان الوثنيين المرتدين ويعلن جهاراً اتفاقه مع بولس. في سنة 58 استقبل بفرح بولس العائد من رسالته في الأرض الوثنية، وابتهج بنجاحه الرسولي، وأعطاه بعض النصائح ليهدئَ عواطف المتهودين في أورشليم.

ـ بنية الرسالة ومضمونها:

يسلم جميع النقاد أن يع مؤلفة من سلسلة من التحريضات الأخلاقية، منها القصيرة ومنها الطويلة. إن لم نجد تصميماً حقيقياً في يع فهذا لا يعني أننا لا نجد وحدة متكاملة. فهناك حقيقة ثابتة هي ضرورة الكمال، وتجنب كل رياء وجعل حياتنا العملية موافقة لإيماننا الديني، والثقة بالله لا بإغراءات هذا العالم.

ونشير هنا إلى اللغة اليونانية النقية المطعمة ببعض العبارات السامية المستوحاة من الترجمة السبعينية، كما نشير إلى أننا لسنا أمام رسالة بكل معنى الكلمة رغم ما نقرأ في 1 : 1، بل أمام تعليم أخلاقي كما في الأسفار الحكمية التي عرفتها التوراة (الأمثال، ابن سيراخ) أو الآداب اليهودية (أخنوخ، رسالة أرستيس، وصيات الآباء الإثني عشر)

أو كتب التعليم المسيحي في بداية الكنيسة (رسالة برنابا، راعي هرماس). وهنا نجد تقارباً بين يع وكتب الرواقيين من جهة، وأسفار العهد القديم والعهد الجديد من جهة ثانية، لا مجال إلى ذكره الآن.

رسالة يعقوب في الكنيسة نجد تلميحاً أولياً إليها في نصوص نجع حمادي التي اكتشفت في مصر سنة 1945 وتضمنت فيما تضمنت نصين لرؤيا يعقوب (سفر منحول) ورسالة ليعقوب هي غير التي نقرأها في الأسفار القانونية. أما أول شهادة عن يعقوب فهي شهادة أوريجانس (+ 254) المعلم في الإسكندرية (حتى سنة 231). نسب إلى يعقوب الرسول هذه الرسالة وأورد بعضاً من نصوصها معتبراً إياها كلام الله، وأعلن أن الجماعات المسيحية تأخذ بها وإن لم تتبع كلها تعليمها. ويورد أوسابيوس شهادة سابقة لشهادة أوريجانس من إكلمنضوس الإسكندراني. كانت كنيسة الإسكندرية تعتبَر يع رسالة قانونية وقد فسرها ديونيسيوس (+ 265) وديديمس (+ 398) وكيرلس (+ 444) وأوردوا مقاطع منها وجعلوها بين أسفارهم القانونية[1].

هذا في الإسكندرية، أما في فلسطين فسيتحدث أوسابيوس في تاريخه الكنسي عن يعقوب البار وأسقف أورشليم وأخ الرب والشهيد. وينهي عرضه فيقول: «هذا ما يتعلق بيعقوب الذي منه أولى الرسائل الكاثوليكية.. يجب أن نعرف أن هذه الرسائل تُقرأ جهاراً مع غيرها في عدد كبير من الكنائس». ثم يميز الأسفار التي تأخذ بها كل الكنائس من التي هي موضوع جدال مثل رسالة يعقوب. وفي مكان آخر يتحدث عن يع على أنها أحد الأسفار المقدسة. ويمكننا أن نورد شهادة كيرلس الأورشليمي (+ 386) وغريغوريوس النازيانزي (+ 390) وإبيفانيوس (+ 403) ويوحنا فم الذهب (+ 398). ونضم إلى هذه الشهادات نصوص الكتاب المقدس التي تحتوي يع وهي مخطوطة الإسكندرية اليونانية ومخطوطة سيناء اليونانية والترجمة السريانية البسيطة والترجمات القبطية.

لا نجد ذكراً لرسالة يعقوب في قانون موراتوري ولا عند إيريناوس، وسننتظر القرن الرابع لتدخل يع في عداد الأسفار المقدسة لدى الكنائس اللاتينية. وذلك بتأثير من أثناسيوس الإسكندري وإيرونيموس وهيلاريوس. بعد هذا تضمنت اللوائح في روما

---

(1) أثناسيوس، رسالة العيد رقم 39.

(382) وهيبونه وقرطاجة (393، 397، 409) رسالة يعقوب. . وفي 5 نيسان 1546 سيعلن المجمع التريدنتيني بصورة رسمية قانونية رسالة يعقوب. وهناك نقاط دينية عديدة تتطرق إليها يعقوب في رسالته:

1 ـ **التعليم الأخلاقي**: أراد الكاتب قبل كل شيء أن يقدم تعليماً أخلاقياً. فجاءت توصياته المستوحاة من العهد القديم في أسفاره الحكمية على مواضيع دون أخرى. غير أن أبعادها أسمى من تلك التي نجدها في أسفار العهد القديم. فهي لا تعتمد على النظرة إلى فائدة دنيوية بل إلى يقين أساسي وهو أننا نتم إرادة الله ونتقرب منه فننال منه خيرات روحية في هذه الدنيا وفي الأخرى.

والتعليم الاجتماعي الذي نجده في يع يرتبط أيضاً بالتقاليد المسيحية. فكاتبها يعود إلى كرامة الفقراء على خطى الأناجيل ورسائل القديس بولس. فهؤلاء الفقراء قد حصلوا على وعد يَتِم لهم في نهاية الأزمنة بعد أن يكونوا احتملوا محنهم، ولهم الحق أن يتخذوا الوسائل ليحسنوا وضعهم الحاضر. أما الأغنياء فهو لا يحكم عليهم ولا يحرمهم من مغفرة الله،بل يدعوهم إلى التأمل في زوال خيراتهم. فيجب عليهم أن لا يحتقروا الفقراء أو يعاملوهم معاملة سيئة، ولا أن يستغلوهم. وما نلاحظه هو أن الكاتب لا يدعو إلى العنف ضد الأغنياء، بل يدعو الفقراء إلى الصبر إلى يوم مجيء الرب.

2 ـ **مسائل لاهوتية**: لا تتطرق يع إلى مسائل لاهوتية إلا لماماً، وذلك لكي تبرر الموقف الأخلاقي الذي تقدمه. فالله هو إله العهد القديم وكما يوحي به العهد الجديد. يسوع هو المسيح والمخلص والرب الممجد الذي يُدعى اسمُه على المؤمنين وعلى المرضى. وهناك مقاطع ترجعنا إلى ممارسات عبادية واحتفالات عمادية. نورد بعض الأمثلة على ذلك: في 2: 2 يشير الكاتب إلى المكان الذي يجتمع فيه المسيحيون للصلاة والإستماع إلى الوعظ. ويشير أيضاً إلى الجسد والأعضاء، إلى البركة واللعنة، إلى الكلمة التي تلدنا لنكون باكورة للرب، إلى العبادة والديانة الحقة، إلى المعلمين والشيوخ، إلى الأناشيد والصلوات والاعتراف المتبادل.

ويشدد الكاتب على بعض المواضيع بصورة خاصة: موضوع الحكمة أو الطريقة التي بها نتصرف حسب نظر الله وإلهاماته العلوية. موضوع الخطيئة التي تشمل جميع

البشر. ويتطرق الكاتب إلى أصلها الحقيقي، وخطورتها وإمكانية الحل منها. ويشير إلى موضوع الصلاة فيتوقف عند صفاتها السلبية والإيجابية، عند ظروفها وفوائدها. ويتأمل الكاتب في موضوع الإيمان بطريقة جزئية. فهو لا يذكر قراءه المعمدين بما يجب أن يعرفوه عن أصل هذه الفضيلة المجانية. بل يلمح بطريقة مختصرة إلى طابع الالتزام الواثق[1]، وإلى غرضها الذي هو ربنا يسوع المسيح والله الواحد، ثم يغفل ما عليه يشدد القديس بولس عنيت به النتائج المباشرة لهذا الالتزام: خلاص من الخطيئة، مشاركة في حياة الله. ولا يقول كلمة عن سبب وجود هذه النتائج: إرادة الله الخلاصية الشاملة التي تتحقق في مجيء المسيح وذبيحته فيكتفي بأن يذكرنا بأن الإيمان المسيحي ليس التصاقاً عقلياً. فإذا أردناه خلاصياً فرض علينا أن يوجه كل أعمالنا كما وجه أعمال إبراهيم وراحاب. في هذا المجال تلتقي يع مع تعليم القديس بولس الذي يطلب من المسيحيين المبررين بعمل المسيح أن يمارسوا بدورهم الأعمال التي يتطلبها إيمانهم الجديد. نحن لا نعارض هنا يعقوب ببولس، ولا نتساءل مَنْ أثّر على الآخر مع أن يع كُتبت بعد رسائل القديس بولس. فما كان على يعقوب أن يقدم ردة فعل على تعليم سابق، بل أن يحارب تراخياً أخلاقياً ستعرفه الغنوصية في القرن الثاني المسيحي.

3 ـ مسحة المرضى: ويعود يعقوب في نهاية رسالته إلى موضوع الصلاة ويقدم توصية خاصة. يطلب من المسيحي المريض الذي وهن جسده فما عاد يقدر أن يخرج من بيته، أن يدعوَ شيوخ الكنيسة ليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب. ويحدد أن هذه الصلاة التي ينعشها الإيمان الواثق تخلص المريض وتعافيه وتحصل له على غفران الخطايا التي يمكن أن يكون اقترفها.

نجد في هذه التوصية أكثر من رجوع إلى ممارسة موهبة مسيحية تحدث عنها القديس بولس وهي موهبة الشفاء، وأكثر من تلميح إلى عادة زيارة المرضى التي أوصى بها ابن سيراخ أو يسوع أو بولس أو يعقوب. فالنصيحة المعطاة تصيب المريض نفسه وتميزه عن المتألمين العاديين. فهو من يدعو زواره الذين ليسوا أهلاً وأصدقاء وجيراناً ولا طبيباً أو شافياً، بل شيوخ الجماعة المسيحية في المكان الذي يقيم فيه. ففي زمن كتابة الرسالة كان لهؤلاء الشيوخ سلطات دينية واسعة تتميز عن تلك التي لشيوخ

(1) 1: 6، إيمان لا يداخله ريب، 5: 1.

الجماعة الوثنية أو اليهودية. وعمل الزائرين المدعوين هو عمل ليتورجي لا عمل علاجي: صلاة الإيمان، مسحة باسم الرب ترتبط بصلاة الإيمان. وافتراض المريض الذي اقترف بعض الخطايا أو لم يقترف يشدد على الصفة الروحية للنتيجة المترقبة ويُبعد الفكرة اليهودية التي تربط بين الخطيئة والمرض.

هذا ما يدفعنا إلى أن نفكر أن 5: 14 ـ 15 تشهد على تقليد جاءنا من يسوع والرسل. فهؤلاء نالوا من المسيح خلال رسالتهم الجليلية السلطان على شفاء المرضى بعد مسحهم بالزيت، وسلموا هذا السلطان إلى خلفائهم. في هذا الإطار فهم المجمع التريدنتيني هذه المسألة، وسيشدد المجمع الفاتيكاني الثاني على أن هذا السر، سر مسحة المرضى، لا يُعطى فقط للمرضى، بل عندما يبدأ المؤمن بالدخول في خطر الموت نتيجة ضعف جسدي أو بسبب الشيخوخة.

2 ـ رسالة القديس بطرس الأولى:

تقدم الرسالة نفسها على أنها عمل بطرس رسول يسوع المسيح الذي هو شيخ بين الشيوخ والشاهد لآلام المسيح. يشير النص إلى بطرس، هامة الرسل الذي اختاره يسوع ليرعى قطيع الرب. ويكون شاهداً للمسيح:

يحتل بطرس مكانة هامة في الإنجيل كرئيس الرسل. وهو في أعمال الرسل قائد الجماعة الأولى في أورشليم. ولكننا لا نعرف الشيء الكثير عن فترة حياته من مجمع أورشليم (حوالي سنة 49) حتى موته شهيداً في روما (حوالي السنة 64 ـ 67). مارس رسالته بالدرجة الأولى لدى اليهود كما تقول الرسالة إلى غلاطية. ولكنه لعب دور الريادة في تبشير الوثنيين حين عمد الضابط كورنيليوس. قدَّر بولس كيفا (اسم بطرس في الآرامية) قدَّره كأول شاهد للقيامة ولكنه تصادم وإياه في أنطاكية. كان بطرس يأكل مع المرتدين الجدد من الوثنية، ولما جاءت جماعة يعقوب تنحى وتنحى معه برنابا. أحس بولس في هذا العمل أن بطرس يرفض حقيقة الإنجيل، لا على مستوى المبادئ، بل على مستوى التطبيق العملي.

بعد هذه الحادثة الخطيرة، أقام بطرس مدة طويلة في أنطاكية كما يشهد التقليد القديم في هذه الكنيسة، ثم توجه، على ما يبدو، إلى كورنتوس. ولكن نتساءل: هل قام بطرس برسالة في مقاطعات آسيا الصغرى التي تتوجه إليها الرسالة الأولى،

هل ذهب إلى بنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا وبيثينية؟ لا شيء يؤكد ذلك ولا شيء ينفيه.

متى وصل بطرس إلى روما؟ لا نملك التاريخ الأكيد. فحين كتب بولس إلى أهل روما في شتاء سنة 57 ـ 58، لم يشر إلى بطرس. وحين روى القديس لوقا حياة الأسر التي قضاها بولس في عاصمة الإمبراطورية فهو لا يتكلم أيضاً عن بطرس. لكن الشيء الأكيد هو أن رئيس الرسل مات شهيداً في روما. فقبره كان موضع تكريم منذ القرن الثاني على ما يقول الكاهن غايوس في نص حفظه لنا أوسابيوس القيصري: «أما أنا فأقدر أن أبرز الأسلاب التي هي علامة انتصار الرسل. فإذا أردت أن تذهب إلى الفاتيكان أو إلى طريق أُستيا، تجد أسلاب الذين أسسوا هذه الكنيسة». والحفريات التي أجريت تحت قبة مار بطرس في روما قدمت الدليل المؤثر على هذا التقليد. فمنذ القرن الثاني بدأ الحجاج يأتون إلى هذه الأمكنة يطلبون حماية صياد بيت صيدا المتواضع الذي جعل منه يسوع أساس كنيسته.

قدمت لنا رسائل القديس بولس المعطيات الكثيرة عن حياته الرسولية. أما رسالتا بطرس فلا تحملان إلا القليل من المعلومات الشخصية. تبدوان بشكل رسالة دوارة، تنتقل من موضع إلى آخر وتتطرق إلى مواضيع عامة دون أن تُعْلِمَنا بالعلائق الخاصة التي تربط كاتبها بالذين يكتب إليهم. لهذا وضعت رسالتا بطرس بين الرسائل الكاثوليكية السبع، أي الرسائل العامة، لأنها تتوجه إلى الكنيسة كلها.

يقدم الكاتب نفسه: أنه رسول يسوع المسيح. وهو يتدخل كشيخ قديم فيحرض كهنة الجماعة على ممارسة وظائفهم. وبما أنه الشاهد لآلام المسيح والمشارك في مجده العتيد، يحق له بشكل من الأشكال أن يشجع المؤمنين على الثبات في المحنة.

كتب رسالته من بابل، أي من روما التي سمتها الرؤى اليهودية والمسيحية[1] مدينة الدماء والزنا. لم يكتب بطرس رسالته بيده ولكن دونها سلوانس، الأخ الأمين، الذي عمل عمل السكرتير. وهذا يعني أن بطرس أملى عليه كما أملى بولس على ترثيوس رسالته إلى الرومانيين، أو أن بطرس أعطى سلوانس الأفكار العامة وتركه يكتب بطريقته الخاصة.

---

(1) رؤ 17: 5؛ 18: 10، 21.

من هو سلوانس؟ هو ولا شك سيلا، ذلك النبي في جماعة أورشليم الأولى الذي رافق بولس في رحلته الرسولية الثانية. قدر رسول الأمم خدماته خير تقدير، وأورد اسمه مرتين في رأس اثنتين من رسائله، في 1 تس 1: 1 وفي 2 تس 1: 1. وتورد الرسالة أيضاً اسم مرقس «ابني». فالعلاقة حميمة بين بطرس ومرقس، وأُم هذا كانت تستقبل في بيتها مؤمني أورشليم. فحين نجا بطرس من سجنه جاء وقرع باب بيتها. في البداية، رافق مرقس بولس في رسالته. ولكن مرقس سيترك رسول الأمم. فيقرر بولس أن لا يرافقه من فارقه في بمفيلية وما شاركهما في العمل. حينئذ التحق مرقس ببطرس وصار له ترجماناً. ولأنه حمل هذا اللقب دون باسمه الإنجيل الذي نسميه إنجيل مرقس.

وعن الذي دوَّن 1 بط هناك ثلاثة آراء: الرأي الأول، بطرس نفسه هو كاتب الرسالة. هذا هو الرأي العام المؤسس على إشارات في الرسالة نفسها وفي التقليد الآبائي. وهذا هو رأي شراح عديدين يعتبرون البراهين المعارضة غير مقبولة. بطرس هو رسول يسوع المسيح، والشاهد لآلامه وموته، والمسؤول عن رعاية القطيع، وصاحب الطبع العفوي، والذي يعالج في رسالته مواضيع سبق له وعالجها في عظاته الواردة في أعمال الرسل.

ولكن هناك اعتراضات: لغة الرسالة يونانية أنيقة، فأين تعلمها بطرس؟ ثم إن القسم الثاني من الرسالة يلمح إلى اضطهادات دوميسيانس (96م) أو ترايانس سنة 110 ـ 111 على ما يقول المؤرخ الروماني بلينوس الأصغر في رسالته 96. فكيف يكتبها بطرس وهو الذي توفي على أبعد تقدير سنة 67 وفي أيام نيرون؟ والاعتراض الثالث، قرْب أفكار 1 بط من أفكار رسائل القديس بولس. وسنعود إلى هذا فيما بعد فنبين أننا أمام تقليد واحد غرف منه كتابُ العهد الجديد.

وفي الرد على هذا الرأي يقول آباء الكنيسة: تمتعت الجليل بمعرفة اليونانية والآرامية وهي القريبة من وسائل الاتصال بين العالم اليوناني والعالم السامي. ثم إن الرسالة مقالة واحدة تشير إلى الآلام عينها وإلى الفرح عينه والسعادة عينها والمجد عينه والطاعة عينها ومثال يسوع المتألم وإرادة الله الواحدة.

أما الرأي الثاني فيقول بأن سلوانس هو الكاتب وإليه تشير الرسالة. دعاه بطرس

ففعل أو انتظر موت بطرس فدون سنة 80 ـ 95 فذكر بالتعليم العمادي وشجع المؤمنين في محنتهم. ولكن كيف نفهم المديح الذي يكيله سلوانس لنفسه: إنه أخ أمين. ثم لماذا لا يقول كلمة عن بطرس الذي يعرفه القراء ولا عن بولس؟

الرأي الثالث يقول بأن كاتب الرسالة مجهول الاسم. دونت الرسالة في عهد ترايانس وأرسلت باسم بطرس في نهاية القرن الأول. واعتَبر هذا الرأي أن الرسالة رسالتان. تنتهي الأولى بالمجدلة في 4: 11: «له المجد والعزة إلى دهر الدهور. آمين»، وتبدأ الثانية في 4: 12: «أيها الأحباء». ولكن هذا الرأي مردود وهو أضعف الآراء. أما نحن فنقول إن صاحب الرسالة هو بطرس الذي دونها بمؤازرة سلوانس. فتحدث عن الاضطهادات التي لحقت بالكنيسة في أيام نيرون.

أما عن الجهة التي كُتبت 1 بط من أجلها، فإن 1 بط هي رسالة دوارة وجَّهها كاتبها إلى الجماعات المسيحية المشتتة في بنطس. وغلاطية وكبادوكية وآسيا وبيثينية. وهي ضمن مقاطعات تقع في الشمال والشمال الغربي من تركيا الحالية. اثنتان منهما تلقتا البشارة على يد بولس الرسول وهما: غلاطية التي مر فيها في رحلته الثانية والثالثة، وآسية بعاصمتها أفسس التي أقام فيها زمناً يزيد على السنتين. إذا عُدنا إلى سفر الأعمال نعرف أن بولس مُنع من الدخول إلى بيثينية. أما بنطس وكبادوكية فلا يُعلِمُنا بأمرهما العهد الجديد. وما نقرأه في أعمال 2: 9 لا يُعرفنا بطريقة ملموسة إلى هوية تلاميذ بطرس الأُوَل، بل يريد أن يبين أن الإنجيل وصل إلى المسكونة كلها. ثم إن لا شيء يشير إلى أن بطرس زار هذه المقاطعات. فما يبدو معقولاً هو أن بعض التلاميذ دفعهم الروح القدس فحملوا بشارة المسيح إلى هذه الأصقاع البعيدة. وما نقرأه عند بلينوس الأصغر يُعَرِّفنا أن المسيحية تجذرت تجذراً ثابتاً في بيثينية منذ بداية القرن الثاني.

حين نتحدث عن هذه المقاطعات الخمس، لن نتوقف على المعنى السياسي بل على المعنى الإثني أو الشعبي الذي يدل على مناطق شاسعة. ثم إنه أورد المناطق الخمس متتبعاً الطريق التي سيسلكها حامل الرسالة. وكما سُمي اليهود العائشون خارج فلسطين الغرباء في أرض الشتات هكذا يسمي بطرس قراءه. نفهم هذا بالمعنى المادي، وبالأحرى بالمعنى الرمزي، وخط الرسالة خط إسكاتولوجي يوجه أنظارنا إلى نهاية الزمن.

هناك تفسير مألوف يقول إن 1 بط تشير إلى الاضطهاد الذي شنه نيرون ضد المسيحيين بعد حريق روما في شهر تموز سنة 64. كان لابد من إيجاد المذنبين لتهدئة غضب الشعب فاعتُبر المسيحيون سبب هذا الحريق وأُسلِموا إلى الوحوش والعذاب في النار. وترك لنا تاقيتس عن هذا الإضطهاد الدموي مقطعاً قال فيه: «قدم نيرون كمتهمين وسلم إلى أقسى العذابات أُناساً مبغَضين بسبب دناءتهم ويسميهم الشعب مسيحيين. بدأوا يلاحقون الذين يقرون. وبناء على إقرارهم اتهموا جمعاً كبيراً لا لجريمة حرق روما، بل لعداوتهم للجنس البشري».

كان اضطهاد نيرون سريعاً، ولكنه لم يتعدَّ نطاق روما. فما صدر قرار يحرم الاسم المسيحي بحد ذاته. وأفضل برهان على ذلك ارتباك بلينوس الأصغر، حاكم بيثينية، حين قدموا إليه مسيحيين للمحاكمة. كان رجل أدب معروف وما جهل القوانين، ومع ذلك تحير فرجع إلى السلطة العليا كما يفعل كل موظف صالح. فكتب إلى ترايانس رسالة تشكل وثيقة رئيسية عن نمو المسيحية في آسيا الصغرى في بداية القرن الثاني.

لم تبدأ القضية من فوق، بل إن بعض الناس اشتكوا علناً أو خفية إلى الحاكم وحذروه من عدد المسيحيين في المدينة بل في الريف نفسه. ويبدو أنه من جراء ذلك اضطربت الحياة الاقتصادية وهُددَ النظام العام. عمل بليتوس أولاً للحصول على تراجع من قِبَل المتهمين وعلى فعل ولاء للإمبراطور المؤله. قال: «سألتهم إن كانوا مسيحيين. فالذين أقروا بذلك سألتهم مرة ثانية ومرة ثالثة وهددتهم بالعذاب. فالذين ثبتوا على موقفهم أعدمتهم. فمهما يكن من أمر إقرارهم، فلقد تأكد لي أنه يجب معاقبة هذا العناد وهذا التصلب الذي لا يلين.

«وأُلْصِقَ إعلانٌ غيرُ موقع يتضمن عدداً كبيراً من الأسماء. فالذين أنكروا أنهم مسيحيون أو أنهم كانوا مسيحيين فتوسلوا إلى الآلهة حسب العبارة التي أمليتها عليهم، وضعوا البخور والنبيذ أمام صورتك التي جئت بها لهذه الغاية مع أصنام الآلهة، وجدفوا على المسيح (وهذه أمور لا نقدر أن نحصل عليها من المسيحيين الحقيقيين)، فكرت أنه يجب علي أن أطلق سراحهم».

ولقد ساعد البحث بلينوس على التثبت من أن بعض المسيحيين تركوا إيمانهم منذ ثلاث سنوات أو حتى منذ عشرين سنة، وهذا يعود بنا إلى زمن دوميسيانس الذي هاجمه سفر الرؤيا بسبب ادعاءاته التي تُدنس اسم الله. وانطلق بعض الشراح من رسالة بليتوس هذه فاعتبروا أن 1 بط دُوِّنت خلال الإضطهاد ضد المسيحيين في بيثينية. ولكن هذا القول مردود بسبب العلاقة الوثيقة بين 1 بط والقديس بطرس. ثم إن 1 بط تشير إلى 2 بط ويبدو أنها كتبت قبلها بزمان. فإذا حسبنا أن 1 بط دونت في بداية القرن الثاني وأن 2 بط دونت بعد ذلك الوقت بكثير، لما كانت استطاعت الدخول بين الأسفار القانونية. كل هذا يدفعنا إلى القول إننا لسنا أمام إضطهاد معلن ومنظم، بل في جو من الضيق وفي حالة من الخطر الدائم بسبب الحياة الغريبة التي يعيشها المؤمنون وسط عالم وثني. ولنتوقف على بعض الصعوبات: هناك افتراءات على متهمين ببغض الجنس البشري. إنهم يؤلفون تجمعات سرية ويهددون النظام العام. والعبيد لا يخضعون لنزوات أسيادهم حين تكون منافية للأخلاق، ونستطيع أن نتصور أن حالة العبيد من شبان وشابات لم تكن سهلة. فدعاهم بطرس ليحتملوا بهدوء العقاب الذي ينتج عن طاعتهم لإرادة الله. وكانت الزواجات المختلطة بين وثني ومسيحية كثيرة. فعلى النساء أن يُظهرن وداعة وصبراً ليحولن ظنون أزواجهن. وأي سلوك يسلكه المسيحي أمام جيران أو رؤساء يقلقون من طريقة حياته وبالأخص في الأعياد الكبرى التي تَفِيْضُ فيها المدينة ببهجة مبللة بالخمر والفسق. نتذكر هنا الاحتفالات في أفسس كل ربيع إكراماً للإلهة أرطميس، إلهة الخصب.

لقد كان على المسيحي أن يواجه هذا المناخ من الحذر كل يوم، وهو أصعب من الإعتراف يوماً واحداً بإيمانه مخاطراً بحياته. لا شك في أن العاصفة كانت تهب بين الفينة والأخرى وما كانت جماعة بمأمن منها. إلا أن بطرس أراد أن يشجع المؤمنين أمام محنة طال أمدها فبدت ثقيلة على المسيحيين.

3 ــ رسالة القديس بطرس الثانية:

حين نقرأ رسالة القديس بطرس الثانية للمرة الأولى نحس أنها تختلف اختلافاً كلياً عن رسالة بطرس الأولى. هذا ما لاحظه القدماء، وقال القديس إيرونيموس: «ينكر أكثرهم 2 بط بسبب أسلوبها المختلف عن أسلوب 1 بط». وبعد الأسلوب هناك النبرة:

تتضمن 1 بط لوحة عن الحياة المسيحية التي تقتدي بحياة المسيح، معروضة بحرارة نابعة من الإنجيل. أما في 2 بط فنجد عبارات معقدة ندركها بصعوبة ونحس بجدال حاد يبعدنا عن الروح المسالمة التي في 1 بط. المحن والاضطهادات حاضرة دوماً في 1 بط لا في 2 بط، وانتظار المجيء في 1 بط يصبح مسألة لاهوتية لا بد من الدفاع عنها. كل هذا يجعلنا نستشف أن كاتب 1 بط غير كاتب 2 بط. وأن مسافة زمنية طويلة تفصل بين الاثنتين.

ـ مضمون الرسالة:

2 بط هي تحريض في الإيمان الذي قبلناه وفي معرفة دقيقة لله والمخلص يسوع المسيح للحصول على الملكوت الأبدي. وهي تدلنا على الوسائل التي نأخذها للبلوغ إلى هذه المعرفة وهذا الملكوت: نمارس الفضائل، نقبل رجاء مجيء المسيح، نرفض أن نتبع خطى المسيحيين اللاأخلاقيين الذين ينكرون مجيء الرب. كل هذه المواضيع التي نقرأها في 2 بط تنبسط في مقدمة وثلاثة توسيعات متتالية.

المقدمة تبدأ بـ«من سمعان بطرس، عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا إيماناً ثميناً كإيماننا. عليكم وافر النعمة والسلام».

في القسم الأول: نداء إلى الأمانة، النصيحة الأولى تدل على أن ممارسة الفضائل المسيحية توافق المواهب المعطاة. هذا هو الشرط للنمو في معرفة يسوع المسيح وإدراك ملكوته الأبدي. تبدو هذه النصيحة في نظر الكاتب الذي يشير إلى نهاية حياته القريبة كواجب ملح، وتجد تبريرها الثابت في عينيه. وهو يطلب منا مجهوداً لندرك ملكوت المسيح الأبدي لأنه متأكد من قدرة هذا المخلص الذي سيأتي. فالتجلي أعطاه صورة مسبقة عن هذا المجيء، والإعلانات النبوية في الكتاب المقدس كانت عربون هذا المجيء.

أما في القسم الثاني فهناك تحذير من المعلمين الكذبة، قبل أن يبدأ الكاتب بالرد المباشر على المنكرين لمجيء ربنا، يشدد مطولاً على فسادهم الأخلاقي ليفقدهم أي اعتبار في نظر قرائه. وهكذا يكون كلامه الأول تحذيراً غير مباشر فلا يتخلى المسيحيون عن الرجاء المسيحي. كان مجيء هؤلاء المعلمين الكذبة متوقعاً ولهذا

لم يفاجئنا. وتصرفهم هو إنكار عملي ليسوع معلمهم وفاديهم، لهذا سيُعاقَبون كأولئك الذين أنكروه في الماضي. فهم عبيد لشرهم الذي ينمو بهم إلى مستوى أكثر انحطاطاً مما كانوا عليه قبل أن يعرفوا يسوع المسيح.

في القسم الثالث الاستعداد ليوم الرب. كان الموضوع الأخير في القسم الأول مدخلاً إلى القسم الثاني الموجه ضد الهرطقة. وجاء القسم الثاني بشكل مَقْطَع اعتراضي فهيأنا لنعرف أن الهرطقة ليست أخلاقية فقط بل عقائدية أيضاً. فهذا الضلال يعارض تعليم الرسل ولا يتوافق وفهم الكتاب المقدس وفكرة صبر الله. فيقين المجيء يفرض علينا الاستعداد له بالقداسة والنمو في معرفة يسوع. وإذ يذكر الكاتب اسم يسوع يقدم لنا المجدلة الأخيرة: «له المجد الآن وإلى الأبد. آمين».

4 ـ رسائل القديس يوحنا:

قال القديس أغوسطينس: أَحْبِبْ وافعل ما تشاء. هذه الكلمات خرجت من شفتي هذا القديس في أسبوع الفصح من سنة 407 حين كان يشرح للمعمدين الجدد رسالة القديس يوحنا الأولى. كان همه كهم القديس يوحنا: المحافظة على وحدة الإيمان في جماعة تهزها الهرطقات والبدع. ونحن اليوم أيضاً نحتاج إلى قراءة رسائل القديس يوحنا ليصل إلينا منها قوة الإيمان بالمسيح الذي جاء في الجسد، ومتطلبات المحبة الحقيقية التي هي عاطفة إيمانية لا تفصل القريب عن الله.

ترك لنا القديس يوحنا ثلاث رسائل سنحاول أن نكتشفها. فالرسالة الثالثة هي بطاقة وجهها الشيخ إلى شخص محدد هو غايوس فذكر خلافاً بين أشخاص أخطأ أحدهم في مسألة الضيافة. والرسالة الثانية يوجهها الشيخ نفسه إلى جماعة كنسية يلقبها بالسيدة المصطفاة، ويحذرها من خصم يحاول أن يُغْوِيَها فيبدو كالمسيح الدجال بالنسبة إليها. أما الرسالة الأولى فلا تبدو بشكل رسالة بل بشكل جدال منظم ضد الذين يعارضون تعليم كاتب الرسالة.

نحن أمام جماعات تعيش أياماً متأزمة وقد حاولت كل منها أن تفسر إنجيل يوحنا على هواها. سنعود إلى نقاط الخلاف ونفهم هَم الرسالة الأولى التي تحدد العناصر الأساسية للإيمان المسيحي.

أ ـ مَن هو يوحنا؟

هو أخو يعقوب. كان من الجليل ومن بيت صيدا مثل بطرس وفيلبس وأندراوس. اسم أبيه زبدى وكان صياداً ميسوراً لأن له أجراء يعملون معه. اسم أمه سالومة التي كانت على ما يبدو أخت مريم العذراء[1]، وهذا ما يفهمنا طلبها ليسوع من أجل ابنيها وحضورها على الجلجلة، وتسليم يسوع المائت أمه ليوحنا الذي يكون في هذه الحالة ابن خالته.

تشير أعمال الرسل إلى أن يوحنا لم يتعلم لدى الرابانيين، فقد كان مثل بطرس أمياً ولا علم عنده. غير أنه كان تلميذ يوحنا المعمدان وانتقل من عنده إلى يسوع.

لعب يوحنا دوراً هاماً في الإنجيل فكان مع يعقوب أخيه وبطرس أحد الثلاثة القريبين من يسوع. شهد قيامة ابنة يائيرس، وكان حاضراً وقت التجلي على الجبل ووقت النزاع في الجسمانية. هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه وقد أرسله الرب مع بطرس ليهيئ وليمة العشاء السري. هو التلميذ الآخر الذي كلم البوابة وأدخل بطرس إلى دار رئيس الكهنة، وهو الذي ركض مع بطرس إلى القبر ليتحقق من أقوال مريم المجدلية[2]. عرف المسيح القائم من الموت على شاطئ البحيرة وأنبأ يسوع ما سيصير إليه هو وبطرس.

كانت العلاقات حميمة بين بطرس ويوحنا. كانا معاً لما شفى بطرس المقعد في الهيكل ووقفا معاً أمام مجلس الكهنة. ذهب مع بطرس إلى السامرة بناء على طلب الرسل لأنه كان يُحْسَب مع يعقوب وبطرس من عُمُدِ الكنيسة.

هذا ما يقوله العهد الجديد عن يوحنا، فماذا يقول التقليد المسيحي؟ جاء إلى أفسس بعد أن بشرها بولس، وذلك بشهادة إيريناوس (القرن الثاني) وأوسابيوس (القرن الرابع). نُفِيَ إلى جزيرة بطمس في عهد دوميسيانس فكتب هناك سفر الرؤيا. يُروى عنه في نهاية حياته أنه كان يُحْمَلُ إلى جماعة المؤمنين فيردد عليهم هذه الكلمات: «أحبوا بعضكم بعضاً. هذه هي وصية الرب فإن حفظتموها يكفي».

---

(1) هناك أربع نساء لا ثلاث في يو 19: 25.

(2) يو 20: 2 ـ 10.

هناك قول يعتبر أن يوحنا مات مع أخيه يعقوب سنة 44 في عهد هيرودس أغريبا. ولكن هذا القول مردود. وهناك من يميز بين يوحنا الرسول ويوحنا الشيخ. ولكن يبدو أن الاثنين شخصٌ واحد.

ب ـ الرسالة الثانية:

تبدو 2 يو بشكل رسالة فنتعرف فيها إلى العنوان: من الشيخ إلى السيدة المصطفاة، وإلى جسم الرسالة، وإلى السلامات والخاتمة.

ونبدأ بالعنوان المؤلف من قسمين: اسم الكاتب والأشخاص الذين كتب إليهم والإشارة إلى المستوى الذي فيه يتم الاتصال. الكاتب يسمي نفسه الشيخ، وهذا يدل على شخص يتمتع ببعض السلطة: يحق له أن يكتب إلى الجماعة، أن يدلي بِرَأْيِهِ حيال موقف هذا أو ذاك، أن يذكر المؤمنين بالوصية. سلطته حكمة ونصح وتنبيه. وهو عضو في جماعة المسيحيين من الجيل الثاني. سماه أحد النقاد: تلميذ تلاميذ المسيح. أما سلطته فتنبع من التقليد الذي تسلمه والذي ما زال يسلمه إلى الآخرين. وثقته بنفسه ترتبط بهذا التقليد. كتب إلى «السيدة المصطفاة» فدل بذلك على إحدى الكنائس الشقيقة التي ترتبط بيوحنا. «والأبناء» هم المسيحيون أعضاء هذه الجماعة الذين إليهم تتوجه الرسالة.

أما المستوى الذي فيه يتم الاتصال فهو المحبة والحق. قال: «الذين أحبهم في الحق». وأنهى العنوان: «في الحق والمحبة». وسيتكلم فيما بعد عن «سبل الحق» «وسبل المحبة». هذا الكلام اليوحناوي يشدد على أن الحق والمحبة يعبران عن الموقف الصحيح تجاه الله والإخوة: المحبة تنفي الكذب، وإذا وُجد الحق وجدت المحبة بالضرورة. ثم يورد النص ثلاثاً: النعمة والرحمة والسلام.

وندخل في جسم الرسالة فنتوقف على ثلاثة مقاطع: نسلك في الحق والمحبة، نعترف بيسوع المسيح الذي جاء في الجسد، نقيم على التعليم. نسلك في الحق، نسلك حسب الوصايا، نسلك في المحبة أو في الوصية. ويفرح الكاتب لأن المضِلين لم ينجحوا في جر الجماعة كلها إلى ضلالهم وكذبهم، لأن بعضاً ما زالوا يسلكون في الحق أو حسب الوصية. أما الوصية فهي قديمة وقد تقبلناها منذ البدء، هي وصية المحبة، «وما الحب إلا السير على طريق وصاياه». وتشدد آ 7 على أن السلوك بالحق

يفترض الإعتراف بأن يسوع جاء في الجسد. إن حب الإخوة يرتبط بسر المسيح والرباط هو يسوع المسيح الذي جاء في الجسد. أجاب المسيح على حب الآب للبشر حين صار إنساناً، ولا يكون جوابنا صحيحاً إلا إذا جسدنا حب الله في أقوالنا وليتورجيتنا واعترافنا وأعمالنا.

يتحدث النص عن المسيح الدجال «أنتيكريست» الذي هو ضد المسيح، الذي يريد أن يحل محل المسيح. لا نجد هذه الكلمة إلا هنا وفي 1 يو 2: 18، 22؛ 4: 3. إن حالة الجماعة الآن تتأثر بالمضِلين الذين يعارضون المسيح فاحذروهم.

نقيم على التعليم ونحمل التعليم. هذا التعليم أعطانا إياه المسيح وذكرنا به الروح القدس وعمقه فينا. وتعليم المسيح هو المسيح بالذات. قال يو 16: 14: «يأخذ مما لي ويشرككم فيه». غير أن هناك من يجاوز حده فينتشر في العالم ويسلك طريق تعليم المضِلين. فلا يجب أن نستقبل مثل هؤلاء أو نستضيفهم لأن هذا يعني مشاركتهم في تعليمهم وفي أعمالهم الشريرة. فالمشاركة بعضنا مع بعض تفرض علينا أن نرذل الظلمة فلا نتنجس بروح الضلال.

ونصل إلى خاتمة الرسالة في آ 12 ـ 13 التي تشبه 3 يو 13 ـ 14 ويو 20: 30؛ 21: 25. يعلن الكاتب أنه سيزور الجماعة «ليكون فرحنا تاماً». يرغب في أن يلتقي جماعة أمينة للتعليم الذي تسلمته. فالهرطقة تهدد كنائس الله.

ج ـ الرسالة الثالثة:

الرسالة الثالثة ليوحنا هي أقصر سفر في العهد الجديد، ولكنها تعطينا الشيء الكثير عن الجماعات اليوحناوية وعن الصعوبات التي واجهها الوعاظ الأولون. ويوقفنا فيها ثلاثة أشخاص: غايوس الذي دل على أنه يسلك في الحق فشجعه الكاتب في هذا السبيل. ديوتريفس الذي يتميز بموقف متكبر وأحاديث خبيثة ورفض لقبول الإخوة. ديمتريوس الذي شهد له الجميع والشيخ نفسه. أنه المثال الذي يجب أن يُحتذى به.

عنوان الرسالة يدلنا على المرسِل: الشيخ، وعلى مُستَلِم الرسالة: غايوس أحد أعضاء الجماعة اليوحناوية الذي يلقى المديح لما صنع والتشجيع على المتابعة والدعوة لتمييز موقف ديوتريفس السلبي. إن غايوس العضو الأمين، يسلك في الحق وهو متحد بكاتب الرسالة.

ويتوقف جسم الرسالة عند موقف غايوس الإيجابي، وتصرف ديوتريفس السلبي، والمثال الذي يتبعه ديمتريوس الذي يقول: «من يعمل الخير فهو من الله ومن يعمل الشر لم ير الله»[1].

انطلق بعض الإخوة المتجولين ليعلنوا اسم المسيح فاستضافهم غايوس. عادوا فشهدوا أمام الكنيسة عن الاستقبال الذي لَقُوْهُ. فكتب الشيخ إلى غايوس. انتظر هؤلاء الإخوة أن يَلْقَوا الضيافة لدى ديوتريفس ولكنه لم يقبلهم ومنع الذين يريدون أن يقبلوهم وطردهم من الكنيسة. كانوا غرباء بالنسبة إلى غايوس فصاروا أقرباء، وكانوا إخوة لديوتريفس فعاملهم كغرباء. وينطلق الكاتب من هذه الواقعة ليدعو الجماعة إلى قبول الإخوة الذين توفدهم الجماعة.

ويشجب الكاتب موقف ديوتريفس لسببين: يحب أن يكون الأول وسط الكنيسة المحلية. هو صاحب سلطة ويمارسها بزهو وغرور. ثم إنه لم يستقبل الشيخ والإخوة ويطرد الذين يقبلونهم ويتلفظ بكلمات خبيثة. هذا يدل على وجود خلافات داخل الجماعات اليوحناوية وعلى نقص في المحبة بين الكنائس المحلية. ويختتم الشيخ رسالته بتمنيات تشبه تلك التي قرأناها في 2 يو. تشدد 3 يو على تصرف المؤمن. فبطريقة حياتنا وأفعالنا وبطريقة قبولنا لإخوتنا نعرف إن كنا من الله أم لا. هذا واضح في 1 يو. والرباط بين اللاهوت والأخلاقيات هو إحدى ميزات اللاهوت الذي يتوسع فيه يوحنا في رسائله.

د ـ رسالة يوحنا الأولى:

اختلف الشراح في تنسيق 1 يو فاكتشف أحدهم ثلاثة أقسام: إعلان بشرى يسوع ودمه المُطَهر، مثال بنوَّتنا الإلهية، وحي يسوع عن حب الله. واكتشف آخر قسمين: شروط المشاركة مع الله ومع الجماعة الكنسية، محبة الله وأبناء الله. واقترح ثالث تصميماً في ثلاث نقاط: الله نور، الله أب، الله محبة. واقترح رابع: الله نور، الله عادل، الله محبة. وفكر خامس في موضوعين رئيسيين: أن نسلك في النور، أن نعيش كأبناء الله.

تبدأ المقدمة في 1 يو بجملة طويلة تذكرنا بنسقها وأفكارها (كلمة الحياة، رأى، شهد) بمقدمة الإنجيل الرابع. أما آ 2 فتشكل جملة اعتراضية تهيئنا لقراءة جسم

(1) آ 11 ـ 12.

الرسالة. وتتردد كلمة شركة (كوينونيا في اليونانية) مرتين في آ 3 فتدل على هدف الكاتب: تأمين شركة المؤمنين مع الآب والابن، وشركتهم بعضهم مع بعض بالأمانة للشهادة الرسولية.

في **القسم الأول**، الله نور: يقدم لنا الكاتب عرضاً عن علامة شركتنا مع الله. ونلاحظ هنا مقطعين: مقطع أول: نسير في النور ونقطع كل علاقة بالخطيئة، ومقطعاً ثانياً: نحفظ وصية المحبة. أما 2: 12 ـ 28 فنعنونها: إيمان المؤمنين أمام العالم والمسحاء الدجالين. نلاحظ هنا وجهة سلبية[1] ووجهة إيجابية[2]، ثم وجهة سلبية[3] ووجهة إيجابية[4]. وتبدو 2: 28 كخاتمة مؤقتة. وسيعود الكاتب بعدها إلى المواضيع التي تطرق إليها مشدداً على المحبة. يرد فعل أحب (أغابان في اليونانية) 28 مرة، والأسم (المحبة، أغابي) 18 مرة.

أما **القسم الثاني** فعنوانه عطية الله. يقدم الكاتب عرضاً عن علامات شركتنا مع الله مع التشديد على البنوة الإلهية[5]، وعلى موضوع البر المرتبط بالمحبة. ونستطيع أن نتوقف عند المقاطع الثلاثة الآتية.

العلامة الأولى التي تساعدنا على التمييز بين أبناء الله وأبناء الشيطان هي: ممارسة البر وتجنب الخطيئة. **والعلامة الثانية** هي: ممارسة المحبة على مثال ابن الله. تشير 3: 11 إلى أول جريمة قتل (قايين) فتوسع النظرة توسع التاريخ البشري. وتشكل 3: 16 إعلاناً يعتبر قلب هذا المقطع: وهب يسوع حياته من أجلنا. ينتج عن هذا أننا نعبر بأفعالنا عن الحب المتبادل. ويذكر الكاتب الروح فيهيئ المقطع الثالث. **والعلامة الثالثة** هي تمييز الأرواح بالإيمان بيسوع المسيح. يختلف هذا المقطع عن المقطعين السابقين فيصيب وضعاً ملموساً وموازياً للعرض الأول. ويقدم إيضاحات عن العلامات التي تساعدنا على الكشف عن الأنبياء الكذبة انطلاقاً من تعليمهم.

---

(1) نتجنب الخطيئة، 1: 5 ـ 2: 2.

(2) حفظ الوصايا، 2: 3 ـ 11.

(3) لا تحبوا العالم، 2: 12 ـ 17.

(4) الأمانة للتعليم الذي تعلمناه رغم المعلمين الكذبة، 2: 18 ـ 28.

(5) 2: 29؛ 3: 1، 2، 9، 19؛ 4: 2، 4، 6.

القسم الثالث هو الله محبة. يقدم الكاتب عرضاً عن علامات وشروط مشاركتنا مع الله[1]. لا يتضمن هذا العرض الثالث علامة سلبية (تجنب الخطيئة) بل إعلاناً يتردد مرتين: الله محبة. ترتبط مواضيع الإيمان والمحبة ارتباطاً وثيقاً ولكن التشديد واضح على الإيمان والشهادة. وهكذا نكتشف مقطعين. المقطع الأول: تأتي المحبة من الله وتتأصل في الإيمان. المقطع الثاني: الإيمان بابن الله هو إيمان يتجاوب مع شهادة الله ويتفتح في المحبة.

الخاتمة الأولى تشدد على هدف الرسالة: أن يعيَ المؤمنون أن لهم الحياة الأبدية[2]. **والخاتمة الثانية** التي تشبه حاشية فهي تشدد على الأفكار الرئيسية في الرسالة. هذا ما فعله بولس حين كتب مقطعاً بخط يده في غل 6: 11 ـ 17. فبعد أن دعا يوحنا قراءه إلى الصلاة ولاسيما من أجل الخطأة، قدم ملخصاً عن التعليم الذي سبق وأعطاه، ثم أنهى كلامه بتوصية ترتبط بموضوع العهد الجديد.

5 ـ رسالة القديس يهوذا:

رسالة يهوذا رسالة صغيرة تجتمع في فصل واحد وفي 25 آية. يوردها قانون موراتوري منذ القرن الثاني في لائحة الأسفار المقدسة ويعتبرها ترتليانس الأفريقي سفراً مقدساً ويستعملها أوريجانس ويعجب بها مع تحفظه لأنها تلجأ إلى الكتب اليهودية المنحولة. نقرأ نصها في القرن الثالث في إحدى أوراق البردي ويذكر إيرونيموس ارتياب بعض من معاصريه بالنسبة إليها. أغفلتها كنيسة سورية لصغر حجمها وقبلها التقليد اللاتيني رسمياً منذ بداية القرن الخامس في مجامع أفريقيا ورسالة أنوشنسيوس الأولى. وهذا الاعتراف سيكرس في المجمع التريدنتيني سنة 1546.

كاتب الرسالة مسيحي من أصل يهودي تمتع بثقافة هلينية رفيعة، يشهد على ذلك الأسلوب والتعليم والفن الأدبي. ولكن هل نقدر أن نكتشف هُوِية هذا الكاتب؟ هنا تختلف الآراء.

هناك من يقول إن كاتب يهو يسمي نفسه: يهوذا عبد يسوع المسيح وأخ يعقوب.

---

(1) 4: 7ـ 5: 12.

(2) رج يو 20: 31.

يشير النص إلى أخ يعقوب أسقف أورشليم الذي تتحدث عنه أسفار العهد الجديد[1]. أوضح النص أنه أخ يعقوب فميزه عن يهوذا بن يعقوب أحد الاثني عشر الذي يسميه متى ومرقس تداوس[2]. ولكن هذا يعني أننا نميز بين يعقوب أخ الرب ويعقوب بن حلفى[3]. والعبارة المستعملة تفترض أن يعقوب كان معروفاً يوم كتبت الرسالة ولم يكن أي التباس في اسمه. في هذه الحال، نعرف أن يعقوب أسقف أورشليم عاش في محيط مسيحي متهود. غير أن بعض الشراح يجعلون يهوذا أخ يعقوب هو نفسه الرسول تداوس فيترجمون لو 6: 16: يهوذا أخ يعقوب.

ولكن عدداً من دارسي الكتاب المقدس اليوم يعتبرون أن يهوذا أخ يعقوب هو اسم مستعار يُخفي شخصية الكاتب الحقيقي ويعطون الأسباب التالية:

- لا تتعارض عادة استعارة الأسماء مع قانونية الرسالة. فأسفار الأمثال والجامعة والحكمة التي هي قانونية نُسبت إلى سليمان الحكيم وهو لم يكتبها. ثم إن كتاب الرؤى اليهودية أخذوا بأسلوب استعارة الاسم في القرن الأول المسيحي ليقدموا تعليمهم في محيطهم. وفي هذا الوقت كان اسم يهوذا معروفاً بحيث استعاره كاتب يهو، وهذا ما يشهد عليه خبر يورده أوسابيوس عن هجاسيب الذي عاش في القرن الثاني.

- حين دوِّنت يهو كان الزمن الرسولي قد مضى. فالتعليم المسيحي تثبّت بعد أن سلم إلى القديسين مرة واحدة، وتبين أن ما أنبأ به الرسل يعود إلى ماضٍ بعيد. هذا السبب يعني أن يهوذا لم يُعَمِّرْ طويلاً ولاسيما وأنه غير الرسول تداوس.

- تحارب يهو بدعاً غنوصية لم يعرفها الزمن الرسولي. لا شك أن هذه البدع كانت في بدايتها، ولكنها بدأت تفعل فتنكر «سيدنا وربنا الواحد يسوع المسيح».

- أما السبب الأهم فهو لغة الرسالة. كان يهوذا أخ الرب قروياً من الناصرة وظل قروياً كما يقول أوسابيوس القيصري. فكيف ننسب إليه نصاً يتحلى بالثقافة اليونانية وبمعرفة كتب منحولة دونت في اليونانية؛ ولكن نجيب على هذا السبب الأخير أن

(1) أع 12: 17؛ 15: 13 ي؛ 21: 18 ي؛ غل 1: 19؛ 2: 9.
(2) مت 10: 3؛ مر 18:3.
(3) مت 10: 3؛ مر 3: 18؛ لو 6: 15.

رؤساء الجماعات أحاطوا نفوسهم بأناس ارتدوا من العالم الهليني. هكذا فعل يعقوب ويوحنا فاستفاد كل منهما من سكرتير أو كاتب جعلا فكرتهما في لغة يونانية أنيقة.

مع نهاية هذا الجزء وما سبقه من الموسوعة الشاملة للمذاهب والفرق والأديان والذي خصصناه لدراسة الإنجيل المقدس «العهد الجديد»، سننتقل إلى الجزء التالي والذي سنورد فيه قصة حياة آباء الكنيسة، الذين تسلموا الرسالة من الرسل الاثني عشر، بالإضافة إلى ذلك سنذكر دور كل أب من هؤلاء القديسين في نشر الرسالة المسيحية وأهم أعماله الرعاوية والأدبية.

الفهرس